

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01335 4257



DT
10
-R
M3
19

2

Year

15

Sem

fæ

18 NOV 2009

OCLC
24009701

B 11757589
12902913

ملفت م ر ب

تأليف

حافظ محمود،
مصطفى كامل الفكر،

محمود فتحي عمر

ط ١ -

القاهرة : د. ن . ١٩٣٦

11C

52.5

F³

DT

DP07.2

.H24

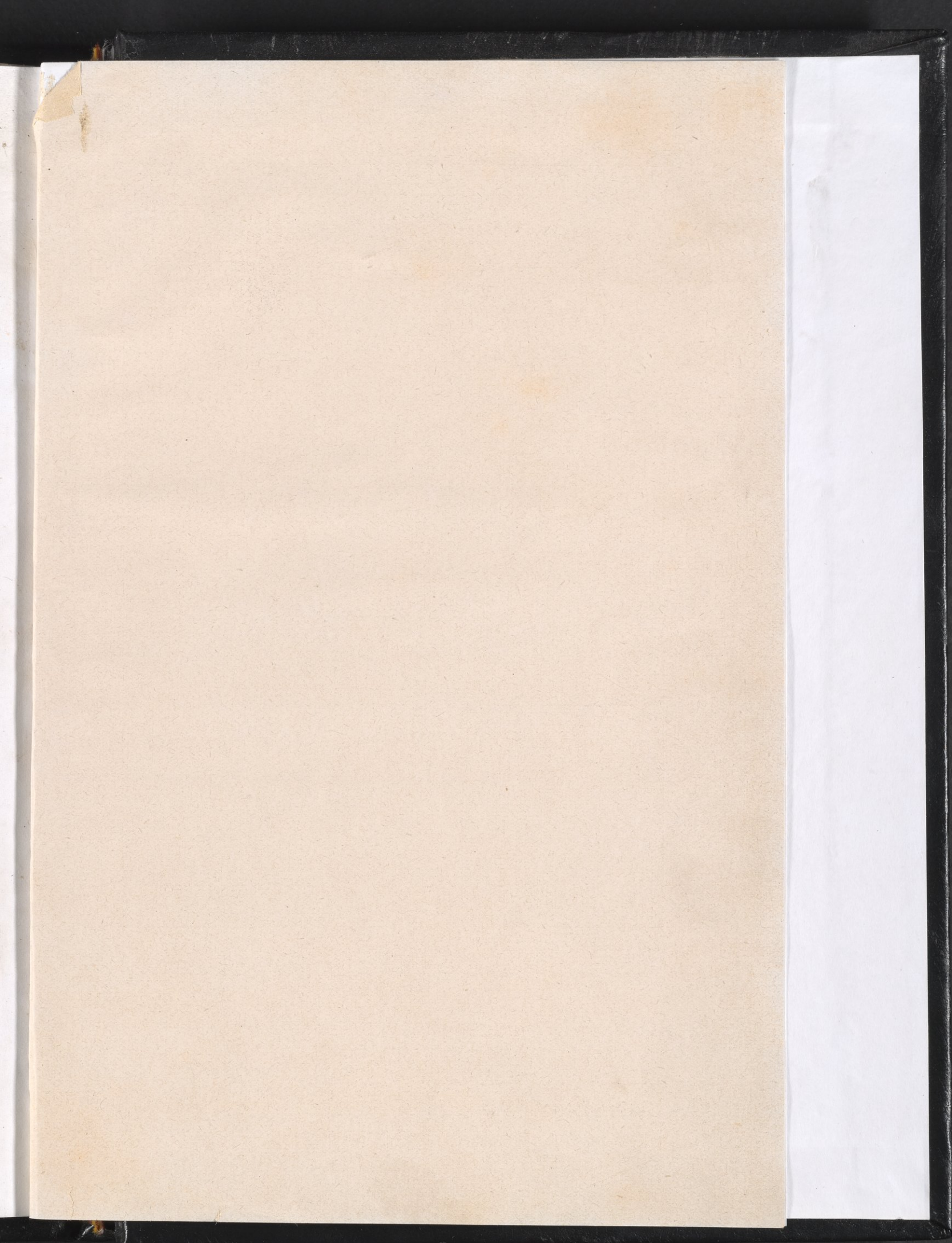
M35

1936



محمد طلعت حرب باشا - أكثر أبناء مصر برًا بمصر

صورة مستغارة من الأستاذ
محمود خاطر بك مدير شركة مطبعة مصر



الافتتاحية

« بسم الله الرحمن الرحيم »

كان القدماء يفتتحون كتبهم ورسائلهم بحمد الله على منة من المن .
والكاتب مهما تطرف في جدته وتجديده يجد أحياناً أن خير ما يقال في
موقف من المواقف هو ما قاله القدماء . . ونحن حيال إنشاء كتاب في
« طلعت حرب » نجد أن خير ما يفتح به هذا الكتاب هو حمد الله على أنه
قد اختص مصر بهذا العلم الذي يخفق على ربوة عالية من المجد ، كلها جهود
جبارة موفقة لاسعاد المواطنين

أجل ، لقد أصبحت حياة محمد طلعت حرب باشا كتاباً حياً ، منشور
الصفحات ، أمام المصريين ، وأمام الشرقيين ، وأمام الكثير من الغربيين
أيضاً : يقرأ الناس في هذا الكتاب الحى أعماله ومآثره ونهضاته جميعاً . . .
ومهما يكن من عظمة هذه الأعمال والمآثر والنهضات ، فإن لطلعت باشا
ماضياً روحياً متصلاً بحاضره ، يفيد الناس عامة ، ويفيد الشباب خاصة أن
يتبينوه ، وأن يتوجهوا بتوجيهه إلى أعز ميادين النشاط في حياة الفكر
والارادة والعمل

لهذا عنينا في كتابنا بأن نكشف عن ساحات النشاط التي كان طلعت
حرب باشا يرتادها بفكره وروحه وإرادته ، ليجنى منها لمصر أطيب الثمرات
وأشهاها ، لا في الحياة الاقتصادية وحدها ، كما يحسب الكثيرون ، بل أيضاً
في الحياة الاجتماعية ، وفي دوائر السياسة ، وفي ميادين الثقافة العامة — هذه
النواحي الجليلة ، التي تكاد تبتلعها زعامته الاقتصادية في الأذهان

على أن هذه الزعامة الاقتصادية الكبرى التي عقد لواؤها لطلعت حرب ،
هذه الزعامة التي جاءت مختارة تجر جر أذيال الفخار بكفاءته ، هذه الزعامة
العملية ما كانت لتنتهى إليه لولا أنه كون ماضياً بغرس يديه ، وسقى غرسها

بسيل مبارك من عزمه في كل دور من أدوار حياته العزيزة
هذه الأدوار هي التي نجلوها في هذا الكتاب ليتبين فيها القارىء وجهاً
جميلاً من وجوه البر بالوطن والعمل على إسعاده في كل ناحية
على أننا حرصنا على أن نصل بين حياته الخاصة وحياته العامة ؛ وإنا
لنشهد الحق أننا لم نلق في هذا عسراً ؛ فما يكاد الباحث يتخطى الدور الأول
من حياة « طلعت حرب » ، حتى تلتقى عند البحث حياته الخاصة بحياته العامة ،
وحتى لا يجد الكاتب ما يقوله عنه إلا ويجد أن كل ما يقال إنما يتعلق أو يتصل
أو يختص بناحية من نواحي المجتمع ؛ وإن هذا لشأن العظيم — لا يعدو كتابه
أن يكون دراسة لمسائل اجتماعية عامة !

لقد نشطت الأمم المجيدة كلها إلى تمجيد عظمائها ؛ ولام اللاثمون أننا في
مصر أحياناً لا نلحق بهذه الأمم في تمجيدها لرجالها العظماء . ولقد اتخذ رواد
التربية الوطنية الاستقلالية من عظماء بلادهم حافزاً للأجيال الجديدة ، ينشطون
شبابها ، ويرسمون أسباب نهضتها بتفاصيل حياتهم ، وقيل أننا في مصر أحياناً
لأنحف كثيراً بهذه المثل العليا التي تبعثها السماء في نفوس المختارين من الرجال ..
فاليوم ، ونحن نقدم إلى المواطنين الأعزاء كتاب « طلعت حرب » ،
إنما نريد بهذا الذي نقدمه أن نؤدى واجباً وطنياً — لا إلى محمد طلعت حرب باشا
بل إلى الأمة العريقة التي أنجبته وأخرجته إلى ميادين العبقرية والنبوغ ..
نريد بهذا الذي نقدمه أن نمحو عن النفسية المصرية صفة من صفات النكران
التي تهتم بها باطلا أمة كانت على الدوام مثلاً من أمثلة الاعتراف بالجميل
إن حياة العظيم ، أو البطل ، أو المجاهد ، أو العبقرى في وطنه هي جميل
من الله لهذا الوطن ؛ فالتحدث بهذه الحياة إنما هو تحدث بنعمة الله ليس غير ..
ولقد محت النهضة العالمية الحديثة من الوجود فكرة إرجاء هذا التحدث إلى
بعد انتقال الأبطال إلى العالم الآخر حتماً ، فترى المطابع الأوربية تخرج كل
يوم كتاباً عن عظيم من عظماء العالم الأحياء ... ذلك أن العالم في هذا الطور

من حضارة السرعة والانتقال، إلى حياة مثالية عالية هو أشد ما يكون حاجة إلى رجال مثاليين أحياء، تملأ حياتهم حياة بلادهم كبرياء ونهضة لكل رجل مهما جاهد أو عظم نقصه بصفته إنساناً تقصر جهوده دون الكمال.. أما الأبطال من الرجال فنقصهم لأنفسهم، ومجدهم لبلادهم.. وإذن فليس مديحاً ما نكتب عن فضائل « طلعت حرب »، إنما هو تحقيق لفكرة وطنية أن يشعر كل مصرى أن بلاده لم ولن تجذب مطلقاً من المجاهدين المخلصين. وإذا كانت مطابعتنا ومكاتبنا قد ازدحمت بتراجم عظماء الغرب وأبطاله، فقد آن الوقت الذى تجلى فيه دراستنا لرجالنا جيش التمجيد لرجال غيرنا. ولعله توفيق من التوفيق أن تكون دراسة الرجل الذى ساهم بأكبر نصيب عملي فى رفع مكانة المصرى إلى مستوى غيره — أو إلى أرفع من مستوى غيره — فى مقدمة هذه الدراسات



الذين يقدمون هذا الكتاب هم ثلاثة من الشباب اختلفت ثقافتهم كمّاً ونوعاً، لكن هذه الثقافات المختلفة قد اتفقت واتسقت فى حياة « طلعت حرب » التى شملت بوفرتها ألوان مختلف الثقافات، فقد غدا « طلعت حرب »، علماً يرفرف على مدينة من النور، فيها الطائر والساجح والكاتب والحاسب والعامل والتاجر والمدير والمؤلف فى كل فن من فنون العمل والتأليف

لقد أصبح اسمه نشيداً وطنياً لا يتعلق بشخصه بقدر ما يتعلق بعمله وصحابه فى عمله ومواطنيه المعجبين بهذا العمل.. فلما أنشأنا هذا الكتاب وتواردت فى خواطرنا شتى الأسماء لعنوانه، لم نجد له عنواناً أجمل ولا أبلغ من هاتين اللفظتين الوجيزتين اللتين تجريان مجرى الأناشيد: « طلعت حرب » فتفاؤلا بهذا الاسم، وتيمناً بتوفيق الله لهذا الاسم، واعترافاً بتقدير الأمة لهذا الاسم. قد اتخذناه عنواناً لكتابنا، آملين موقنين أن سيكون لهذا الكتاب من النفع بعض ما كان لصاحب اسمه من الأثر فى الحياة المؤلفون

تقدمة

بقلم أحد المؤلفين

تفتح لاسمه قلبي ، ونشأت مؤمناً بعظمة الرسالة العملية الكبرى التي يؤديها لوطننا العزيز ، فقد رته قدراً يزداد يوماً عن يوم في نفسي ، وكنت دائماً أتحدث بحديث أعماله الخالدة ، وأتندر بنوادر صفاته الغراء دون أن ألقاه أو أنعم برؤياه : ذلك هو صاحب السعادة « محمد طلعت حرب باشا »
زعيم مصر الاقتصادي

فلما أدتني الأيام من ساحة أعماله ، رأيته عن كشب ، وشهدت جلائل عمله وعلمه وخلقه عن قرب ؛ فازددت إيماناً به ، وبأنني لم أكن أقدره على كثرة تقديرى له إلا دون ما يستحقه من التقدير
لقد ملأ طلعت حرب باشا تفكيرى وخواطرى بجهوده الوطنية العملية المتواصلة ؛ فتمخضت هذه الخواطر عن فكرة كتاب عظيم ، يليق بتاريخ هذا الرجل العظيم .. وتواردت خواطرى مع خواطر صاحبي الفاضلين : الأستاذ حافظ محمود الكاتب الاجتماعي المعروف ، والأديب محمود فتحي عمر الوطني الاقتصادي الشاب

وجدتني أتبع خطاه ، فأفكر فيه ، وأكتب عنه كتابة نفسية حارة ؛ ووجدتهما يتبعان خطاه ، فيفكران فيه ويكتبان عنه كتابة نفسية حارة . وسيجد القراء في نهاية هذا الكتاب نماذج من المقالات التي كتبناها منذ زمن بعيد قبل أن تستوى فكرة هذا الكتاب ؛ وفي هذا تأييد قوى لما أقول
اتفقنا وعقدنا العزم ثلاثتنا على إخراج هذا الكتاب ونشره بين الناس ،

ليكون وثيقة من وثائق الشرف في تاريخ عظماء المصريين ... ولقد كان لابد
لتحرير هذه الوثيقة التاريخية من ثلاثتنا مجتمعين

فأولنا مافظ محمود ، هو الكاتب الذي تلخصت في قلبه آمال
الشباب المصري وعزماته ، فصاغها بقلبه أفكاراً هي الوحي الذي أوحى به
إلى جماهير الشباب في مصر هذه المشروعات الاقتصادية والاجتماعية كلها ، التي
تدعو المصريون إلى سبيل الإصلاح — فما من مشروع من مشروعات الشباب
في الأدب أو العلم أو الاقتصاد أو الاجتماع — إلا وكان لحافظ فيه رأى
يوجهه ، أو وحي يوحيه ، أو فكرة يبثها ، أو يد يقدمها من وراء ستار ، ناكراً
شخصيته ليعطي للمجاهدين مثلاً من المثل العليا

وثانيها محمود فتحي عمر ، هو الشاب النابه الذكر الذي ساهم في كل
مشروعات الشباب الاقتصادية بقسط هو القسط الوفير ، وكان في كل جهاد من
جهود الشباب الوطنية في مقدمة العاملين ، حتى أصبح اسمه بين شباب كلية
التجارة علماً على العمل والجهاد . فلما تخرج فيها كان أول المغامرين المكافئين
بكدهم وجهدهم وساعدهم في ساحة الأعمال الاقتصادية العامة

وثالث هؤلاء المهندس طنب هذه السطور ، وحسبي بين زميلي أننى
جندى في جيش الاستقلال الاقتصادي ، وهبت روحي وقوتي وشبابى
للخدمة تحت لواء الزعيم ، والمساهمة في تحقيق المثل الأعلى الذي رسمه
لشباب هذا الجيل

فبفكرة صائبة ، وأسلوب صادق ، وإرادة مستقلة قد أخرجنا للناس
هذا الكتاب سوياً ، ليكون رمزاً للرجولة العاملة ، والعظمة الصامتة الخالدة

مصطفى طامل الفلكي

بطل الاصلاح الاجتماعى

فى صبح الحياة — يقظة الجهاد — الدفاع عن التقاليد — زعيم المعتدلين
فى قضية تحرير المرأة — رأيه فى ثقافة النساء — وحي الايمان

فى صبح الحياة

يحكى من قصص التاريخ أن نابليون بونابرت حينما أرسل إلى المدرسة
الحرية ليتتقن بثقافتها كان قى صغير السن ، رقيق الحال ، ضعيف البنية ،
سخر زملاؤه منه ، ومن أن يكون هذا الضعيف الرقيق ذا مستقبل عسكري
رائع ، مثل المستقبل الذى يتخيله لنفسه كل منهم
اطالما شكوا بونابرت طالب الحرية هذه السخرية بأمره من إخوانه
إلى أمه فى رسائله ، بل اطالما بكى فى رسائله إلى أمه . لكن هذه الدموع التى
سالت من عينيه قد فتحت فى قلبه مجرى لسيل دافق من العظمة — العظمة
الحرية ذاتها ، التى حلم بها لأنفسهم الذين سخرُوا منه ، ولم يستطيعوا أن يحققوا
منها لأنفسهم شيئاً

كذلك انتظم الشاب « محمد طلعت حرب » فى صفوف مدرسة الحقوق ؛
ودراسة الحقوق كانت بين أبناء الجيل السابق هى غاية الغايات من الدراسة ،
ووسيلة الوسائل إلى منصات الحكم والقضاء ، وكراسى الرياسة والصدارة فى
حياة المجتمع المصرى

فكان الطلبة تشغلهم أحاديث جاههم وثرواتهم ؛ ولم يكن لصاحبنا
ما يشغله إلا دروسه المتواصلة

وإذن فقد أحس الطالب طلعت حرب إحساس الطالب نابليون بونابرت، لكن عظيم مصر لم تبكه وحدته النفسية — وحدة العبقري — بين الطلاب كما أبكت هذه الوحدة عظيم فرنسا في صباه؛ ذلك لأنه خلق ذات نفس مؤمنة مطمئنة. إلا أنه قد عرف طريقة مباشرة إلى مغالبة الأيام ومهاجمة نقصها بوثبات صادقات إلى الكمال، فاذا التاريخ يشهد أن هذا الطالب الحقوقي قد غدا أكثر زملائه مالا، وأعزهم جاهاً ومجداً!!

تخرج «محمد طلعت حرب» في الحقوق سنة ١٨٨٩. وكان طبيعياً — وهو في مقدمة المتخرجين، ومن أنبهم ذكراً، وأصغرهم سناً، وأميلهم عن الاشتغال بمهنة المحاماة — أن تنهات عليه الوظائف؛ فاشتغل في قلم قضايا الدائرة السنية مترجماً؛ وسرعان ما تدرج النابغة في مدارج هذا العمل حتى أصبح مديراً لأفلام القضايا بهذه الدائرة، خلفاً للمغفور له محمد فريد بك

لو قلنا هنا أن طلعت حرباً اشتهر بالدقة في عمله، لما كنا قد جئنا بمجديد بعد أن عرف العالم أن أدق رجل من رجال الأعمال في مصر هو «طلعت حرب»؛ لكن هناك واقعة معينة تقدم البرهان المادى على ما عرف به من الدقة مبكراً كان برش باشا مفتشاً عاماً للدائرة السنية، ثم اختير عضو مجلس الإدارة المتدب لشركة كوم امبو. وكان برش باشا في عهد تفتيشه بالدائرة السنية قد عرف طلعت، وعرف فيه كفاءته الفريدة الممتازة. فلما تطلبت الشركة — شركة كوم امبو — مديراً كفواً لمركزها الرئيسى بالقاهرة^(١)، لم يتردد في اختيار طلعت حرب لهذا المنصب الكبير الخطر، الدقيق المسئولية

لم يقف اعتراف الزمن بدقة طلعت حرب وكفايته منذ صباه عند هذا الحد في عهد شبابه، بل إن الشركة العقارية المصرية (التابعة لبنك إخوان

(١) ظل المترجم له قائماً بهذا المنصب حتى عام ١٩٠٩. ثم عاد إلى الشركة بعد حين عضواً في مجلس إدارتها إلى عام ١٩٣٦ حيث استقال لتكاثر أعماله المختلفة

سوارس ورولو وقطاوى ومنشه وغيرهم) قد اختارته في الوقت نفسه
لستولى إدارتها (١)

كذلك حولت يد الأقدار الساحرة مجرى حياة طلعت حرب من ساحة
القانون إلى ساحة الاقتصاد؛ وكذلك بزغت شمس الزعامة الاقتصادية من
بين يديه، فأخذ يهتدى بهديه في حياة الأعمال كل من اتصل به من الناس —
أخذت كفاءته الإدارية طريقها إلى الدوائر العملية جميعاً، فاستغاثت بمؤهلاته
وخبرته دوائر كثيرة ليقيل عثراتها، ويصلح ما أفسد الدهر من مآلاتها.
وإننا لنذكر منها على سبيل المثال دائرة سلطان باشا

كان عمر سلطان باشا من أغنى أغنياء مصر، وكانت دائرة أعماله لسعتها
تتطلب إدارة قوية غير عادية. وكان الرجل صديقاً حميماً لمحمد طلعت حرب،
فدعاه للإشراف على أعمال دائرته، فتولى هذا الإشراف بلا قيد ولا شرط
ولا مقابل

وكان في أسرة سلطان باشا شباب قد اجتذبتهم يد طلعت الذهبية إلى
ساحة الحياة الاقتصادية الفسيحة، فسار فيها رائداً ويداياً يميني للزعيم، ذلك
هو المدير القدير الدكتور فؤاد بك سلطان

هذا هو الدور الذي لعبه طلعت الشاب في العقد الأول من حياته
العملية. وهو دور بارع البداية، عجيب الأثر، قوى النتائج في حياة أراد
صاحبها أن يصل بين نفسه وبين المجتمع صلة أساسها الإصلاح، فكان له
ما أراد

(١) لا يزال طلعت حرب باشا قائماً بإدارة هذه الشركة إلى اليوم، وكان له فضل تمصيرها

يقظة الجهاد

« هل كان في وسع الاسلام أن يعلى كلمته أو يرفع رايته بجد الحسام ،
ولم يكن القائمون به إلا بضعة آلاف من العرب ؟؟ »

تشور بالعظيم من الرجال نفسه لتنبه إلى أنه قد خلق ليكون قائداً أو
زعيماً ، ويظل كل عظيم في فترة التكوين من حياته يسائل نفسه عن معدات
قيادته أو زعامته حتى يعثر بها في زوايا روحه خلافاً وكفاءات نفسية
خاصة ، شاخصة إلى مثل من المثل العليا يستمسك به ويقطع العمر في
تحقيقه للعالم

فما هذه الوظائف وما هذه الأعمال الفردية التي كان فيها طلعت حرب ؟
لقد أثار نفسه أن يكون في هذا الموقف من الحياة فحسب
إنه يشعر بقبس من العظمة في نفسه لم يكن قد اكتشفه بعد ..
إنه يشعر أنه لم يكن رجل نفسه ، وأنه لا بد له أن يكون رجل أمة بأسرها ..
إنه تواق إلى المثل العليا ، إلى الإصلاح ، إلى إضاءة المشعل أمام مواطنيه ،
ليسعدهم ويسعد بسعادتهم .. إنه كان ما يزال يتلفت لفتات الحيرة في
يقظة الروح !!

وبينما كانت النفس العظيمة تبحث عن مثاليها ومعدات الجهاد في الحياة ،
بينما كانت هذه النفس في حيرة من أن تكون قوة أمة كاملة قد انصبت في
هذا الفرد الموهوب ، وإن هذا الفرد الموهوب له من روحه وعقله وإرادته
غنى عن كل سلاح — بينما كانت نفس طلعت حرب في هذا الدور الأول
من أدوار يقظتها ، إذ وقعت في يده نسخة فرنسية من رسالة تقدم بها

المرحوم عثمان بك كامل سكرتير السلطان ، خليفة المسلمين ، إلى مؤمر
المستشرقين بباريس في سنة ١٨٩٤ ، وعثر في هذه الرسالة على السؤال الذي
وضعناه على رأس هذا الفصل

أعجب طلعت حرب بهذا السؤال ذي المعاني العالية ، واستجابت نفسه
للجواب عليه ، فقد أجاب المؤلف بقوله :

« كلا فان البطل الهمام أتيل^(١) ، ومعه ملايين من أقوام الخون أو الهون
(Huns) لم يتيسر له أن يتغلب على البلاد المتاخمة لمملكة الرومان ؛ وغاية
ما توصل إليه بعد الجهد والعناء أنه تمكن من العبور بها مع جيوشه الجرارة
من غير أن يتم له إخضاع أهلها »

« أما الاسلام فلم تكن لديه تلك الملايين من النفوس ، ولا تلك
العدد الحربية التي كانت عماداً للفرس والروم في حروبهم ، بل إنه كان لا يذكر
بجانب خصومه من حيث العدد والقوة والنظام ؛ فما هي إذن تلك القوة التي
تيسر بها للاسلام أن يخضع العالم المتمدين في أقل من خمسين عاماً ؟ ! »

« لعمري إنها حرية الأديان والمساواة في الحقوق والاخاء بين المسلمين
مهما كان جنسهم ، من غير تمييز . ولم تك هذه المبادئ الشريفة اللازمة
للكمال الانساني والتمدين الحقيقي معلومة قبل الاسلام ، فظهرت بظهوره .
وفضلاً عن ذلك فان صلح الحديبية^(٢) يشهد بأن محمداً عليه الصلاة والسلام
هو الذي أمضى أول معاهدة دولية في العالم »

« ولما حاصر المسلمون بيت المقدس في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ، خاف النصارى المحصورون أن تكون حرية الأديان والعدالة
التي وعدهم بها المسلمون خدعة وحبالة ، فاشترطوا لتسليم البلد حضور الخليفة
بنفسه إليهم ، ليوقع أمامهم على معاهدة الصلح والتسليم ، فلم يلبث أن بارح

(١) أتيل ملك من ملوك آسيا الصغرى في القرن الخامس ، دوح العالم كله في الحروب

(٢) صلح الحديبية كان هدنة بين جيوش النبي وجيوش قريش لمدة أربع سنين

عمر المدينة؛ وجاء بيت المقدس؛ ووقع على المعاهدة الشهيرة التي تم بها دخول هذه المدينة في حوزة الاسلام^(١) »

« فاستبشر المسيحيون من آريين ونسطوريين بهذا الفتح؛ واستقبلوا الاسلام كاستقبال الأسير تفك قيوده؛ وفتحوا أمامه أبواب المدائن؛ ودخل أكثرهم في الدين الاسلامي الحنيف. أما النصارى واليهود، الذين حافظوا على دينهم، فقد عاشوا في ظل دولة الاسلام في هناءة ورغد عيش؛ لم يروا شيئاً منهما في عهد الدولة الرومانية؛ فلم يأسفوا على زوال حكمها وذهاب أيامها »
نقل الأستاذ « محمد طلعت حرب » هذه الرسالة من الفرنسية إلى العربية تحت عنوان « كلمة حق عن الاسلام والدولة العثمانية »، في هذا الأسلوب الحي الذي تحس بحياته في هذه الفقرات التي قدمناها إليك

نقاهما إلى مواطنيه في العقد الأخير من القرن الماضي، حين كانت الدولة في الشرق للاسلام، والصولة للمسلمين؛ وحين كان النفوذ الروحي للاسلام في الشرق يحقق الغربيين ومن على شاكلتهم؛ وحين كان المخنقون من الاسلام والمسلمين يذيعون الدعوات الضعيفة أو الباطلة ضد هذه الوحدة الروحية في سبيل الاستعمار

فطن « طلعت » الشاب إلى خطرين مهويين يتسربان إلى حياة الشرق خلصة: خطر انقلاب الحقائق الروحية عند الشرقيين في نظر الغربيين، وخطر تعصب الشرقيين تعصباً قاسياً عنيفاً لعقيدتهم الدينية.. فجاء بترجمة هذه الرسالة يدفع هذين الخطرين عن مواطنيه. وهو يقول في نهايتها بهذا الأسلوب الحي مدللاً على الاخاء والعدالة والتسامح والمساواة في الاسلام:

« أروني مدينة واحدة خربها الاسلام، أو مذبة واحدة أمر وقام بها الاسلام. ذلك ليس في الامكان، اللهم إلا في مخيلة أمثال فولني ورينان^(٢) »

(١) هذه هي صورة المعاهدة: « إنكم آمنون على دماءكم وأموالكم وكنائسكم، لاتسكن ولا تخرب إلا أن تحدثوا حدثاً عاماً »

(٢) كاتبان من فلاسفة الفرنسيين

« إن كان الاسلام يقضى بعدم التساهل مع الأديان الأخرى أو
بإبادة معالمها ، كما يدعون ؛ فلم لم يخرب طليطلة وقرطاجنة وشريش حينما كان
حاكماً على أوروبا مدة ستة قرون . . . ؟؟ »

... وكان هذا هو الجهد الأدبي الأول لطلعت حرب في ميدان
الإصلاح الذي غدا فيه على مر الزمان قائداً من أعز قاداته وأنفعهم للناس

الدفاع عن التقاليد

ظهرت في سنة ١٨٩٤ حملة غربية ضد العالم الاسلامي ، دبرها قادة الاستعمار الفكريون ، على اعتبار أن العالم الاسلامي هو الشرق الجميل الذي يطمعون فيه

فقد وقفنا في الفصل السابق على الرسالة التي تقدم بها سكرتير السلطان إلى مؤتمر المستشرقين في سنة ١٨٩٤ ، ونقلها الأستاذ محمد طلعت حرب إلى العربية . وليس شك أن هذه الرسالة لم تكن إلا ردأ من ردود الحملة التي شن غارتها الغربيون على الشرقيين . . . وفي هذه السنة بعينها تصدى كاتب فرنسي هو « الدوق داركور » لنقد الحضارة الاسلامية في بلاد المشرق ؛ واتخذ وسيلته إلى هذا النقد حياة المرأة الشرقية المسلمة ، وما هي عليه من حجاب أو احتجاب

كانت حملة الدوق داركور قاسية عنيفة ؛ فتصدى للرد عليه في سنة ١٨٩٤ رجل من رجال مصر الذين تشفقوا في فرنسا ، هو المرحوم قاسم بك أمين . ومع أن ردود قاسم على داركور كانت ردوداً سديدة محكمة ، إلا أن مخالطته الغربيين ، والأخذ والرد بينه وبينهم ، وتأثره بثقافتهم — هذه العوامل كلها جعلته ينقلب بعد الفراغ من رده على كاتبهم إلى القيام بشورة فكرية ضد الحجاب ، وما إلى الحجاب من تقاليد قديمة

كان قاسم أمين في دعوته بريئاً ، لكنه لم يكن قد تدبر خطر ثورته ؛ إذ لم تسبقها المقدمات التي تهيء الجو للانقلاب العصري الجديد . . . فمن لهذا الخطر الجديد يدرأه عن مصر ، ونساء مصر ، وأبناء مصر جميعاً ؟ إنه هذا الشاب الذي تيقظت روحه على رنين الأجراس السماوية الداوية

الداعية إلى الإصلاح . . إنه طلعت حرب الشاب الذي أحس بأنه ملهم، وبأنه مسئول . . . إنه المصري الشرقى المسلم الذي أحس بخطر المفكرين الغربيين على بلاده، فنقل لمواطنيه رسالة « كلمة حق عن الإسلام والدولة العثمانية ». هو هو الذي اندفع يؤدي واجبه الذي يعتقد أنه حقاً نحو الله والوطن إزاء الثورة على الروح الشرقية في عالم المرأة

فما أن ألف المستشار قاسم بك أمين كتابه « تحرير المرأة » في سنة ١٨٩٨ حتى أدركه المصلح « طلعت حرب » بكتابه « تربية المرأة والحجاب » تحس أنت من هذا العنوان، الذي اتخذته طلعت لكتابه، إزاء كتاب « تحرير المرأة » أنه لم يكن يرمى به إلى الجدل العقيم، إنما كان كتاب كاتب عف نزيه، يقرر المبادئ السليمة لبنات الوطن وأبنائه ذلك لأنه قد وضع كتابه بدافع اجتماعي كريم. وهاهوذا يشرح لك هذا الدافع بقوله في مقدمة كتابه: « أخذنا نسأل ونسأل، ونبحث وتتناظر، حتى علمنا أن معظم هياج الرأي العام على حضرة المؤلف (يقصد قاسم أمين بك) ناتج مما رسخ في أذهانهم، من أن رفع الحجاب والاختلاط كلاهما أمنية تتمناها أوروبا من قديم الزمان لغاية في النفس، يدر كها كل من وقف على مقاصد أوروبا بالعالم الإسلامي . »

أرأيت أنه كان مشغولاً بمسألة أعظم من السفور والحجاب ؟

..... إنه كان مشغولاً بسلامة الوطن الإسلامي من نوايا المستعمرين من الغربيين . وقد أبى الرجل النبيل أن يتقدم بكتابه إلا بعد أن سأل وتسأل، وبحث وتناظر، كما يقول . فلما اقتنع ضميره بأن هناك واجباً لازماً الأداء نحو المجتمع، بادر إلى أدائه . . وكان في أدائه كريماً حكيماً؛ فوضع حداً فاصلاً بين خصومة الناس لقاسم أمين، وبين الحقيقة البريئة التي يجب أن تكون قال في جراءة الرجل المؤمن المطمئن في مقدمة كتابه: « إني أجيل حضرة الفاضل قاسم بك أمين عن أن يكون له غاية من وضع

كتابه خلاف حب الخير والارتقاء بالامة ، كما هو ظاهر من كلامه على
تربية المرأة ؛ فانه وصف حالتها اليوم أحسن وصف ، وقال بوجوب تربيتها
تربية تهذب أخلاقها ، وتقوم نفسها ؛ فلحضرة جزيل الشكر على ذلك ؛ وسيرانا
في هذا الكتاب داعين إلى مثل دعوته ، رافعين صوتنا مع صوته ، علّ
دعوتنا تحترق تلك الأذن الصماء ، فيهتم القوم بأمر هذه التربية ، وننال ضاللتنا
التي نلشدّها ، وهي تحسين حالتنا ، وما ذلك على الله بعزيز . وإننا مع موافقتنا
لحضرة على هذا المبدأ ، نخالقه في غيره ؛ فنستميحه العفو عما يجده خلال بحثنا
من المخالفة والمباينة في الرأي والفكر ؛ لحضرة حر ، ولا نخاله إلا أن يحب
كل فكر حر .

وضع طلعت حرب بهذه المقدمة حداً فاصلاً بين الحقيقة والباطل ،
وفرّق فيها بين لغو الخصومة وأسلوب الإصلاح . فلا نصار الحجاب في كتابه
صفحة مجيدة من الدفاع ، ولا نصار حرية المرأة فيه صفحة ناصعة من
الانصاف ، وفيه للذين حرروا أفكارهم من التحيز لبعض الرأيين صفحة
كريمة من الحكمة ..

وهكذا ما كان طلعت بهذا الكتاب يصلح إصلاحاً اجتماعياً فحسب ،
بل كان يصلح إصلاحاً أدبياً أيضاً !

يريد أن يعدل من آراء قاسم ؛ وهو واثق بأن قاسماً متأثر بالثقافة الغربية
في آرائه ، فلا يبادئه النقاش بتفكيره ، ولا يواجهه بفكر بعيد من أفكاره ،
بل إنه يقدم إليه آراء الغربيين وقادة الغربيين أنفسهم ، فيقدم إليه وإلى الجمهور
الشرقي قول الفيلسوف الانجليزي « جون سيمون » إذ يقول في مقال له
بمجلة العلماء عن المرأة الأوروبية التي أراد الثائرون للمرأة المصرية أن تقلدها :

« المرأة التي تشتغل خارج بيتها تؤدي في الحقيقة عمل عامل بسيط ،
ولكنها لا تؤدي عمل امرأة نعم إن الرجل قد صار يستفيد من أجر
امراته ، ولكن بازاء ذلك قل مكسبه لمزاحمتها له في عمله »

بل لقد أبى نبوغ طلعت إلا أن يقدم لصاحبه دليلاً من إنجيل
 اليسوعيين ذاته؛ إذ جاء في كتاب العهد القديم بالاصحاح الثالث عشر من
 سفر التكوين: «وإلى رجلك يكون اشتياقك؛ وهو يسود عليك»
 وكأن مؤلفنا الاصلاحى قد خشى أن يرد أحرار الفكر بأن هذا
 ما لا ينطبق على حياتنا العصرية، فأدرك قوله بقول عائشة أم المؤمنين: «لو علم
 النبي صلى الله عليه وسلم ما أحدثت النساء بعده لمنعهن من الخروج»
 على أن طلعت لم يبع بدعوته أسر النساء، ومنعهن من الخروج إلى تشقيف
 أو تهذيب؛ بل كان في دفاعه يرباً بالمجتمع الشرقى أن يكون في ماضيه مجتمعاً
 ظالماً؛ فأخذ يقدم الدليل بعد الدليل على عدالة الأوضاع الاجتماعية التي كانت
 أساساً للحياة المنزلية في الشرق. ومع هذا الدفاع القوي عن الناحية القومية فيما
 يتعلق بالثورة الاجتماعية التي أعلنها قاسم أمين فقد سار طلعت المصلح جنباً
 إلى جنب مع زعيم هذه الثورة إزاء تشقيف المرأة وتهذيبها. وامتاز المصلح
 الرصين على المصلح الثائر بأنه طالب بتعليمها تعليماً ينفع المرأة ولا يضر الرجل
 فانظر إلى طلعت حرب مؤلف «تربية المرأة والحجاب» يقول
 في صريح عبارته: «قال قاسم أمين: أرى هم الناس موجهة إلى التعليم،
 ولا أرى أحداً يلتفت إلى تربية النفوس؛ وأرى أن الحرص على التعليم
 منحصر في تعليم الذكور، مع أن تهذيب الأخلاق مقدم على التعليم، والتعليم
 البنات مقدم على تعليم الذكور — فهذا كلام كله حكم ونوافق عليه حضرة
 المؤلف جهداً، ولكن لا يؤخذنا إذا كنا نخالفه في أمر واحد، وهو أننا نعتقد
 أن التهذيب واجب للذكور والبنات معاً، لا تقديم للبعض على الآخر (١)»

gender

ما كتاب «تربية المرأة والحجاب» لمؤلفه محمد طلعت حرب إلا رسالة
 من رسالات الاصلاح، أحسن المؤلف وضعها، وتنسيق آرائها، والدفاع

(١) ص ٤٣ من كتاب تربية المرأة والحجاب

عن قضيتها... ومع أن هذا الكتاب قد ظهر قبل بداية القرن العشرين بسنوات ثلاث تقريباً، فانك لتقف منه على أسلوب في البحث جديد : فيه تبويب، وفيه تقسيم وتفصيل لا يوفق إليه إلا عقل رفيع. وإذا كنا قد أفصحنا في هذا الفصل عما في أسلوب كاتبه العظم من أدب عال في المناظرة لا يكاد يعرفه إلا المصلحون، فان فيه منطقاً عالياً يضطر النصير والخصيم أن يعترف بسلامته

انظر إليه يرد حجة مؤلف تحرير المرأة عليه قائلاً :

« يقول حضرة محرر المرأة : إن البرقع والنقاب غير معروفين في الاسلام — وهذا قول يدفعه ما جاء في نفس كتاب تحرير المرأة من أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى المحرمة عن لبس القفاز والنقاب... وهل لذلك معنى سوى أن النقاب كان موجوداً ومعروفاً، وأنه كان معمولاً به وواجباً، وكان النساء يستعملنه حتى في وقت الاحرام، فنهاهن النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك في هذه الحالة فقط » (١)

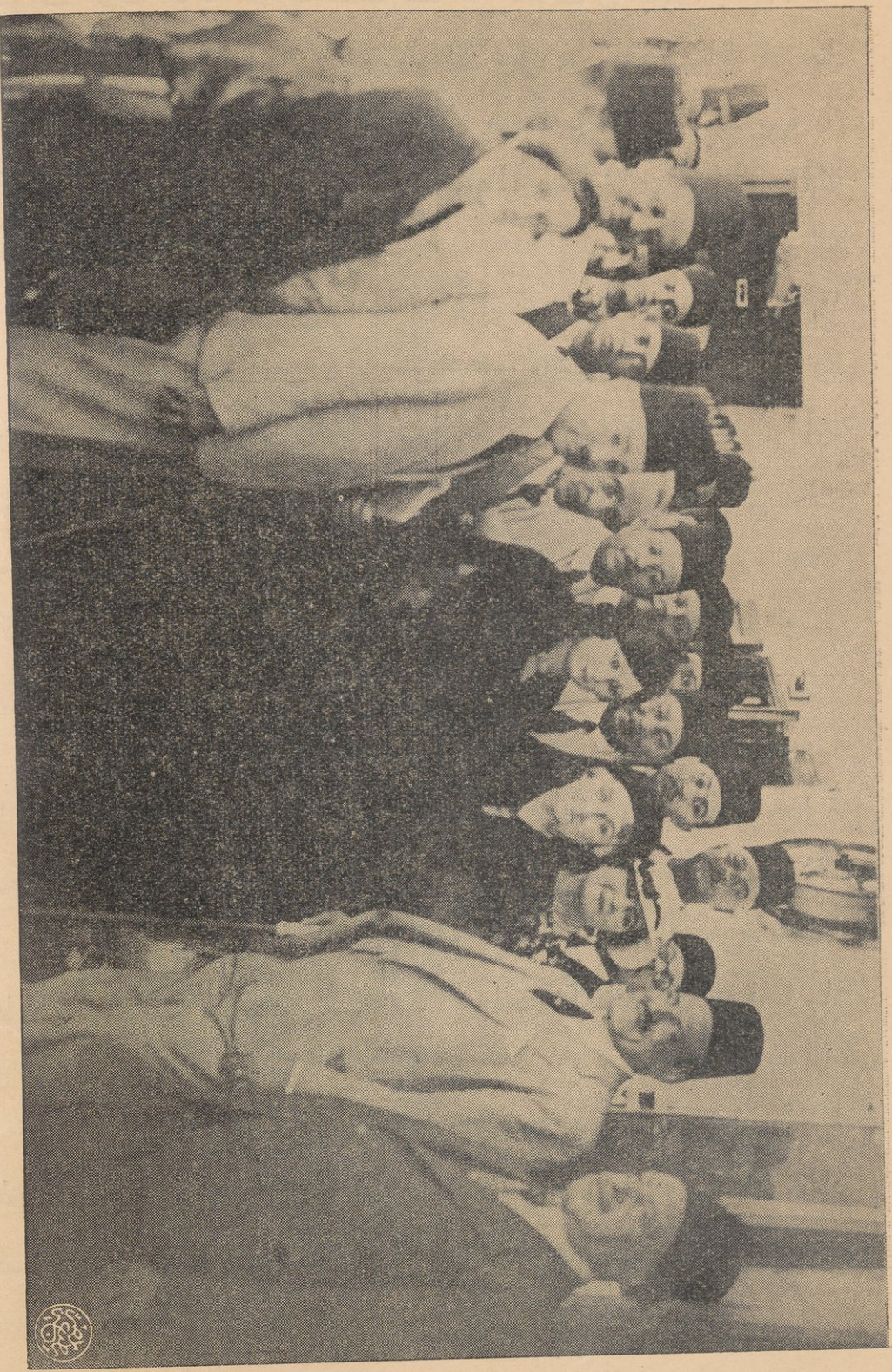
ثم انظر إليه يقول : « قال محرر المرأة في مبدأ كلامه عن الحجاب ما يأتي بالحرف الواحد : ربما يتوهم ناظر أنني أرى الآن رفع الحجاب بالمرّة لكن الحقيقة غير ذلك، فاني لا أزال أدافع عن الحجاب وأعتبره أصلاً من أصول الأدب التي يلزم التمسك بها؛ غير أنني أطلب أن يكون منطبقاً على ما جاء في الشريعة الاسلامية..... ولسنا هنا نطلب إلا تنفيذ ما جاء في هذه العبارة » (٢)

فلعل في هذا التعليق البسيط البليغ الذي علق به طلعت على هذه الفقرة المختارة من حديث قاسم أقوى دليل على قوة منطقته، وسداد حجته، ونفاذ بصيرته في كل قضية إصلاحية وكل نفسه للدفاع عنها

(١) ص ٨٥ من كتاب تربية المرأة والحجاب

(٢) ص ١٠٤ من كتاب تربية المرأة والحجاب

زعيم الاستقلال الاقتصادي إلى جوار زعيم الاستقلال السياسي يحيون أم المصريين على ظهر الباخرة كوث، وما إلى يسار عصمتها، وولي عهدها صاحبة العصمة حرم الرئيس الجليل



زعيم المعتدلين في قضية تحرير المرأة

أصبحت قضية « تحرير المرأة » قضية اجتماعية عامة ذات مذاهب ثلاثة: مذهب المتطرفة ، وعلى رأسهم قاسم أمين ؛ ومذهب المعارضة ، وزعماءه كثيرون ؛ ومذهب المعتدلة ، وعلى رأسهم طلعت حرب . ولقد ظلت هذه القضية تشغل الرأي العام في مصر منذ منتصف الحلقة الأخيرة من القرن الماضي إلى بداية الحلقة الأولى من القرن الحاضر

اشتدت الخصومة بين المتطرفين والمعارضين حتى خرج قاسم عن هدأته مرة أخرى ، وأخرج كتاب « المرأة الجديدة » يؤيد به رأيه في كتاب تحرير المرأة ، وأصبح لابد لحسم هذه الخصومة من مصلح نابغ يعدل بين الرأيين ؛ فلم يكن هذا المصلح النابغ سوى طلعت حرب !

اعتقد طلعت أن قاسم يغالى في سبيل الدفاع عن رأيه ، ورآه مع هذه المغالاة يتبرم بنضال الخصوم عن رأيهم ، ثم لمح أن أولئك الخصوم قد أفسحوا المجال بينهم وبين أصحابهم للمآخذ والردود التي قد لا يستقيم وإياها الاقناع ؛ فأخرج كتابه الثاني « فصل الخطاب في المرأة والحجاب » ، غير متخذ فيه أسلوباً من أساليب الجدل ، بل إنه قد جمع فيه أقوال قاسم أمين بذاتها في رده على الدوق داركور ، وهو رد كله دفاع عن الأوضاع الاجتماعية الشرقية التي نشأت عليها وعاشت فيها نساؤنا

فهما يكن من رأيك إزاء هذه القضية ، فأنت لست بمستطيع إلا أن تسلم بقوة هذه الحجة التي استلها طلعت حرب سلاحاً يحسم النزاع بين

الجانبيين ، ولا سيما وقد احتاط الرجل الحريص من أن يجاوبه قاسم بأن
الأيام كانت كفيلة بتغيير رأيه ، فتراه في فاتحة مؤلفه يقول :

« فلا نلام إذن إن نحن رددنا في سنة ١٩٠٠ وسنة ١٩٠١ صدى قوله
— أى قول قاسم أمين — في سنة ١٨٩٤ ، لأنه لم يشر في السكتابين الحديشين
إلى أنه كان في رأيه الأول مخطئاً !! خصوصاً ونحن لم نبلغ شأوه في الفضل والعلم
والتفقه والممارسة والتجارب كما يعلم ذلك من نفسه . . ولماذا يؤخذ المعارضين
له إن تأثروا من كتابيه فظهر التأثر على لهجة بعضهم ، وهو لم يملك نفسه حين
قرأ كتاب الدوق داركور ، بل مرض عشرة أيام كاملة لزم الفراش فيها من
هول ما قرأ ، وسوء ما رأى فيه — انظر ص ٢٨٨ من كتاب الرد على الدوق
داركور ،

ترى ما هذا القول الذى قاله قاسم أمين في سنة ١٨٩٤ وتسقطه طلعت
في سنة ١٩٠٠ !؟

انظر كيف يهبط طلعت حرب بالهامه على الحجج الدامغة من حديث
صاحبه ، حيث كان قاسم قد أجمل رده على الدوق داركور بقوله :
« وبالجملة فإن كل ما نفعه نحن معشر الرجال يمكن نساءنا أن يفعلنه ،
وهن في الواقع يفعلنه ؛ وكل ما هو جائز لنا عمله جائز لهن ، كما أن كل ما هو
محرم علينا محرم عليهن . فمن ذلك أنه محظور على الرجال الاختلاط بالنساء ،
فيظهر لى أن من الطبيعى كذلك أن النساء يحظر عليهن الاختلاط بالرجال .
وإني أعيد هنا لهذه المناسبة أن حالة المرأة مساوية في ذلك لحالة الرجل ، ومع
ذلك لم يقم من الأوربيين واحد أخذته الشفقة على الرجل المصرى ، وهزته
الرأفة ، فرثى لحاله كما يرثى لحال المرأة — إن كانت الحالة تدعو إلى الشفقة
والمرحمة » (١)

لم يكتف طلعت الجبار بهذه الحجة من مناظره ، يقدمها إليه ليناهضه

(١) « فصل الخطاب في المرأة والحجاب » ص ٢٤

بها في رصانة وهدهد، بل أرى جبروته إلا أن يقبض بيداه قوية على اعتراف من قاسم أمين بأن المرأة الشرقية المسلمة تستمتع بمدى أوسع من حرية المرأة الغربية، حيث كان المستشار يقول في رده على الدوق داركور:

« هذا، وسبق أني قلت أن لنسائنا مطلق الحرية في كافة أفعالهن؛ وأزيد الآن أننا لو نظرنا من جهة أخرى للحالة التي جعلتهن عليها الشريعة الإسلامية الغراء لوجدناها أحسن ما يمكن أن تطمع فيه نفس امرأة؛ فانها، وهي زوجة تتمتع بكافة حقوقها المدنية، ثم هي مكلفة شرعاً وأهل للتصرف بكامل أوجه التصرفات التي تقتضيها إدارة أملاكها؛ فلها بيعها بدون أن يكون هناك أدنى احتياج لاذن المحكمة أو لتصريح من الزوج... وهذه الأهلية تابعة لحريتها الشخصية، وسلطة الزوج عليها في ذلك ليست إلا سلطة معنوية. فالمرأة المسلمة لا تطيع إلا رائد عقلها فيما تريد أن تجريه من بيع أو شراء أو هبة أو قبض أو مقاضاة، إلى غير ذلك؛ بخلاف المرأة الفرنسية مثلاً التي لا يمكنها أن تعمل عملاً ما من هذه الأعمال إلا إذا رضى به سيدها والمسيطر عليها في أعمالها، ورخص لها بعمله »

إلى أن قال قاسم:

« ولا خلاف في أن المرأة الفرنسية عندما تتزوج تصبح إنساناً غير تام، إذ ترجع لعهد الطفولية، وتعود عليها الولاية لما تقضى به عليها قوانين بلادها من عدم الكفاءة والأهلية، وتضربها بنوع من الأسر والاستعباد (Capitis Dimutio) وتحرمها من التصرف في أموالها وإدارة أملاكها بنفسها... تلك هي أمور لا يمكن للرجل المسلم أن يفهمها، كما أني لم أفهمها أنا أيضاً، رغمًا عن جميع الأدلة التي كان يسردها علينا معلنا في مدرسة حقوق مونتبيليه بفرنسا » (١)

لم تقف قوة طلعت حرب المنطقية في شبابه عند هذا الحد من إلزام

(١) من كتاب فصل الخطاب في المرأة والحجاب ص ٢٤

مناظره الحجة في تفاصيل القضية التي كانا يتنازعان الرأي فيها، بل إنه استطاع أن يظهر الناس من حديث قاسم في رده على الدوق داركور على رأي يرفض التقاليد الغربية عن الشرق دفعة واحدة، حيث كان المستشار يقول: «قلنا ونقول: إن آدابنا في الشرق كانت محفوظة، وأعراضنا مصونة، إلى أن دهمنا الأجانب بخيلهم ورجلهم، واختلطنا بهم، وتوجهنا إلى بلادهم، وجاءوا بلادنا بالتغلب أو للتجارة، فأدخلوا في بلادنا من مسميات مدينتهم الغربية ما ذهب بتلك الآداب أو كاد يذهب بها تماماً، وارتقت حاجياتنا، وغرتنا تلك الظواهر الخلابة؛ فأصبحنا كما نحن اليوم، في حالة يرثى لها العدو قبل الصديق - كل ذلك لم يكن لولا اختلاطنا بالأجانب، وتقليدنا لهم في كل ما يضر لا ما ينفع تقليداً أعمى؛ فصرنا لا نتقدم خطوة نحو المدنية الغربية، إلا تأخرنا خطوات عما كنا عليه من الفضائل»

إلى أن قال:

«ولست أنا أول من تجاسر على القول بذلك، فاني قرأت كتابين شهيرين عن البلاد التركية، أولهما كتاب عنوانه «داء الشرق»، والثاني «تركيا الرسمية». وفي كلا الكتابين قد جاء بصريح العبارة أن المسيحيين (مسيحي الغرب) هم الذين أفسدوا المسلمين. ولا يمكن أن يرمى مؤلفا هذين الكتابين بالتحيز إلى الأتراك ومراعاة جانبهم؛ وهذا أيضاً ما يشعر به ويقول له كثير من أصدقائي الأوربيين؛ فانهم مجمعون على أن الذين بذروا الفساد بين المسلمين، هم هؤلاء الدجالون المزورون المجرمون المرابون وأرباب الحانات وغيرهم من أمثالهم العديمي الذمة الذين يراهم الانسان بين المستشرقين والأوربيين أنفسهم^(١)، جاء طلعت حرب مؤلف «فصل الخطاب في المرأة والحجاب» بهذه النصوص من حديث مناظره، ثم علق عليها بطريقة الجبارة قائلا:

(١) عن «فصل الخطاب في المرأة والحجاب» من ص ٣٦ إلى ٤٦

« هذا ما قاله حضرة محرر المرأة في سنة ١٨٩٤ ، وقد رددنا صداه في

سنة ١٩٠٠ » (١)

في هذا التعليق كفاية عن كل تعليق ، فان الفقرات التي اختارها طلعت
عن قاسم ، والتي اخترناها نحن عن مختاراته ، تدل في وضوح جلي على وجهة
نظر طلعت المصلح إزاء ثورة تحرير المرأة

(١) عن « فصل الخطاب في المرأة والحجاب » ص ٤٧

رأيه في ثقافة النساء

ليس شك أنك واجد في المناظرة بين المصلحين الكبارين المرحوم قاسم أمين، والكاتب الاجتماعي طلعت حرب لذة هي لذة الفكر الحر بين مساجلة منطقين جبارين، يحمل كل من صاحبيهما لواء من ألوية الإصلاح ونحن نخشى أن تكون لذة الفكر في هذه المناظرة التاريخية الكبرى قد أخذتك عن أن تكون الرأي المستقيم عن مبدأ طلعت حرب المصلح في حياة المرأة وتثقيفها، وما هي أهل له في الوجود

فطلعت حرب المصلح كان قد رأى بشاقب فكره أن الخلاف الذي أقامه السفوريون لم يكن من الخلافات التي تستحق هذه الضجة كلها، بدليل أننا كما قال طلعت: « قد رأينا رجالاً في غاية الأدب والكمال يشعرون ويتألمون، بعيدين عن جمود الجنان، ثابتي العزيمة — ولا يمنعنا التباين في الرأي من التصريح بأن حضرة قاسم أمين بك وبعض أنصاره من بين هؤلاء — وكلهم كانوا أبناء لأمهات محتجبات، وأزواجاً لزوجات محتجبات، وآباء لبنات محتجبات! » (١)

فاذا كانت النهضة النسوية الأخيرة قد اقترنت في نظرنا بعدم احتجاب المرأة، فإن هذه سمة من سمات التطور العصري ليس غير. أما نهضة المرأة في ذاتها فلم تكن متعلقة إلى هذا الحد بالاحتجاب أو السفور؛ بدليل أن عائشة التيمورية الأدبية الشاعرة المصرية بلغت هذه المكانة المعروفة لها في حياة مصر الأدبية وهي محتجبة، وأن باحثة البادية « ملك حفني ناصف » الأدبية الكاتبة الخطيبة المصلحة بلغت هذه المكانة من حياة مصر الاجتماعية بالذات

(١) ص ٥١ - ٥٢ من كتاب فصل الخطاب في المرأة والاحتجاب

وهي غير سافرة هذا السفور الذي عرفناه واعتدناه من حياتنا المصرية العامة
إنما كان هم المصلح الشاب « طلعت حرب » منصرفاً إلى تثقيف المرأة.
وإذا لم يكن هو وحده الذي عني بمسألة تثقيفها فقد تفرد هو بتحديد لون
الثقافة التي تقيها خطر ما ذهب إليه المتطرفون في دعواهم ، فها هو ذا يقول :

« التعليم الذي لا بأس به أن يشترك البنات بالاشتغال فيه والانتفاع
به متى آنس الانسان منهن رشداً واستعداداً له هو عبارة عن تعليم القراءة
والكتابة ضمن تعليم القرآن الشريف وأمور الدين ، لتعرف البنت ما يجب عليها
وما يجب لها من الحقوق والواجبات ومبادئ الحساب والهندسة والجغرافية
وختصر تاريخ بلادهن ، فان هذا يزيدهن أدباً وعقلاً ، ويصلحن به لمشاركة
الرجال في الكلام والرأى ، فيعظمن في قلوبهم ، ويعظم مقامهن لديهم »^(١)

لن يكون هذا الرأى في تعليم الفتاة لرجل جامد يناهض حرية المرأة
المعقولة ، إنما هو رأى لرجل ناضج يسابق إحساسه تفكيره في الوقوف على
ما هو صالح لبيئته التي يعيش فيها والواقع ماذا كان يمكن أن تحتاجه
الفتاة المصرية من العلم في سنة ١٨٩٤ أكثر مما حدد لها طلعت حرب !! . . .
ومع هذا فان حرباً بعد أن ينصح بالحذر والحرص في تعليم المرأة وتثقيفها ،
وبعد أن يشرح ما ينبغي أن تكون عليه المرأة من العلم بالتدبير المنزلى ، يعود
فيقول في لهجته الاصلاحية الصريحة :

« على أن لا شئ يمنع المرأة من التوسع في العلوم والمعارف
إذا وجدت عندها قابلية من نفسها ، وكان وقتها يسمح لها به ؛ كما أن لا شئ
يمنعها عند اقتضاء الحاجة من أن تتعاطى من الأعمال بعض ما يتعاطاه الرجال
على قدر قوتها وطاقاتها »^(٢)

(١) ص ٥٧ « تربية المرأة والحجاب »

(٢) ص ٥٩ « تربية المرأة والحجاب »



في سباق الطيران

الآنسة لطفية النادى الفائزة في سباق الطيران في انتظار جوائزها من طلعت حرب باشا، وقد ظهرت الي يساره ويلي جوارهما السيدة هدى هانم شعراوى

الخصومة الفكرية التي تزعم طلعت طرفاً من أطرافها في قضية تحرير المرأة لم تكن خصومة على التحرير الأدبي الصحيح للنساء، إنما كان موضوعها في نظره هذه الطفرة الطارئة التي لا مبرر لها في حياة نساتنا، وما وراء هذه الطفرة من شر يستغله الدخلاء والغرباء عنا في مصالحهم المعنوية والمادية معاً آية الشرف والرجولة في هذه الخصومة أن أحد مؤلفي هذا الكتاب (١) كان قد اقترح على الاتحاد النسائي أن يحتفل في أبريل سنة ١٩٢٨ بالذكرى العشرينية لوفاة قاسم أمين، ولبى الاتحاد هذا الاقتراح. فما أن طلبت السيدة الزعيمة هدى هانم شعراوى إلى طلعت باشا إقامة حفلة ذكرى قاسم بمسرح حديقة الأزبكية، حتى بادر باجابة هذا الطلب دون تردد أما الحقوق الاجتماعية أو الطبيعية للنساء فقد كان المصلح طلعت حرب

(١) حافظ محمود

في مقدمة الذين يحققونها عملياً بعيداً عن المهاترات . وليس أدلّ على هذا من
أن حرباً كان يشرف ذات يوم على تنظيم حفل من محافل بنك مصر، فلما ظن
المنظمون أنهم أشرفوا على السكّال في تنظيمهم ، نظر طلعت حرب قائلاً :
« وأين مكان السيدات ؟ »

.... وإذن فقد أصبح تقليداً من التقاليد في حفلات البنك واجتماعاته
أن تشترك فيها المرأة اشتراكاً فعلياً بفضل زعيم مذهب المعتدلة في الإصلاح
الاجتماعي « محمد طلعت حرب »

وحي الإيمان

« . . . إننا لا نكتب طمعاً في أن ننال تصفيق الجاهل وعامة الناس ،

وإنما نكتب انتصاراً للحق وخدمة للدين »

كلية قالها طلعت حرب حينما زج بنفسه في ميدان الإصلاح الاجتماعي ... كلمة بليغة حقاً، لكن ما بال طلعت حرب الذي يشتغل بالحساب والقانون ويدبر الأموال ويديرها — ما باله يبدو كأنه أشد حرصاً في أمور دينه عن شئون دنياه ؟

لا يتسع هذا الكتاب لشرح ما بين المبادئ الحمديد والحياة الاجتماعية، وما بينها وبين المبادئ القومية من صلات وثيقة ؛ لكننا نستطيع هنا أن نفسر موقف طلعت في نقطتين اثنتين : —

أولاً — أن الدين هو عماد الإيمان ؛ والإيمان هو سلاح الزعيم
ثانياً — أن الغرب قد انتهى في نهاية القرن التاسع عشر إلى أن في المبادئ الدينية الحمديد قوة روحية للشرقيين ؛ ولا بد لغزوهم أديباً ومادياً أن تتزلزل أركانها

وآية هذا أن المسيو هانوتو وزير خارجية فرنسا ، وهو رجل في منصب رسمي مسئول ، أخذ ينشر الرسائل الحمسة ضد العقائد الشرقية الإسلامية . وقد استطاع الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده أن يحفظ برودده كرامة الاسلام والمسلمين ؛ وقد وجدت ردود الامام من يترجمها لهانوتو . . لكن هذا المجال كان ينقصه رجل قريب الثقافة من الغربيين ، يجيد لغتهم ويحذق أساليبهم ، ليرد لهانوتو حجته عليه . . . ولقد تهيب الكثيرون من أبناء الجيل الماضي أن يزجوا بأنفسهم في هذا الموقف الخطير إلى أن ظهر المصلح

الشباب طلعت حرب على مسرح الحياة ، وكتب رده الفرنسي الشهير على
المسيو هانوتو، فأوغر برده صدوراً وشرح صدوراً...

فلعل هذا الموقف في حياة طلعت حرب — موقف المدافع الحق عن
روحية قومه وكرامتهم الاجتماعية — لعل هذا الموقف التاريخي النبيل هو
الذي أوحى إلى نفس طلعت بايحاء الدين ، هذا الايحاء الذي نلسه في كل
موقف من مواقفه ؛ لا ينسى فيه اسم الله ، ولا كلمة الله ، ولا مشيئة الله تعالى
ولعل لفظة « تعالى » هذه من أحب الألفاظ إلى نفس طلعت حرب ،
وأكثرها سبباً إلى التفاؤل في نظره . فقد صادف أن وقع لطلعت حرب باشا
بصفته مديراً لبنك مصر تقرير كتبه أحد كبار مرؤسيه ، ووقع منه على كلمة
« إن شاء الله » ؛ فما كان من المصلح الكبير إلا أن أمسك بقلبه وأضاف إليها
لفظة « تعالى »

ترى هل هذا الرجل الراسخ العقيدة في دينه ذو عصبية صماء إزاء الآخرين؟
لو لم يكن طلعت حرب قد غدا زعيمنا الاقتصادي ، ولو لم يكن هو الذي
يعامل الناس سواسية من كل دين ومن كل عصبية وجنسية ، ولو لم يكن
هو الذي تعرف له عدله واعتداله كثيرات من الدوائر الأجنبية في الحياة
العملية العامة فالتجأت إليه في إدارة شئونها — لو لم يكن هذا الرجل هو
طلعت حرب لصعبت إجابة هذا السؤال . على أن الباحث لا يستطيع إلا أن
يعترف لهذا الرجل الحريص أكبر الحرص على شئون دينه بأنه حريص على
سماحة هذه الديانة السامية ذات العصبية المعتدلة المبصرة . وإن الباحث المخلص
ليطمئن إلى هذا الاعتراف بعد أن يجد هذا الرجل في فجر حياته منذ اثنين وأربعين
عاماً يتمثل بروح التسامح الذي جبل عليه السلطان الاسلامي العظيم « صلاح
الدين » ، هذه الروح التي ظهرت حتى في الحروب الصليبية ذاتها حيث يقول :
« ومع ما كان بين المسلمين والنصارى من اشتداد الخطب واحتدام

الخصام، فان صلاح الدين الأيوبي لم يغفل طرفة عين عن العمل بقواعد حقوق
الأمم التي جاء بها الكتاب المجيد؛ فانه كان حينما يعقد الهدنة، كان يدعو خصمه
ريكاردوس — قلب الأسد — لتناول الطعام معه، كأنه لم يكن بينهما نزاع
ولا قتال، حتى إذا رجعا إلى اشتباك الأسلحة كانا يستميتان في القتال» (١)
هذه هي الشرعة الخلقية التي أحسن طلعت حرب فهمها على أجمال
وجوهها منذ فجر الحياة، فاتخذها غاية ومثالا عالياً للهدى في إصلاحه الاجتماعي.

(١) ص ١٦ من «كلمة حق عن الاسلام والدولة العثمانية»

المجاهد الوطني

الحساب في حياة طلعت حرب — ساهر على مصالح مصر — تحقيق
تاريخي في مشروع قناة السويس — تحقيق سياسي في إنشاء القناة —
تحقيق اقتصادي في شركة القناة — الدفاع عن حق الوطن

الحساب

في حياة طلعت حرب

ننتقل الآن إلى الدور الثاني من حياة طلعت العملية العامة بجلائل الأعمال؛ فاذا هو رجل قد اشتهر بالأمانة المحمدية، والادارة النابغية، تنقسم وقته الدوائر والشركات — وكذلك ينبيء ماضي الرجل عن مستقبله!
وقفنا في الدور الأول إلى طلعت حرب في حياته العملية الخاصة،
مديراً لمركز شركة كوم امبو الرئيسي بالقاهرة، ومديراً للشركة العقارية المصرية أيضاً

وقفنا إليه ودوائر الممولين تستغيث بفضله وخبرته، لتوجيه دفتها إلى ما فيه صلاح شئونها... وها نحن أولاء نلتقي به في هذا الدور وقد ترأس جمهوراً من موظفي النواحي التي يديرها، اشتغالهم كله بالحساب... وها هو ذا يلح من مرموسيه بضعة شباب من الفتية الذين نبغوا في العمليات الحسابية، فيتكشف أمام الرجل الملهم أفق جديد من الحياة، هو أفق الحساب... إن هذا الحساب شيء عجيب...!! إن عملية حسابية واحدة قد تكون سبباً في إنقاذ موقف خطير

لقد جرب طلعت قيمة العملية الحسابية بنفسه ، حينما طلب إليه أن يشرف على دائرة صديق من كبار أصدقائه ... كان هذا الكبير كريماً مسرفاً . فأراد طلعت — فيما يروى الرواة — أن يحد من إسرافه . فقال له : يا صديقي ، إن لي — بصفتي مشرفاً على إدارة أموالك — طلباً واحداً منك . قال : ما هو ؟ قال : أن تدون لي في نهاية كل يوم ما تكون قد أنفقته في سحابة يومك ، ثم ترسل إليّ بهذا البيان المدون

فلما عمل صديقه الباشا بما أشار به عليه المدير ، أحس على ممر الأيام بالخبيل يخالج نفسه ، من تكرار إثبات أرقام معينة كبيرة في أغراض معينة تافهة ؛ ولم يجد مناصاً من أن يصدف عن هذه الأغراض التي كانت تضطرب لها ماليته العظيمة أحياناً ... وإذن فقد نجحت العملية الحسابية في عالم الإصلاح نجاحاً كبيراً

آمن طلعت حرب بالحساب ؛ وكيف لا يؤمن طلعت بالحساب والله ذاته جل جلاله يحاسب الناس عن كل كبيرة وصغيرة ؟ . ولقد كان لهذا الايمان العملي أثر عميق في حياة الزعيم

أحس الرجل الذي حفلت به الدنيا أنه ليس رجل نفسه بقدر ما هو رجل الأمة ، وأن لزاماً عليه أن يوفق بين هذه الصفة وبين حياته العملية الخاصة ؛ فكان مكتبته في الواقع أول معهد من معاهد الحساب في مصر ، ولقد مارس المحاسبة فيه شباب غدوا قدوة المحاسبين في بنك مصر وشركاته فيما بعد ... وكانت لمنشئ هذا المعهد طريقته الحسابية المثلى في معاملته لأولئك الشباب :

كان يوزع عليهم الأعمال بنسب متساوية ، ويوزع أجورهم وتكاليف مكتبته على دوائر العمل التي يشرف عليها أو يديرها — كل دائرة بما يتفق مع نطاق عملها

بهذه الطريقة الحسابية الطريفة كان يخفف عبء العمل عن الموظفين ،

وكان يخفف عبء المصروفات عن أصحاب رأس المال
على أن عقلية طلعت الحسائية قد لعبت في حياته دوراً أخطر من هذا
الدور، وأثرت في حياة بلاده أثراً من الآثار المقطوعة النظير، يوم أن
وقفت شركة قناة السويس وطبقة المستعمرين في جانب، والأمة المصرية
وطبقة المجاهدين في جانب؛ وكان لابد لفض المشكلة التي بينهما من حسابي
عظيم... الشيء الذي أنت موشك أن تطالعه فتعجب به كثيراً..

ساهر على مصالح مصر

في يناير سنة ١٩١٠ كانت شركة قناة السويس قد تطلعت إلى مد مدة امتيازها أربعين عاماً فوق التسع والتسعين سنة التي لها ، والتي تنتهي في نوفمبر سنة ١٩٦٨ . . . ولقد أيد هذا الطلب المستشار المالي « الانجليزى » بوزارة المالية المصرية بمذكرة مسببة يبرر فيها مد زمن الامتياز المطلوب للشركة عرض هذا الطلب مصحوباً بمذكرة المستشار المالي على مجلس النظار في ٢٧ يناير سنة ١٩١٠ ، فأصدر فيه قراراً بالرفض رفضاً فيه شبهة القبول ؛ إذ أجاز المجلس قبول مشروع مد الامتياز بعد إدخال تعديلات أهمها أن الحكومة تستحق نصف أرباح الشركة بعد سنة ١٩٦٨ التي تنتهي عندها المدة الأصلية لامتيازها ، وأن الحكومة لا تكون مسئولة عن معاشات موظفي الشركة في سنة ٢٠٠٩ ، أى في آخر المدة المحددة لنهاية الامتياز

كان هذا الموضوع هو شغل الأمة الشاغل وموضع حيرتها سنة ١٩١٠ ؛ وكان لابد من معبر صادق أمين يحملو الحقيقة في مرآتها ، ويخرجها من حيرتها إلى يقين الدفاع عن حقوقها . . . ولقد شامت الارادة السماوية العليا أن تكل الدفاع عن حق الأمة في هذا الموقف إلى رجل أدخره ضمير الوطن لركن من أركان الزعامة ، منذ فجر حياته : هو محمد طلعت حرب باشا

حمل وكلاء الأمة حملاتهم الشهيرة ضد هذا المشروع في الجمعية العمومية التي كانت لها بعض الصفات البرلمانية إذ ذاك . على أن طلعت ، الذي لم تكن تقيده السياسة ولا المناصب السياسية ، قد استطاع أن يكون سباقاً إلى لون فعال جديد من الدفاع

درس طلعت التاريخ المصري دراسة قوية على ضوء علمه ووطنيته وثقافته الاقتصادية الجديدة الحرة ، التي تتلذذ فيها على وحى عبقريته . فلما حشد الاستعماريون حشدهم داعين إلى مدّ امتياز شركة القناة ، هذه الشركة التي ربحت من مصر كل شيء ، وخسرت فيها مصر كل شيء تقريباً ، تطلعت أنظار مصر إلى رجل غزير المادة ، قوى اليقين ، يظهر الناس على الحلقات المفقودة من تاريخ هذه الشركة ، ويبين للناس حسابها وحظ مصر المفقود من هذا الحساب . . . وبينما كان الناس يتلفتون ببصرهم وبصيرتهم عن هذا الرائد ، الذي يدل قومه على مواطن الخطر في هذا الموقف ، ويلزم خصومهم الحجة الدامغة إزاء حججهم المزعومة — إذ برز إلى الميدان هذا القائد المصلح ، الذي شهدناه فيما فات واقفاً بالمرصاد إزاء نوايا الحركة الفكرية الاستعمارية في حياة المجتمع المصري ، ذلك هو « محمد طلعت حرب » !

✱ لقد انتفع طلعت حرب من تجاربه « الحسائية » الجديدة ، لكن مجده الوطني أبى إلا أن ينفع بهذه التجارب ووطنه ؛ فبعد أن كان متجهاً في إصلاحه هذا الاتجاه الأدبي الذي نلمسه في دفاعه عن التوازن الاجتماعي في قضية تحرير المرأة ، إذا بنا نراه قد اتجه في إصلاحه اتجاهاً علمياً عملياً في دفاعه عن

الحقوق الوطنية في مسألة قناة السويس

أخرج « محمد طلعت حرب » دفاعه في كتاب « قناة السويس » الذي طبعه ونشره على المواطنين في أوائل سنة ١٩١٠ ؛ وهو كتاب اقتطفه كاتبه من شجرة الخلد ، فكان الوثيقة القوية في يد الذين دافعوا المشروع وعارضوه ثم رفضوه ، وما يزال الوثيقة الحية التي ينبغي أن تحفظها الأجيال المتعاقبة ؛ ليعرف منها الشباب المصريون ما لهم وما عليهم في الركن الخطير من قضية الوطن

هذه الوثيقة هي القصة الحقيقية الرائعة لقناة السويس التي سجلها طلعت حرب في كتابه تسجيلاً علمياً وطنياً دقيقاً أميناً ، يحمل من روح الجبار طابعاً ،

لا يستطيع الكاتب أن يصور لك حرباً من غير أن يسجل في صورته هذا
الطابع القوى الجميل... وهانحن أولاء نقدم لك في الصفحات التالية موجزاً
مختصراً من رسالة « قناة السويس » ، لتعرف كيف كان المصلح يعالج
أخطر دور اصطدمت فيه الوطنية الاقتصادية بالسياسة الاستعمارية في تاريخ
مصر الحديث

تحقيق تاريخي في مشروع القناة

كتب الفيلسوف الألماني ليبنتز (Leibnitz) تقريراً للويس الرابع عشر ملك فرنسا يقول فيه :

« إذا أردت أن تضرب هولندا في مقتلها ، فأمامك مصر ؛ فانك تنال منها فيها ما لا تناله بلادها نفسها ؛ لأن هولندا أمة تجارية ، وحياتها في بقاء تجارتها ؛ فاذا زحفت على مصر وأخذتها ، وحفرت ترعة السويس ، احتكرت لبلادك جميع التجارة ، وأمت هولاندا وغيرها ، وأصبحت سيد الهند وبلاد الشرق ، وقطعت طريقها على من عداك . وزد على ذلك أنك تنال أجراً كبيراً عند الله وعند الناس ، إذ تخلص هذه البقعة المباركة من أيدي المسلمين الذين لا يليق بالأمم المسيحية أن تسكت على بقاءها في أيديهم »

أصبحت هذه الغاية التي رسمها ليبنتز هدفاً من أهداف الجهاد في نظر الفرنسيين ، واتخذ هذا الهدف لوناً من القداسة حتى تعرضت لتحقيقه في أوائل القرن التاسع عشر جماعة السان سيمونيين^(١)

كان نابليون بونابرت قد تأثر بهذا الهدف ، وأوعز إلى بعثته العلمية التي وفدت معه إلى مصر أن تدرس مشروع فتح قناة السويس . ولقد أشارت هذه البعثة إلى هذا المشروع في كتابها « وصف مصر » ، ثم فصلت هذا المشروع بهذا الكتاب تفصيلاً فنياً دقيقاً . . . إلا أن الأيام لم تتح لنابليون أن ينفذ هذا المشروع

(١) السان سيمونيون جماعة من الفلاسفة المسيحيين ، كانوا يدعون إلى إسعاد الانسانية بايجاد الروابط عن طريق تخطيط المواصلات الجديدة لربط العالم كله برباط واحد . فضلاً عن أنهم كانوا من أول الذين نادوا بالاشتراكية في العالم

فلما استقر الحكم في مصر لمحمد علي باشا الكبير ، وكان محمد علي صديقاً
للفرنسيين ، أرادت جماعة السان سيمونيين — وعلى رأسها الأب « أنفانتين »
— أن تعمل على فتح القناة ، وجاء رئيسهم بالفعل إلى مصر لهذه الغاية . لكن
صفته الدينية في سائر أعماله كانت في مقدمة العوائق التي جعلت فكرة هذا
المشروع تهبط في عهد محمد علي و ابراهيم وعباس الأول

ثم جاء دور « فردينان دلسبس » . . . وفردينان دلسبس كان
رجلاً من رجال فرنسا الذين شغلوا مناصب سياسية رفيعة في الخارج ، ثم
انتهى إلى المشروعات العامة التي تجمعت برأسه وتلخصت في مشروع فتح
قناة السويس

قرأ فردينان كل ما كتب عن القناة المنشودة ، وزار مصر وعان بنفسه
وبواسطة بعض خلائه من المهندسين الموقع الذي ينبغي أن يكون للقناة ؛
وسعى السعي الحثيث ليستصدر من صاحب مصر أمراً بشقها ، ففشل كما فشل
غيره إلى عهد عباس الأول

..... وذات يوم من أواخر أيام سنة ١٨٥٤ تسلم فردينان دلسبس
خطاباً بوفاة عباس الأول فجأة ، وانتهى الحكم في مصر إلى سعيد باشا ؛ فرقص
قلبه تفاؤلاً وطرباً ، لأن « سعيد باشا » كان رفيق صباه في عهد الشقيف بياريز ،
كما كان هو رفيق شبابه بمصر حين زارها في عهد محمد علي باشا الكبير . . .
وإذن فقد كتب إلى سعيد وإلى مصر يهنئه بولايته ، ويتواعد وإياه على اللقاء
لتقديم فروض التهئة شخصياً

جاء دلسبس إلى مصر من فوره للزيارة ، لكن هذا الزائر لم يبرح
الديار ، ولم يبرح ظله ظل الوالي يوماً واحداً !! . . . كان دلسبس على قوة
الصلة التي بينه وبين سعيد باشا وجلا من مفاحته بمشروعه ، إلى أن كانا ذات
صباح في نزهة خلوية من نزعات الصيد على ظهور الخيل ، وفي معيتهما طائفة
من كبار الضباط وشرذمة من الجنود

هناك أدهش دلسبس الجميع بعدوه وقفزه بجواده فوق الحواجز العالية وإصابة الهدف الذى عجز الجند عن إصابته بينادقهم . ويقول بعض المؤرخين : إن هذا الحادث العرضى جعل من فردينان دلسبس رجلاً ثقة فى نظر رجال الدولة ، فعادوا يتمدحون بعبقريته ورجاحة فكره ؛ وكان الرجل نهائياً للفرص ، ففاجأ سعيداً بمشروعه فى أسلوب شاعرى أراد به أن يقنع والى مصر بانسانية هذا المشروع وعظمته التاريخية . وما زال بالأمر يبعثه خياله وأحلامه المعسولة حتى استهواه المشروع ، ووافق عليه موافقة مبدئية أعد دلسبس بيده فرمان مشروع قناة السويس ، ووقع عليه سعيد باشا فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٤ ؛ لكنه علق إعطاء الصفة النهائية لمشروعية فتح القناة على تصديق الباب العالى على هذا فرمان

بأمر دلسبس بالسفر إلى الآستانة ؛ وكان هناك سفير إنجلترا بالمصراف لهذا المشروع . وظل الرجلان يتساجلان لدى الدولة العلية ؛ والدولة حائرة بين إرضاء إنجلترا الخليفة ، وبين حجة فرنسا أن الإنجليز لم يتدخلوا لدى الباب العالى بصفة رسمية ضد المشروع ؛ وبين هذين وبين إرضاء سعيد باشا الذى لم يتوان عن إمداد السلطان بالمال والرجال فى حروبه المتواصلة

طالت إقامة دلسبس بالآستانة ، وتكررت زيارته لها ؛ فاكتمل بأن يحصل على كتاب من الصدر الأعظم يتضمن عدم كراهته مشروع قناة السويس أو عدم معارضته ؛ وعاد إلى مصر ، فسبقتة الرسائل إلى واليها من بعض كبار رجال الدولة العثمانية تحت تأثير إيجاء السفير البريطانى ، وكلها مهاجمة للمشروع وتفنيد لفكرته ؛ وكانت هذه الرسائل سبباً من الأسباب فى إقالة الصدر الأعظم ! جاء دلسبس إلى مصر مرة أخرى يحمل جعبة كبيرة من الاغراء للأمير كى يأمر بالتنفيذ ، وما زال دلسبس يرسم الخطط لتنفيذ مشروعه ... وكان فى مقدمة هذه الخطط السفر إلى لندن ، وتكوين رأى عام عن طريق الصحافة لمصلحة المشروع ضد رجال الدولة الانجليزية الذين يعارضونه معارضة

شديدة.... وأخذ دلسبس يلقي الخطبة تلو الخطبة، دعاية عن مشروعه، إلى أن بلغت خطبه عشرين خطبة... ثم استعان بتصريح من « مترنيخ » رئيس حكومة النمسا، شيخ سياسي العالم في زمانه، لتأييد المشروع لم يكتف الرجل بهذا كله، بل ألف لجنة من كبار مهندسي العالم مختلفة أجناسهم، وجاء بهم إلى مصر، واستكتبهم تقريراً بوجاهة فكرته فنياً وجغرافياً ودولياً؛ واعتبر هذا التقرير الصادر من رجال فنيين ذوى مراكز عالية في مختلف الأمم الأوربية سنداً عظيماً للتنفيذ... خلف معارضة انجلترا الشديدة جانباً واستصدر - تحت تأثير الإلحاح العاطفي على سعيد باشا - فرماناً جديداً بالتنفيذ؛ وكرر تاريخ الحوادث نفسه، فأبى الأمير إلا أن يجعل الصفة القطعية لهذا القرار متعلقة بالباب العالي

فلما لم يبد الباب العالي اعتراضاً أو موافقة، اعتبر فردينان دلسبس أمر هذا فرمان نافذاً، وشرع في تشكيل الشركة التي تنفذه!... وخلص الله الأمير سعيداً من ورطة الخلاف الدولي على تشكيل هذه الفكرة بأن ضمه إلى فسيح جواره في يناير سنة ١٨٦٢

توفي سعيد باشا بعد أن كان دلسبس قد اعتمد على تصريحاته، فبادر بتنفيذ مشروع شركة فتح القناة بالفعل، وأعلن تأسيس الشركة وافتتاح الاكتتاب فيها على أساس كونها شركة مساهمة رأس مالها ٢٠٠ مليون من الفرنكات، مقسمة إلى ٤٠٠ ألف سهم، قيمة السهم الواحد ٥٠٠ فرنك

حارب الانجليز هذه الشركة في صحفهم حرباً عواناً أخاف الكثيرين من أرباب الأعمال في سائر بلاد العالم أن يكتتبوا في أسهمها؛ لكن دلسبس الذي لم يكن ليهداً باله قبل تنفيذ مشروعه، استطاع أن يجعله اكتتاباً شعبياً. وتعصب الفرنسيون لمواطنهم، فاكثبوا وخدم في ٢٠٧١١١ سهماً. وأسفرت نتيجة الاكتتاب عن توزيع باقي الأسهم كما يلي: -

٤٠٤٦ اكتب بها الأسبانيون؛ و ٢٦١٥ اكتب بها الهولنديون؛

و ١٧١٤ اكتب بها التونسيون ؛ و ١٣٥٣ اكتب بها الايطاليون ؛
و ٩٦٥١٧ اكتب بها سعيد باشا باسم مصر والدولة العثمانية ؛ و ٨٥٥٠٦
كان دلسبس قد تركها لسائر الأمم ، فلم يكتب بها أحد ، فأضيفت إلى
حصة مصر ؛ وقد أصبحت بعد هذا ١٧٧٦٤٢ سهماً ، أى أن حصة مصر
قد أصبحت توازى خمس أسهم الشركة تقريباً ، وهى الحصة التالية لحصة فرنسا
مباشرة . ولم تكتب بقية الأمم الأخرى إلا فى ١٠٤١ سهماً ، اكتب بها
سبعة بلاد من أقطار أوربا !!

كان طبعياً أن الانجليز أصحاب رؤس الأموال الكبيرة لم يكتبوا فى سهم
واحد . وكان هذا الامتناع من جانبهم طبعياً بعد أن ظلوا خمسة عشر عاماً
يحاربون المشروع حرباً جديدة . ومع أن الامتناع كان ضربة قوية ضد دلسبس ،
ولاسيما أن المبالغ المكتتب بها لم تكن هى القيمة الكلية للأسهم ، ولم يكن
حملة الأسهم أنفسهم من أصحاب المال الذين يطمئن صاحب المشروع إليهم
— مع هذه الضربة القوية سار الرجل فى تنفيذ خطته جباراً عنيداً ؛ واعتمد
على إذن سعيد له بإجراء الأعمال التحضيرية ، فتدرج من الأعمال التحضيرية
إلى صميم أعمال الحفر !

هال الانجليز ما يعمل دلسبس ، فاحتجوا لدى سعيد باشا ، فأرسل
وزير خارجية مصر إلى دلسبس يحتج بدوره على هذه الأعمال التى تعدت إذن
الوالى . . . لكن دلسبس كان قد نسى الصداقة والعرف السياسى وراه
معاً ، فأجاب على الوزير بأنه لن ينقطع عن عمله بعد أن تألفت للمشروع شركة
مالية مساهمة ، لفرنسا المصلحة الكبرى فيها ؛ وأنه إذا اتخذت الحكومة المصرية
أى إجراء لتوقيفه عن العمل ، فسوف يحمل سعيد باشا (صديقه الحميم) كل
الخسارات الفادحة التى تترتب على الايقاف
كانت هذه هى أول مكافأة قدمها فردينان دلسبس إلى الأمير ، لكن
الأمير كان فى طريقه إلى الله . . .

تحقيق سياسى فى انشاء القناة

ولى اسماعيل باشا الحكم وهذه هى الحال إزاء مشروع قناة السويس .
وقد تدخل الباب العالى فى الأمر ، فامتنعت حكومة مصر عن توريد العمال ،
وتعطل العمل فى حفر القناة حيناً ؛ لكن مياه البحر كانت قد وصلت إلى بحيرة
التمساح ؛ ولم يستطع رجال الشركة التقهقر ، فتقدموا بمطالبهم إلى الخديو
اسماعيل أمير مصر الجديد ؛ فاستند اسماعيل على كون الشركة لم توف العمال
المصريين أجورهم ؛ وبما أن فى هذا إخلالاً بالعقد الذى بين الأمير السالف وبين
الشركة ، فهو لا يرى مانعاً من إخلال الحكومة المصرية هى الأخرى برغبات
الشركة . . . وأضاف إلى هذا أنه مع كل الذى حدث ، يقبل تحكيم نابليون
الثالث صاحب فرنسا فى هذا الأمر

أجل . . . لكن هذه القضية كانت قد أخذت - بصفة غير ظاهرة تماماً -
عصية دولية فى فرنسا ؛ فلما احتكموا إلى نابليون الثالث - وكان هناك ثمة
خلاف آخر بين الشركة وحكومة مصر على الأراضى التابعة لميادين المشروع
بالصحراء وبمديرية الشرقية ذاتها - حكم صاحب فرنسا بالزام مصر بدفع
٨٤ مليوناً من الفرنكات للشركة !!

كان الخديو اسماعيل ، قبل أن يعرف نوايا فرنسا ، قد قبل هذا التحكيم ؛
فأصبح الحكم نافذاً . . . وكانت حالة مصر الاقتصادية تنتقل كل يوم من
سوء إلى أسوأ ، فلم تكن لديها المالية التى تسدد منها هذه الغرامة أو هذا
التعويض الفادح ، وبقيت حصة الحكومة فى يد الشركة ضامنة لديها ، ولم
تستفد الحكومة من أرباح سهومها خمسة وعشرين عاماً !!

مهما يكن من شئ فقد افتتحت القناة رسمياً فى ١٧ نوفمبر سنة ١٨٦٩ .

وقد احتفل الخديو اسماعيل بهذا الافتتاح احتفالاً رسمياً مقطوع النظير ،
تكلفت له خزائن مصر مليوناً ونصف مليون من الجنيهات ؛ وقد حضر هذا
الاحتفال من ملوك أوروبا وملكاتهما وأمباطوراتها الكثيرون
افتتحت القناة ولم تكن حالة الشركة المالية في السنين الأولى من
افتتاحها إلا حالة عسرة ، لكن الشركة استطاعت أن تعقد القروض واحداً
بعد الآخر حتى سار دولاب أعمالها سيراً حثيثاً إلى الأمام ، وأخذت الأرباح
تزيد سنة عن أخرى

ذلك بينما كانت مالية مصر تزداد سوءاً سنة عن سنة ، حتى اضطرت
الحكومة المصرية في سنة ١٨٧٥ أن تطلب قرضاً من الخارج ، وأراد فرانسوا
شركة القنال أن يعقدوا لها هذا القرض من بنوك فرنسا ؛ لكنهم لم يفلحوا .
وهنا تحفز الانجليز وتدخلوا في مسألة استئذان مصر ، وقدموا إلى الخديو اسماعيل
١٠٠ مليون فرنك أو يزيد ، وتسلبوا منه أسهم مصر في قناة السويس
لعل أدل الأدلة على قوة رغبة الانجليز في السيطرة على شركة القناة
التي كانوا يعارضون في فتحها ، أن الحكومة أتمت هذه الصفقة ، وعقدت مع
بنك روتشيلد بلندن قرضاً لاتمامها قبل أن يصدق البرلمان الانجليزي
على إجرائها !

تحقيق اقتصادى فى شركة القناة

لم تبق لمصر إلا أرباح حصتها التأسيسية... لكن ما كادت تجيء سنة ١٨٨٠ حتى كانت الحالة المالية قد اضطربت ثانية؛ فباعَت حصتها نظير ٢٢ مليون فرنك للبنك العقارى الفرنسى، الذى أسس لاستغلال هذه الحصة شركة كان نصيبها من الربح عام ١٩٠٨ فقط ٧٧٤٧٧٧ر١٠ فرنكا

ثم جاءت سنة ١٨٨٢، وجاء معها الاحتلال البريطانى على أثر الثورة العراقية فى مصر، فاحتل الانجليز قناة السويس احتلالا عسكريا. ولم يكن هذا الاحتلال بمانع للملاحة التجارية؛ إلا أن الدول الأخرى - وفى مقدمتها فرنسا، قد هالها الأمر، وأرادت أن تكون القناة منطقة دولية محايدة؛ وعقد لهذه الغاية مؤتمران: مؤتمر بياريس سنة ١٨٨٥، ومؤتمر بالآستانة سنة ١٨٨٨. وقد قرَّر المؤتمرين على حيدة القناة وعدم احتلالها أو احتلال الأرض التى حولها إلى بُعد ثلاثة أميال احتلالا عسكريا

وقد ظلت إنجلترا السنين الطوال ترفض التصديق على هذا القرار إلى أن جاءت سنة ١٩٠٤، وتم الاتفاق الاستعمارى فى الشرق بين الانجليز والفرنسيين؛ فصدقت إنجلترا على هذا القرار... لكن بعد أن كان الانجليز قد أصبحوا من ذوى المصالح والنفوذ الأكبر فى القناة وشركة القناة

« هذه هى مجريات حوادث شركة القناة إلى الآن؛ تلخص فى أنه بعد أن كادت الشركة تقع فى الإفلاس فى أول عهدها، وهبطت أسهمها إلى ١٦٠ فرنكا بدل ٥٠٠، أصبحت الآن تباع أسهمها بسعر مائتى جنيه؛ وبعد أن كانت حصة التأسيس فيها لا قيمة لها، أصبحت الحصة الواحدة تباع وتشتري بنحو مائة ألف جنيه؛ ولغولها قسمت الواحدة إلى ألف جزء،

«وبعد أن كانت تصدر بونات بدل الكوبونات المتأخرة ، وتدفع عليها
فائدة ٥ في المائة ، أصبحت توزع أرباحاً بواقع ١٥١ فرنكا عن كل سهم ،
و٧١٤٨٩ فرنكا عن كل حصة تأسيس»

«وبعد أن كان دخلها لا يفي بمصروفها ، أصبح يربو على المائة وعشرين
مليوناً من الفرنكات . أما مصر فلم يبق لها فيها لاسهم ولا حصة ؛ واستفاد كل
العالم من القناة إلاها ، حتى إن الحكومة الفرنسية تقبض كل سنة الملايين
من الفرنكات رسوماً على الكوبونات والأرباح التي تصرف في بلادها ، (١)»

وإليك بياناً عما سلف بالأرقام . ونحن وإن كنا لم نورد في جداولنا
التفاصيل الحسابية الفياضة التي أثبتها المصلح العظيم في كتابه «قناة السويس» ؛
إلا أننا أردنا أن نعطيك هذا البيان صورة حية من الجهد الجبار الذي بذله
لاظهار حق الوطن على حجب المعتدين . ونحن والبيانات التالية إنما نقيم الدلائل
على أن طلعت قد ارتفع بتجاربه الحسابية الجديدة عن مصالح الأفراد
والشركات والجماعات إلى مصلحة أمة بأسرها

أصول

ميزانية الشركة

ستيم	فرنك	
٨٧	٦٢١١٩٧٩٧٩	تكاليف القناة وما صرف في تحسينها حتى آخر سنة ١٩٠٧
١٥	١٢٣٥٠٠٠٨١	صرف عام ١٩٠٨
٢	٦٥٢٤٣٩٤٥	موجودات الشركة من أدوات ومهمات حتى آخر سنة ١٩٠٨
١	٨٩٣٢١٨٤١	نقدية بالصندوق أو البنوك وأوراق وضمائم مطلوبة حتى آخر سنة ١٩٠٨
٠٥	٧٨٨١١٣٨٤٧	

سنتيم	فرنك	
—	٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠	رأس مال الشركة وهو ٤٠٠٠٠٠٠ سهم في ٥٠٠ فرنك
—	٩٩٩٩٩٩٩٠٠	سلفية سنة ١٨٦٧ — ١٨٦٨ وقدرها ٣٣٣٣٣٣٣ سنداً قيمته الاسمية ٥٠٠ فرنك وسعر إصداره ٣٠٠ — ٥٠٪ على قيمته الاسمية
—	١٢٠٠٠٠٠٠٠٠	سندات سنة ١٨٧١ مقدارها ١٢٠٠٠٠٠ أصدرت بسعر ١٠٠ فرنك وتدفق بسعر ١٢٥
—	٣٤٠٠٠٠٠٠٠٠	بونات، بدل متجمد السكوبونات المتأخر، ٤٠٠٠٠٠٠ سند سعر ٨٥ فرنك فائدة ٥٪
٨٥	٢٦٩٩٩٩٩٦١	سلفية سنة ١٨٨٠ قدرها ٧٣٠٠٢٦ سنداً ٣٪ (أول دفعة) أصدرت بسعر ٣٧٠ فرنك وتستهلك بسعر ٥٠٠ فرنك
٣١	٩٩٩٩٩٩٥٣٧	سلفية سنة ١٨٨٧ قدرها ٢٣٨٩٦٤ سنداً ٣٪ (ثاني دفعة) قيمة السند الاسمية ٥٠٠ فرنك وقيمة الاصدار ٤١٤
—	٨٤٠٠٠٠٠٠٠٠	متحصل من الحكومة المصرية بناء على تحكيم نابليون الثالث
—	٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	متحصل منها بدل كوبونات أسهمها مدة ٢٥ سنة
٣٠	٣٧١٧٤٣٠٧	إيرادات مختلفة قبل فتح القناة كفوائد ناجمة من تشغيل القود المتوفرة وثمن أراض وغير ذلك
٤١	٤٩٨٣٧٦٤٧	حاصل الاستهلاكات
٤٦	٢٩٨٦١٨٢٩	الاحتياطي القانوني
٨٨	٨٤٠٥٩٣٦٤	مطلوبات من الشركة باقى أرباح سنة ١٩٠٧ ، سنة ١٩٠٨ تحت الصرف
٨٤	١٨١٢٩٨	مترحل للسنة المقبلة
٥٥	٧٨٨١١٣٨٤٧	

القيمة النقدية للقناة

في نهاية سنة ١٩٠٩

فرنك	
١٩٠٦٠٥٧٥٠٥٤٠	(١) أسهم رأس المال أصلها ٤٠٠٠٠٠ سهم وبقا منها بعد الاستهلاك ٣٨٠٥٥٤ وذلك حتى يوم ٣١ ديسمبر سنة ١٩٠٩ بيورصة باريس ٥٠١٠ فرنكات فيكون الثمن
٨٢٩٣٧١٩٠	(٢) أسهم انتفاع قدرها ١٩٤٤٦٦ سعر الواحد منها ٤٢٦٥ فرنكا
٢٢٤٨٠٠٠٠٠٠	(٣) حصص تأسيس أصلها ١٠٠ وقسمت كل إلى ألف قسم ثمن القسم ٢٢٤٨ فرنكا
٢٩٧٤٦٤٦٤٠	(٤) حصة الحكومة المصرية التي تنازلت عنها للشركة المدنية قسمت إلى ٨٤٥٠٧ أجزاء كل جزء قيمته ٣٥٢ فرنكا قيمة سندات الديون الباقية بدون استهلاك لغاية آخر سنة ١٩٠٩
	(٥) سلفية سنة ١٨٦٧
	أصلها ٣٣٣٣٣٣
	مستهلك منها ٢٠٨٤٩٥
٧٦٦٥٠٠٥٣٢	١٢٤٨٣٨ ثمن كل سند ٦١٤
	(٦) باقى ثمن البونات لسنة ١٨٧٥ بدل متجمد
	أصله ٤٠٠٠٠٠
	استهلك منه ٢٢٧٢٧
٣٣٥٧٧٢٩٧	٣٧٧٢٧٣ فى ٨٩ فرنكا
	(٧) باقى من سلفية سنة ١٨٨٠
	أصله ٧٣٠٢٦
	استهلك منه ٩٠١٤
٣٠٤٣٧٧٠٦	٦٤٠١٢ فى ١ ٤ ٧٥ فرنك
	(٨) باقى من سلفية سنة ١٨٨٧
	أصله ٢٣٨٩٦٤
	استهلك منه ٥٥٧٨
١٠٩٥٧٤٧٢٧	٢٣٣٣٨٦ فى ١ ٤ ٦٩ فرنك
٢٨٠٢٥٨٠٩٩٢	

هذا المبلغ يساوي ٥٦١ و ١٠٩ و ١٠٨ جنيتها و ٧٦٦ مليما

خسارة مصر في المشروع

إلى سنة ١٩٠٩

فرنك	
٨٨٠٠٠٠٠٠٠٠	ثمن الأسهم التي كانت لها وعددها ١٧٦٦٠٢
٨٤٠٠٠٠٠٠٠٠	التعويض الذي حكم به على مصر نابليون الثالث
٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠	ثمن حقوق وأذنية تنازلت مصر في نظيرها عن كوبونات أسهمها ٢٥ سنة
١٠٠٠٠٠٠٠٠٠	فوائد بسعر ١٤ر١٢ ٪/ وخصم وعمولة للحصول على دفع المبالغ المذكورة للشركة
٣٨٠٠٠٠٠٠٠٠	نفقات حفلة افتتاح القناة حسب تقدير علي باشا مبارك
٦٠٠٠٠٠٠٠٠٠	ماهيات لموظفين ساعدوا في أعمال القناة وأجر النقل وتكاليف التزعة الحلوة من القاهرة وما صرف في الاستانة بخصوص القناة وما تبرع به سعيد باشا قبل تأسيس الشركة . الخ
	مدفعتها مصر إلى إنجلترا فائدة على ثمن الأسهم بدل الكوبونات التي كانت قد تنازلت عنها للشركة مدة ٣٠ سنة :
١٠٠ر٢٠٩ر٨٦٠	فرنك
٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠	ناقص المبلغ الذي تنازلت مصر في نظيره عن الكوبونات
٧٠ر٢٠٩ر٨٦٠	
٤٧٠ر٢٠٩ر٨٦٠	يخصم من ذلك
١٠٠ر٢٠٩ر٨٦٩	قيمة ما قبضته مصر من انكلترا ثمن أسهمها
٢٢ر٠٠٠٠٠٠٠٠	قيمة ما باعت به مصر حقها في الأرباح بواقع ١٥ ٪/
١٢٢ر٢٠٩ر٨٦٩	
٣٤٧ر٩٩٩ر٩٩١	

وهذا المبلغ عدا الخسارة التي خسرتها مصر من رسوم وأجر مرور بضائع ببلادها لو لم تنشأ القناة

الدفاع عن حق الوطن

لعلك الآن توافقنا، بعد هذا كله، على أن كل وصف أو تعليق على الوثيقة التاريخية العظيمة التي كتبها طلعت حرب تحت عنوان «قناة السويس» لم يكن يؤدي إلى الغاية التي وصلنا إليها بهذا التلخيص، فهذا التلخيص وحده نستطيع أن ندلك — ليس فقط على الجهود الطلعتية في هذه القضية، بل إننا ندلك أيضاً على الأسس التاريخية التي حققها الرجل، وبني عليها دفاعه المجيد وتفنيد المنطقي الجريء لمزاعم المستشار المالي الذي ثبت أخطر جوانبه فيما يلي :

١ — مناقشة مذكرة المستشار المالي

اعتبارات عامة (١)

ليس من غرضنا أن نتحرى السبب الذي جعل جناب المستشار المالي يفتي بفائدة هذا المشروع لمصر؛ حتى مع امتياز الشركة بالخمسين مليوناً الأولى من دخل القناة؛ حتى مع تحمل الحكومة المصرية لمعاشات مستخدمي الشركة بعد سنة ٢٠٠٨، أي حتى مع الشروط التي رفضها مجلس النظار باجماع الآراء في جلسته المنعقدة في ٢٧ يناير سنة ١٩١٠ - ولكن الذي يهمنا الآن هو البحث في المذكرة من جهتيها، أي من جهة الاعتبارات العامة المصدرة بها، ثم من جهة الفروض الحسابية التي استنتج منها جنابه أن قبول الحكومة المصرية لهذا العرض من مصلحة مصر.

من المسلم به أن الحكم على دخل القناة بعد سنة ١٩٦٨ حكماً دقيقاً هو

(١) ص ١٢٠ «قناة السويس» لمحمد طلعت حرب

من المستحيلات حقيقة ، كغيره من الأحكام التي تصدرها على المستقبل البعيد .
ولكن الأمر الوحيد الذي تجب ملاحظته في هذه الحالة هو النتيجة التي
يخرج بها العقل من قياس الماضي والحاضر ، مع النظر بصفة ثانوية لنتائجها في
المستقبل القريب

نرى زيادة دخل شركة القناة في الماضي والحاضر كلها مطمئنة تدل
على أن الزيادة ستبقى مطردة مادامت المدنية الحالية ، ومادام الشرق والغرب
كلاهما في حاجة إلى مبادلة المنافع ، ومادامت مبادئ التمدن تميل إلى السلام .
وليس بنافع أن نبعد الفروض الخيالية إلى حد أن تخرج بنا إلى الشذوذ عن
القواعد المرعية الاتباع في مدينتنا الحاضرة . فليس علينا تلقاء هذا المستقبل
المجهول إلا أن ننظر فيما إذا كانت الاعتبار العامة التي أوردناها جناب
المستشار في صدر مذكرته تجعلنا نقبل المشروع وأعيننا مربوطة ، أو هي ذاتها
على العكس من ذلك تجعلنا نصر على رأينا من أن الصفقة خاسرة ، وأن الأولى
بمصر هو عدم قبولها

أما إنقاص رسوم المرور في القناة فلا شك أن الميل إليه شديد من
جانب أصحاب السفن والتجار ، ولكن الماضي يجعلنا أن إنقاص الرسوم لم
يولد إنقاصاً في الإيراد . بل على العكس من ذلك نرى أن الرسم على الطن
الواحد كان ٩ فرنكات و ٥٠ سنتيماً في سنة ١٨٩٠ ، وكان إيراد الشركة في تلك
السنة ٧٠ مليوناً من الفرنكات ؛ فلما أنزل رسم الطن في سنة ١٨٩٣ إلى ٩
فرنكات ، كان مجموع دخل الشركة ٧٦ مليوناً حتى وصل في سنة ١٩٠٢ إلى
مبلغ ١٠٦ ملايين . وفي سنة ١٩٠٣ أنقص الرسم فصار ٨ فرنكات و ٥٠ سنتيماً ،
فوصل دخل القناة إلى مبلغ ١١١ مليوناً ؛ وكذلك استمر يزيد مع نقص
الرسم حتى وصل في سنة ١٩٠٩ إلى مبلغ ١٢٣ مليوناً . وعلى ذلك فإن أصحاب
السفن والتجار لا يطلبون إنقاصاً غير معقول لتلك الرسوم ، بل إن نقص
الرسوم لم يؤثر إلى الآن تأثيراً يعتد به بالنسبة للدخل السنوي . وعلى ذلك

يكون التخوف من إنقاص الرسوم تخوفاً مبالغاً فيه
وأما الاختراعات العلمية لوسائل النقل فإن الموضع الجغرافي لقناة
السويس لا يؤثر فيه بوجاز بناما ولا سكة حديد بغداد . وحسبنا في ذلك
أن نذكر طرفاً من خطبة البرنس دارنبرج رئيس مجلس إدارة الشركة نفسه
في الجمعية العمومية للشركة في ٢٠ يونيه سنة ١٩٠٨ ، إذ قال :

« ماذا نخشى في المستقبل ؟ لم يعد بعد محل لذكر هذه الحكاية ، حكاية
قناة ثانية ؛ فقد ذهب بها الزمان . وإن سكة حديد سبيريا وسكة حديد بغداد
لا يمكنهما إلا أن تسرعا في حركة التجارة . فاذا نقصنا بسببهما بعض الركاب ،
فمن المحقق أن التجار يفضلون دائماً في نقل بضائعهم طريق البحر

« إن قناة بناما لن تتحقق قبل عشرين سنين ، ومع ذلك فإن الطريق الأفضل
بين الغرب والشرق سيكون دائماً طريق قناة السويس — فلقد رأيت النتيجة .
فهما يكن من الأمر فإن أرباحكم لن تقل ؛ وإنا لنتظر اليوم الذي يمكننا من أن
يكون لدينا ما نزيد به ما نوزع على الأسهم . وهذه الزيادة لا بد أن تجيء ؛
فإن الصين تبتدىء فقط الآن في أن تفتح أبوابها للتجارة . وإن فيها من
السكان ما يربو على سكان أوروبا أجمع . ولا شك في أن حاجة هؤلاء السكان
تزيد شيئاً فشيئاً تبعاً للمسالك التي تجوس خلال تلك الديار »

ولسنا نقف في خطبة البرنس دارنبرج عند هذا الحد بل نقطف منها
أيضاً ما يصلح أن يكون رداً على ما ذكره جناب المستشار المالي من احتمال
إنقاص الرسوم . نترك رئيس الشركة يتكلم

« وإن إنقاص الرسوم ليس من شأنه أن يخيفنا . إنكم لتعلمون حق العلم
أن ذلك لا يكون إلا بعد أن يزيد ما يوزع من الأرباح على الأسهم ، وإنكم
لتذكرون أن إنقاص الرسم ٥٠ سنتيماً في سنة ١٩٠٣ قد عوض في سنة واحدة .
وإنكم لتذكرون أيضاً أن إنقاص الرسم ٧٥ سنتيماً سنة ١٩٠٦ قد عوض
علينا في أقل من عامين . ترون بذلك أن إنقاص الرسم لا يخيفنا في شيء . »

من ذلك يظهر لنا أن لا مزاحمة قناة بناما ولا إنقاص الرسوم يمكنها أن تكون هي قاعدة المفاوضات في مد امتياز قناة السويس بقيت هذه الفكرة التهديدية، وهي أن الظروف الاقتصادية والمالية قد تجعل القناة حرة. هذه الفكرة لا نعرف أنها تحققت في الماضي إلا في ممرات السوند وبلت الكبير والصغير في معاهدة ١٤ مارس سنة ١٨٥٧ التي أخرجت هذه الممرات من أن يكون اجتيازها بضمن رسم معلوم إلى أن يكون حراً للتجارة العامة. هذه المعاهدة التي حصلت في كوبنهاجن بين ملك الدانمرك ومملوك الأمم الأخرى قد قضت بأن يعوض الخسارة الناشئة عن تحرير هذه الممرات. ولقد قدرت بايراد خمسة وعشرين عاماً، فبلغ المجموع ٣٢٥٠٠٠٠ ريجدلار (والريجدلار يساوى ٢٩ سنتيماً — ٢ فرنك)

يتبين من هذه المعاهدة أن الدول لم تأخذ إلى اليوم قناة غصباً. وليس من الممكن أنها تتفق جمعاء على غزو بلد واحد لتحرير قناة بالقوة. ولو حصل ذلك فانه لا سيبل لحساب القوة القاهرة في عقد مدنى لا يتم إلا باتفاق طرفى المتعاقدين بالاختيار التام

على أننا مع هذه الاعتبارات كلها نرى أن نضم إليها اعتباراً آخر جديراً بالالتفات، وهو أن أمام الحكومة المصرية تسعة وخمسين عاماً يمكنها فيها أن تتحين الفرصة المناسبة لقبول مد الامتياز بشروط أحسن من هذه الشروط المعروضة، إذا اضطررنا ظروف الأحوال المستقبلية إلى أن نفضل إبقاء قناة السويس في يد شركة أجنبية دولية

٢ — تعليق المؤلفين

لقد أفاض في مناقشة مذكرة المستشار المالى أيضاً استغرق الفصول وعشرات الصفحات المليئة بالحجج الدامغات والمنطق الحسابى القاطع... وقال: إننا إذا راعينا حساب الشركة الذى أثبتناه من قبل فسوف نخرج بنتيجتين:

١ — أن زيادة الأيراد في السنوات المقبلة (مع ملاحظة أن هذه

المناقشة قد كانت في سنة ١٩١٠) لن تقل بحال عن المليونين سنوياً

٢ — أن إيراد الشركة في سنة ١٩٦٨ (سنة انتهاء مدة الامتياز التي

كان يراد مدتها من ابتدائها) سوف يكون بناء على هذه الزيادة ٢٣٥ مليوناً

من الفرنكات . وبعملية حسابية بارعة أثبت لنا طلعت حرب أن إيراد الشركة في

المدة الجديدة المنشودة سيبلغ ١٠٠٠.٠٠٠.٠٠٠.٢٢٠.١٠، وأن مصروفاتها لن تتعدى

٨٠٠.٠٠٠.٠٠٠ من الفرنكات ؛ فيكون صافي الأيراد ٩٠٠.٠٠٠.٠٠٠.٢٢٠.١٠

فرنك أي ٣٦٣.٣٧٦.٥٠٠ جنيه مصري

تريد الشركة أن تتقاضى نصف هذا المبلغ كله ، وهذا النصف يقدر

بـ ١٨١.٦٨٨.٢٥٠ جنياً ، تضاف إليها فائدة قدرها $\frac{3}{4}\%$ في طول المدة ،

فتكون المبالغ التي تطمع فيها الشركة هي ٣٥٦.١٨٤.٢٠٠ جنيه مصري ؛

تبغى الشركة الحصول على هذا كله ، في حين أنها لا تعرض إزاءه إلا

« أربعة ملايين من الجنيهات المصرية على أربعة أقساط ، من ١٥ ديسمبر

سنة ١٩١٠ ؛ وحصّة في صافي أرباحها من سنة ١٩٢١ إلى سنة ١٩٦٨ ، بواقع

٤٪ عن السنوات العشر الأولى و ٦٪ في السنوات العشر الثانية و ٨٪ في العشر

الثالثة و ١٠٪ في العشر الرابعة و ١٢٪ في السنوات الثمان الخامسة ،

من الجلي أن هذه المبالغ التي تعرض الشركة التنازل عنها تعد غنياً

فاحشاً بالنسبة لمصر إزاء الفوائد الضخمة التي ستحرم منها بشروط مشروع

مد امتياز شركة القناة . . . ألا إن لهذا الغبن أضراراً جلاها طلعت حرب

خلال مناقشته المجيدة لمذكرة المستشار المالي في كلمتين تحت عنوان : « مضار

هذا العرض بالنسبة لمصر » ، « النتيجة » . ونحن نثبت هنا هاتين الكلمتين

للخلود ؛ وليتذكر شباب الأمة هذه المحاولة العنيفة التي يحاولها المحاولون ضد

مصالح البلاد ، وليعرفوا الذين كانوا حراساً على مصلحة الوطن :

٣ - مضار هذا العرض بالنسبة لمصر^(١)

قد أوضحنا مقدار ما تغبن فيه مصر لو جارت الشركة على رأيها و قبلت مد الأجل بالشروط المعروضة. ويرى القارىء أننا لم نبالغ في تقدير الدخل، كما أننا لم نقتصد في المصروفات؛ بل زدنا مقدارها وقبلنا حساب الشركة على صورته التي لا يرضاها، كما قلنا، إلا المضطر الذي لا خيار له، وإلا فما الحامل للحكومة المصرية على أن تتنازل عن نصف دخل القناة مدة أربعين سنة في نظير مبالغ تحسب عليها فوائد مركبة، نحو مائة عام - ولا يبتدىء استهلاكها إلا بعد ستين سنة

لسنا نظن أن الحكومة مضطرة للمال اضطراراً يسوغ لها أن تقترض بهذه الشروط، بدليل أن الأربعة ملايين جنيه لا تدفع إلا في أربع سنوات من ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٠؛ والحصة في الأرباح لا تبتدىء إلا من سنة ١٩٢١. ولو سلمنا باضطرارها للمال فلا نعدم وسيلة لا يجاده من الخارج؛ وأمامها مصلحة الدومين يمكن للحكومة أن تقترض عليها أربعة ملايين وزيادة. ولو فرضنا أنها اقترضت هذا المبلغ بفائدة أربعة في المائة، لا ثلاثة وربع ولا ثلاثة ونصف، وقسطت الدين على خمسين سنة لكان مقدار كل قسط من أصل وفائدة ١٨٦ر٢٠٠ جنيه؛ ولو قسطته على ٧٥ سنة لكان القسط ١٦٨ر٩١٦ جنيهًا - كلاهما زهيد قد لا يؤثر في ميزانيتها، ولديها في كل سنة من زيادة الإيرادات ما تسترد منه مثل هذا المبلغ وزيادة، ولو أرادت ألا تقترض خفي مكنتها أن تعمل بالدومين ما عملت بالدائرة السنوية فيأتيها المال بلا حساب

٤ - النتيجة^(٢)

يظهر للقارىء من أهمية قناة السويس من الوجهة السياسية، ومن

(١) ص ١٢٧ من كتاب قناة السويس (٢) ص ١٣٨ من كتاب قناة السويس

الوجهة المالية ، ومما عاناه آباؤنا القريبون والبعيدون من أمرها ، وما عاناه الجيل الحاضر من جراء مزاحمة الدول الأجنبية على بلادنا من هذه القناة . يظهر للقارىء من هذا كله أن مسألة قناة السويس ليست من المسائل التي تمر بنا كغيرها كل يوم من غير أن تتدبر فيها ونحسب لها حسابها ؛ فجدير بالامة المصرية أن تهتم بكل شيء يتعلق بها ، وجدير بالجمعية العمومية أن تدقق النظر في مشروع القناة المعروف عليها

ولقد ظهر من الأرقام غبن الامة المصرية إذا هي أنفذت هذا المشروع ، وظهر كذلك أن مبلغ الغرم هذا قد يقرب من دين الحكومة المصرية كله مضاعفاً نقول ذلك ونحن نتساءل مع المتسائلين عن الأسباب التي تكون قد دعت الحكومة المصرية إلى مناقشته في هذا العرض الجائر الذي يستحيل أن يعتبر فرصة لا تتجدد من اليوم إلى سنة ١٩٦٨

على أنه إذا كان لا بد من التعاقد اليوم على مد الامتياز تعاقد مقبولا ، يجب أن يكون هذا العقد مبنياً على القواعد الآتية :

أولاً — أن ما تعطيه الشركة من مقدم ثمن الامتياز ، وما تعطيه في المستقبل من صافي الأرباح إلى سنة ١٩٦٨ ، يكون متناسباً مع الأرباح التي تربحها الشركة من القناة في الأربعين سنة الجديدة ، مع مراعاة حساب ذلك بالقياس على الماضي والحاضر . أو أن تعطى الشركة للحكومة المصرية من اليوم جزءاً معلوماً من الأرباح على تلك النسبة ، من غير حاجة إلى إعطاء مبلغ ليعتبر ثمناً للامتياز كمبلغ الأربعة الملايين المعروضة

ثانياً — أن تقبل الشركة في مجلس إدارتها من يوم التعاقد مديرين مصريين بكل معنى الكلمة ، عددهم مناسب لمقدار الحصة التي تعطى للحكومة في الايراد . وليس في ذلك شيء من التحكم ؛ فان الحكومة الانجليزية بعد ما استولت على سهام الحكومة المصرية اضطرت الشركة لقبول ثلاثة مديرين انكليز ، بعد أن لم يكن للحكومة المصرية ولا مدير واحد . ثم إن أصحاب السفن

الانجليز قد اضطروا الشركة أيضاً إلى قبول سبعة مديرين آخرين لمجلس الادارة ،
حتى صار عدد الأعضاء الانكليز في مجلس الادارة عشرة . فليس من الغريب
أن تشرط مصر وهي مالكة القناة على الشركة أن تقبل منها مديرين للدفاع
عن مصالحها . خصوصاً بعد أن أظهر المستشار المالي تخوفه من احتمال أن
الشركة تنزل رسوم المرور تنزيلاً فاحشاً حين يأتي أجل تسليم القناة إلى
الحكومة . ولا نعلم بماذا نصف هذا العمل لو حصل ، أو كيف تقبل شركة
محترمة أن يذاع عنها مثل هذه الفكرة

ثالثاً — أنه ما دامت القناة ستؤول على كل حال للحكومة المصرية بعد
انقضاء مدة الامتياز الجديد ، أى بعد سنة ٢٠٠٨ ، فمن الواجب أن تتعهد الشركة
في العقد الجديد ألا تنقص شيئاً من رسوم المرور إلا بعد أخذ رأى
الحكومة المصرية

هذه هي الاعتبارات التي يلزم ملاحظتها متى أريد الاتفاق من الآن
على مد الامتياز . ومع ذلك نحن لا نزال نكرر أن من الخطر تجديد امتياز
لم يقرب أو ان تجديده من غير ضرورة ملجئة لذلك ؛ فلكل زمان حكم ،
ولكل جيل تصرف خاص به

على ذلك نرى المشروع من كل وجهة قلبناه عليها مشروعاً ضاراً
لا تصح الموافقة عليه

إلى هنا تكون قد رأيت كيف سخر طلعت حرب علمه وحسابه
في جهاده لوطنه ، وكيف أ كسب بعمله الجهاد الوطني لوناً زاهياً من دقة
الحساب ومهابة العلم

لقد كان كتابه «قناة السويس» نداءً وطنياً صارخاً ، وكان حدثاً عظيماً في
تاريخ الدفاع الوطني العلمى تحدث به أمة بل أمم .. ولقد استجاب له الوطنيون ؛
وهم ما يزالون في هذا الطور السياسى الجديد أكثر حاجة إلى الاستجابة له

زعيم الاستقلال الاقتصادي

فترة التفكير والانتقال — شج الاستعمار الاقتصادي — مقدمات النزاع
الوثبة الأولى — معهد الاستقلال الاقتصادي — شركات تحقق
الغايات — الوطنية الاقتصادية تنتصر — تحت لواء الزعيم

فترة التفكير والانتقال

كلما سرنا في تاريخ طلعت حرب خطوة أحسبنا أن الأيام كانت دائماً
تلازم بين حياته الخاصة وحياته العامة ، وأن المقادير كانت دائماً تهيئه لهذا
المستقبل العظيم الذي ينتظره ، بل الذي كان ينتظره الوطن من ابنه البار
المختار لزعامة الاستقلال الاقتصادي

فحين صفت الدائرة السنية أعمالها على يد « شركة الدائرة السنية »
وعرضت للبيع أراضيها كان أولى الناس بشراؤها رجالها الذين أخلصوا في أداء
وظائفهم فيها... ومحمد طلعت حرب كان من كبار موظفيها ، بل كان أبوه
أيضاً من أولئك الموظفين الكبار بها ، فكان طبيعياً أن يتتبع مما ادخره من ماله
الخاص ضيعة من ضياعها

أجل ، كان أبوه من وجهاء الموظفين في الحكومة ، وكان هو بالذات
من الموظفين الفنيين الذين يشار إليهم بالبنان في الدائرة السنية ؛ لكن هذه
الضيعة التي اشتراها كانت نتيجة لغرس يديه ، وسبباً لتوجيهه نحو تسمير
المال لنفسه ، ثم إن حوله ، ثم لبلاده جميعها

إن فلاحى بلدة « كفر الجنيينة » مايزالون هم وأبناؤهم يتحدثون بما
صنعه لهم طلعت حرب من مبتكرات عبقريته الاقتصادية التي تحولت بهم من

مؤجرين إلى ملاك ... فقد كانت الدائرة السنينة ، كما علمت ، تصفى أملا كهها ؛
وكانت أطيان الدائرة مؤجرة إلى الكثيرين من صغار الفلاحين ومتوسطيهم .
لكن فلاحى « كفر الجنينة » هم الذين أسعدهم الحظ بقرب طلعت حرب منهم
كانت لطلعت حرب ضيعته الجديدة التى اشتراها وأخذ يتنقل بين
القاهرة وبينها فى « كفر الجنينة » . و « طلعت » أينما ضربت الأرض قدماه
أثمرت هذه الأرض وأينع ثمارها . فقد عز على الرجل الاجتماعى — رجل
الامة منذ ذاك الحين البعيد — ألا يرفه حياة المحيطين به جميعاً ... رآهم والقطن
قد علا ثمنه وغلا ، يضربون بأموالهم فى أسواق التنعم والزواج الثنائى وفيما
لا يعود بالنفع من مظاهر الدنيا الخلابه المسرقة ...

قال لهم : أيها المواطنون — ما قولكم فى أن تكونوا ملاكا بعد أن
كنتم مؤجرين ؟ .. قالوا : وأنى لنا أن نكون مالكيين لهذه الأرض ونحن
لا نملك ثمنها ! .. قال : هاتوا ما تنفقون فى اللهو والملذات وفى شؤون الزواج
الزائد ، فانى مقنع الشركة أن تقبل منكم دفعة أولى لا يتباع هذه الأراضى التى
تؤجرونها ؛ وإنى مقنعها بأن تقبل منكم أقساط الاستئجار على أنها أقساط
ابتىاع ، حتى تفرغوا من سداد ثمنها وأنتم مطمئنون

فرح الفلاحون بمشروع طلعت حرب ؛ واستطاع هو أن يقنع به
هيئة تصفية الدائرة السنينة ، وكان له ما أراد من خير بأولئك المواطنين
الفلاحين الذين حولتهم يده الذهبية من مؤجرين إلى ملاك ... وكان هذا
أول مشروع مادى جليل شرعه ونفذه طلعت حرب لاسعاد أبناء الوطن
أما هو فقد كان شراؤه الضياع كما كان مشروع فى مكتبه الخاص
بالادارة والمحاسبة نزوعا منه إلى حياة الاستقلال ... وفى هذا الطور الجديد
من حياته أصبح « طلعت بك حرب » الثرى من ذوى المصالح الضخمة فى البلاد
العاديون من الرجال تقصيصهم مصالحهم الخاصة عن المجتمع ، والعظيم
من الرجال تدنيه مصلحته الخاصة عن المجتمع ... وكذلك كلما ازدادت ثروة

طلعت ، دنا خيره من . الناس ، وفكر في مصالحهم
لقد كانت حياة الفلاحين هي شغله الشاغل : كان في أرضه يسوى لهم
ديونهم ، ويرد إليهم ما تكون الديون قد حرمتهم إياه من أملاكهم الضئيلة
لم تقنع نفس العظيم بهذا الفضل كله ، فلقد كانت نفسه مستقرراً لآمال
أمة يريد أن يحققها . . . ومن تكون الأمة إلا أولئك الفلاحين الذين ضربت
عليهم المسكنة ، لما هم فيه من الشقاء الاقتصادي العنيف ؟
فما دامت علة شقاء الفلاحين هي علة اقتصادية ، فلم يكن إذن طلعت حرب
إلا مجاهداً اقتصادياً

كان المرابون خاصة ، والمشتغلون بالأعمال المصرفية من جشعي الأجانب
عامة ، هم سبب هذه العلة الفتاكة بحياة المصريين الفلاحين لقد أخذ
أولئك الدخلاء على المصريين كل سبيل إلى الاشتغال بالحياة المالية أو الاقتصادية .
احتكروا الأسواق ، وضربوا على المواطنين الذين ساءت حالهم نطاقاً عريضاً
من الديون صعب المراس تمتنع المناص

فكر طلعت حرب بهذا كله جملة وتفصيلاً . وإذا فكر طلعت حرب ،
فقد فكر بعقله وقلبه ودمه وعزمه وإيمانه جميعاً . . . فكر بهذا كله والازمة
الاقتصادية قد ظهرت في سنة ١٩٠٦ طلائعها ، وبدأت تكتسح بيوت الفلاحين :
تحطم اطمئنانها ، وتهدم راحتها ، وتشتت أهلها في فيافي الذل والفاقة

لقد اختلجت بنفسه فكرة ملهمة لانقاذ الموقف أيقولها ؟ ،
أيعلمها ؟ . . أفيصدق الناس إمكان ما يقول وما يعلن ؟ ! إنه يريد أن ينشئ
بنكاً مصرياً للمصريين ، بأموال المصريين ، تديره أيدي المصريين . . مالمعبرى
المالهم وما للناس يصدقون أو يكذبون ، أو يؤمنون أو لا يؤمنون ؟ لا . آمن
هو بفكرته وصدقها ، فأخذ يعلنها ويذيعها منذ سنة ١٩٠٦ في الأندية
والصحف والمجتمعات

عجب الناس مما يقول ، ثم أعجبوا به الكنهم في نهاية الأمر لم يقدموا

يداً ، ولم يؤخروا قدماً عما هم فيه .. لكن حرباً كان يشعر في أعماق نفسه بأنه موكل عن هذه الأمة في الجهاد لخلاصها الاقتصادي ، وكان لابد لنفسه الكبيرة أن تتنفس تنفس الصبح الذي يجلي جيوش الظلام ، فاستطاع أن يؤسس يومئذ شركة مالية مصرية بحتة هي شركة التعاون المالي .. ولعل من أجمل المصادفات في تأسيس هذه الشركة أن عاد المجاهد الاقتصادي الكبير الدكتور فؤاد سلطان الذي اشتهر بأنه الساعد الأيمن لزعيم الاستقلال الاقتصادي - من دراسته بالخارج عقب تأسيس هذه الشركة ، فوكل إليه طلعت إدارتها ليتفرغ هو لفتوحاته الاقتصادية الجديدة

تأسست هذه الشركة حوالي سنة ١٩٠٨ . وظهر من عنوانها أنها كانت تمارس الأشغال المالية بأسلوب تعاوني : أي أنها كانت تمارس العمليات المصرفية الصغيرة ؛ على أنها كانت شركة محدودة الأفق لا تحقق رغبات الأمة ، ولا آمال الزعيم . فلم ين لحظة عن دعوة المواطنين إلى تأسيس شركة مساهمة كبرى لبنك مصري للمصريين

فلما اجتمع مفكرو البلاد وساستها وعلمائها وأدباؤها وفريق من أعيانها في « المؤتمر المصري » الذي عقد سنة ١٩١١ للنظر في مشاكل مصر الاجتماعية ، كانت الدعوة إلى إنشاء بنك مصر قد تخطت أسماع رجال المؤتمر إلى قلوبهم ، فأصدروا فيها قراراً بوجاهة الفكرة ووجوب تنفيذها . وألفوا لهذه الغاية اللجان : لكن هذه اللجان قعدت مجتمعة بما نهض به طلعت حرب منفرداً

الناس كلهم غدوا مؤمنين برأيه ، لكنهم يرونه بعيداً ويراه قريباً ؛ والناس يحسون النقص في حياتهم العامة إحساساً دائماً ؛ لكن صاحب الرسالة يحس هذا النقص إحساساً عميقاً ، فيدفعه الأمل للعمل على أن ينقل ما في صدره إلى صدورهم

لقد دفع ألم العبقري لمواطنيه إلى أن يدرس ويحقق ويلم إماماً شاملاً

بتاريخ القضية الاقتصادية في مصر، فألف فيها كتابه الأشهر علاج مصر
الاقتصادي وإنشاء بنك المصريين» وتداولت الأيدي هذا الكتاب الفريد
من نوعه في اللغة العربية حوالى سنة ١٩١٣. وهو كتاب فيه أكثر ما يكون
البحث دقة عن علة الشقاء الاقتصادي في مصر — هذه العلة التي ولدتها خمسون
سنة أو تزيد

إنك تجد في هذا الكتاب تشخيصاً صادقاً للداء ، وإشارة واضحة إلى
الدواء ، وإنك تلاحظ في ذيل الكتاب إشارة إلى أنه الجزء الأول، فتبحث
عن الجزء الثانى . . . فترى المؤلف قد وكل إلى الزمن تأليف هذا الجزء
الأخير الذى تبحث عنه

شبح الاستعمار الاقتصادى

قف بنا لحظة نتبين هذا المدى الذى أثر فى نفس طلعت حرب ، فحفز خياله ، ثم حفز إرادته إلى الدعوة لإنشاء بنك مصرى ، وإلى العمل على إنشاء بنك مصر العظيم

فى عهد اسماعيل باشا ارتفعت أثمان القطن فى العالم ، لأن الحرب الأهلية فى أمريكا كانت قد بدأت وعظم الطلب من جانب الدولتين التجاريتين للقطن المصرى ؛ فشجعت هذه الحالة الممولين الأجانب ، فأخذوا فى إنشاء البنوك فى مصر . ولم يكن منها يؤمئذ سوى بنك أوف إيجمبت (Bank of Egypt) الذى أسسه أحد الأرمن ، وقد نجح هذا البنك نجاحاً كبيراً ، وظل يعمل فى تقدم على ممر السنين لمصلحة الممولين الأجانب ،

ساعات الحالة المالية فى البلاد سوءاً شديداً ؛ وشرع اسماعيل باشا فى التفكير لإنشاء بنك مصرى ؛ لكن الدول عرقلت مساعيه بإنشاء صندوق الدين ، وهو مراقبة فعلية للأجانب على المالية المصرية

(١) « ولكى يضمنوا أداء كوبون يوليو ١٨٧٦ لجأوا إلى عدة طرق تشهد بعلو كعبهم فى استنباط الحيل والتفنن فيها . من ذلك بيعهم إلى شركة انجليزية امتياز تصدير العظام البالية ، واتخاذ المقابر المصرية القديمة مخازن للفوسفات ، وبيعهم حق استنباط الزيت من آبار الاسماعيلية ، وتضعيفهم رسوم جمرك الاسكندرية وأجور السكك الحديدية ، وهلم جرا . وعبثا حاول اسماعيل أن يفهم القوم وقتئذ استحالة دفع الكوبون ، وعبثا توسل إلى المراقبين ألا يخربا البلد بهذا التشدد فى جمع المال ؛ فإن الموظفين الأوربيين أصموا

(١) « تاريخ المسألة المصرية » تأليف ثيودور روتشتين وترجمة الاستاذين العبادى وبدران

آذانهم عن صوت التوسل والاعتذار - شأن الرجال أشرف النفوس الذين همهم القيام بواجبهم جهد الطاقة - كما يقول اللورد كرومر »

ولقد كانت النتيجة لهذا التعصب الأصم أن اضطر كثير من الفلاحين إلى بيع محصولاتهم قبل حصادها بنصف الثمن أو أقل من النصف . ولقد خربت لذلك أقاليم وتناقص العمران في أقاليم أخرى . . ولقد ازداد نفوذ الأجانب وزاد تدخلهم في الأسواق المصرية حتى أن القاضي دى بلنشير لاحظ ذلك ، فقال في تقريره : (١)

« كان عدد الأروام يزداد في مصر يوماً عن آخر حتى لاحظ بعضهم أنه إذا استمر الحال على هذا المنوال فالأولى إلحاق مصر باليونان !! » ثم أبان طريقهم الجشعة في الاستغلال فقال :

« كان الواحد منهم يحجى إلى مصر خالي الوفاض لا يمتلك من حطام الدنيا شيئاً ، لا بضاعة له إلا الاقتصاد والتدبير ، ومتى كسب أى مبلغ بأى طريقة كانت اتجه همه إلى فتح دكان صغير في قرية يبيع فيه البقالة ثم تتسع أعماله فيبدأ في التسليف بالربا ؛ ومتى نجحت أعماله سهل عليه أن يقترض الأموال من تجار الاسكندرية ؛ فما هي إلا عشية أو ضحاها حتى يصبح صاحبنا بنكيراً ممن يلعبون بالذهب ؛ فيشيد ذلك الذى جاء بالأمس عارى الجسد حافى القدم ، قصرأ في القرية يتخذة قاعدة لإدارة أعماله ومحلا لبنكه الذى يؤمه الفلاحون ليستعطفوا (الخواجة) . وأغلب هؤلاء المراكبين تقشعروا لمناظرهم الأبدان : أميون ، لا يعرفون القراءة ولا الكتابة ، امتلأت نفوسهم بالأطماع الأشعية ، لا تعرف قلوبهم الرحمة »

« وإذا أراد بعض الشرقيين من المسيحيين أو الاسرائيليين أن يشتغلوا بالمراباة فأول باب يطرقونه باب القناصل الأجنبية ليحتموا بحمايتهم ؛ لأنه لا يتيسر لهم دون ذلك أن يقوموا بعملهم ؛ إذ أن ذلك من أكبر عوامل النجاح لهم

(١) تقرير القاضي المذكور ص ١٤٦

وأمانهم من العقاب واعتمادهم على القوة في إهلاك الفلاحين الضعفاء »
تتالت السنون والمرابون يزحفون في القرى والمدن يغلون رقاب
الفلاحين المساكين . وقد كان هؤلاء المرابون يتحايلون في أعمالهم بالغش
والتدليس ، وهو أمر طبيعي في هذه الأجناس الدنسة التي لا تستطيع أن
تعيش في البيئات الطاهرة النقية

حدث (١) أن أحد صغار المزارعين في الصعيد استدان عشرة جنيهاً
من أحد المرابين ووقع على سند تحت يد المرابي قيمته خمسة عشر جنيهاً على أن
تعتبر الخمسة الجنيهاً الزائدة فائدة للمرابي في الثلاث السنين التي سيدفع
في خلالها الفلاح دينه

فما أن حلت السنة الأولى حتى دفع الفلاح خمسة جنيهاً ، وتلتها السنة
الثانية فدفع خمسة جنيهاً ثانية ، وحلت السنة الثالثة فدفع الخمسة الجنيهاً
الثالثة . وعند ذلك طلب الفلاح من المرابي أن يرد له السند ، فأبى وقال أن
عليه أن يدفع قيمة السند كاملة . وأن هذه الخمسات من الجنيهاً إنما كانت
فائدة المبلغ ليس غير !!

رفض الفلاح المصري أن يسمع له ، لكن المرابي هدهد باقامة الدعوى
عليه أمام المحكمة . ولما كانت الظواهر في صالح المرابي فقد اضطر الفلاح
المسكين أن يبيع بيته بمبلغ واحد وستين جنيهاً ، سدد منها المرابي خمسة عشر جنيهاً
قيمة السند من جديد وأربعة عشر جنيهاً ، مصاريف القضية التي كان في النية
إقامتها ومصاريف نقل الملكية والبيع .. الخ . . . وهكذا دفع الفلاح المسكين
١٥ + ١٥ + ١٤ جنيهاً ، أى مبلغ أربعة وأربعين جنيهاً نظير دين قدره
عشرة جنيهاً !!

لم يقف أشرار الأجانب عند هذا الحد ، بل إنهم سعوا في قتل الصناعات

(١) تقرير اللورد كرومر عام ١٨٩٥ (ص ١٥)

الوطنية واستبدال صناعات دخيلة بها ، تستخدم فيها الأساليب الأجنبية ،
بحجة الإصلاح والتقدم !!

جاء في تقرير اللورد كرومر عن سنة ١٩٠٤ بعد أن وصف ضعف
الصناعة . . . « وقس على ذلك الغزل والنسيج والصباغة والدباغة وغير ذلك
من الصنائع الوطنية الكثيرة التي أخذت تنحط انحطاطاً يئساً في السنين الأخيرة ،
ويمكن أن يقال أن استخدام الأساليب الأوربية يستلزم بذل الهمة في ترقية
الصناعة الوطنية في نوعها وفي غايتها أيضاً حتى تقارب الصناعة الأوربية ،
إلا إذا أريد أن يضيق نطاق العمل على المصريين ،

شكا المصريون هذه الحال منذ أواخر القرن الماضي وتصاعدت نفثاتهم
يبنون إصلاحاً . لكن هذه النفثات كانت مفتقرة إلى جرأة الصوت
وعزيمة المجاهدين ؛ فاستغل المستغلون هذه الشكوى لحسابهم ، وعلى الأثر تأسس
البنك الأهلي عام ١٨٩٨ . وليس شك أن إنشاء البنك الأهلي كان حدثاً كبيراً
في حياة مصر الاقتصادية ، لما أعطى من النفوذ المالى الواسع النطاق . لكن
المصريين مع الأسف لم يكن لهم من السلطان في هذا البنك إلا سلطان
رسمى محدود

فقد درس جماعة من الانجليز الحالة الاقتصادية في مصر ؛ ورغبت
هذه الجماعة أن تقبض بيدها على الميزان الاقتصادى في البلاد بدلاً من توزيع
كفتيه بين الأجانب الآخرين ؛ فاتفقوا مع بعض أصحاب المصالح في البلاد ،
وقدموا عن الحالة الاقتصادية العامة تقريراً مسهباً إلى المستشار المالى
بوزارة المالية المصرية

كان هذا المستشار المالى لوزارة المالية إذ ذاك هو السير «ألوين بالمر» ؛
ومن العجيب أنه كان هو الذى صدق على مشروع إنشاء البنك الأهلي الذى
اقترحه التقرير المشار اليه ، وكان هو أول من تولى وظيفة محافظ هذا البنك !!

ترى من هذه الإشارة أن مصلحة المصريين لم تراعى في هذا المشروع إلا بالقدر الذى يحفظ مصالح الأجانب . فمشروع البنك الأهلى على ما فيه من تحديد فى الاقتصاد المصرى ، وعلى ما قام عليه من الدعائم الاقتصادية القوية والاختصاصات الواسعة لم يكن هو المشروع الوطنى الذى يحقق آمال البلاد استقام البنك الأهلى وعاش لأنه قام على أسس متينة يدعمها نفوذ رسمى دائم ، أما البنوك الأخرى التى كان يؤسسها الدخلاء فقد اضطربت بسبب حرصها على منفعتها ولو على حساب الاضرار بمصلحة العملاء الوطنيين . وكما أن هذا الموقف من جانب البنوك هذه كان سبباً فى تقويض مالية صغار الفلاحين الذى يعدون كثرة فى البلاد ، فقد كان أيضاً سبباً إلى انتهاء دورها على مسرح الاقتصاد المصرى

لقد طافت بمصر أزمة اقتصادية عسرة ، بدت طلائعها فى سنة ١٩٠٦ ، السنة التى جاهر فيها طلعت حرب ومن تبعه من الناس بضرورة إنشاء بنك مصرى للمصريين ، وظلت ريح هذه الأزمة تعصف بالفلاحين سبع سنوات تقريباً . . .

كانت هذه السنوات السبع امتحاناً لدور المال الأجنبية فى مصر . فقد أقفلت خلال هذه المأساة أبوابها فى وجوه الفلاحين الوطنيين . وكان أعرقها بنك أوف إيجبت (Bank of Egypt) وهو الذى امتنع عن الدفع بتاتا فى سنة ١٩١١ . . . ولقد كان هذا الامتناع القاسى أقوى الأسباب لانبثاق فجر جديد فى حياة التفكير المصرى إزاء الاستقلال الاقتصادى

يومئذ فكر محمد طلعت حرب فى نشر كتابه « علاج مصر الاقتصادى وإنشاء بنك المصريين » ، هذا الكتاب الذى ينبغى أن يعتبر أول صك فى تاريخ الاستقلال الاقتصادى المصرى

مقدمات النزال

قرأ طلعت في عدد جريدة المقطم الصادر بتاريخ ١٤ نوفمبر سنة ١٩١١ مقالا تحت عنوان « حالتنا الاقتصادية » ، جاء فيه :

« أفليس يمكن ياترى أن يوجد أولو الألباب تديراً يزيلون به هذه الموانع الطارئة ، ويعيدون دولاب الأشغال إلى سابق دورانه ، فإذا أفلس محل زرفوداكي^(١) وأفلسست محلات أخرى بأفلاسه كما يتشاممون به اليوم - فذلك لا يوجب كل هذا الكساد في أسواق القطن ، وكل هذا التعطيل لمصالح القطر مادام القطن موجوداً في مخازن المزارع ، والمال موجوداً في خزائن البنوك ، والعبرة كلها بحل العقدة ، وإيجاد واسطة بها تروج حركة بيع القطن من مخازن المزارع بالأموال المدخورة في خزائن البنوك »

قرأ طلعت هذا المقال وقرأه الناس .. أما الناس فقد تساءلوا مع الكاتب عما يخلصهم مما هم فيه ، أما طلعت فقد أراد أن يجعل لهم مخرجاً مما هم فيه ، فوصف للمصريين الداء في كتابه علاج مصر الاقتصادية هذا الوصف الاقتصادي التاريخي الذي أشرنا إليه في الفصل السابق منذ عام ١٨٥٦ إلى عام ١٩١١ ، ووصف لهم العلاج الذي ظلت تتلف عليه أفئدة المصريين ثلاثين عاماً أو يزيدون ، ونصب نفسه مرشداً ومجيباً عما تساءلت عنه الصحف فعلق في كتابه على قول المقطم بقوله :

« نعم البلاد الآن في أزمة قد لا تذكر بجانبها أزمة سنة ١٩٠٧ ، لأنها أصابت كبد الفلاح الذي عليه قوام حياة القطر - هذه الأزمة التي انتابت الفلاح والمصري على وجه العموم دون ذنب اقترفاه »

(١) مخزن من أكبر مخازن القطن

« يقول جناب المستشار المالى إن سببها إفلاس البنك المصرى ^(١) لسوء إدارته ففزع أرباب الأموال بأوربا ، وتزعزعت الثقة بالسوق المصرية ، وما ذنب المصريين فى ذلك إلا أنهم باتوا ذيلاً لغيرهم لاصوت لهم فى تلك السوق ؟ »

« زاد الطين بلة إفلاس بيت زرفوداكى ورودا كانانى بالظروف التى يعلمها العموم .. وكل هذه المسائل لم تأت من المصريين ، ولكنهم هم الذين يذوقون مرارتها ويتحملون تبعاتها » ^(٢)

سخر طلعت حرب مما يقال وبما يعمل ؛ لأن الذى قيل كانت مصر فيه هى الضحية المظلومة ، وما يعمل كانت مصر فيه هى الضحية الخاسرة .. سخر من الدعاية التى كان يقيمها الأجانب لقتل فكرة إنشاء بنك مصرى قائلاً : « فقد مضى الوقت الذى كان يقول فيه كبار الرجال من أمثال مسيو « تيير » - ما من بلد فيه بنكان الا قتل أحدهما الآخر »

ثم برهن على وجاهة فكرته بقوله :

« ان البنوك الأجنبية فى مصر قد نجحت نجاحاً تاماً ، وكسبت مالا عظيماً . وكل يوم نسمع بفتح بنك جديد يستنزف أموال البلاد إلى الخارج ، وعلى الرغم من ذلك فان المكان لا يزال فسيحاً بجانبها لبنك مصرى يكون له من الربح نصيب وافر باذن الله ، » ^(٣)

لكن هل كان الوقت حين ألف طلعت كتاب « علاج مصر الاقتصادى »

قد حان لإنشاء بنك مصرى حقاً ؟ ؟

تشعر وأنت تطالع كتابه هذا أنه لم يخط فيه جرفاً إلا عن اقتناع بأن الساعة قد حانت لتنفيذ الفكرة العظيمة ؛ فهو يقول فى الصفحة الثالثة من

(١) (Bank of Egypt) الذى مر ذكره فى الفصل السابق

(٢) ص ١٦٠ « علاج مصر الاقتصادى »

(٣) ص ٦ « علاج مصر الاقتصادى »

المقدمة ذاتها : إن العراقيين الشككية كانت تقوم دون تحقيق هذه الفكرة ، حتى جاء المؤتمر المصري الأول^(١) فرأت لجنته أن هذه الفرصة سانحة يجب اغتنامها لأنه لا ينتظر أن يشمل اجتماع من أعيان البلاد وكبرائها مثلما ضم ذلك الاجتماع ، فعرضت الفكرة^(٢) في تقريرها ،

ثم تشعر وأنت تطالع كتابه هذا أنه لم يغمط الذين سبقوا في الاحساس بداء مصر ودوائها الاقتصادي من رجال الجيل السابق . فهو بعد أن يعطيك صورة علمية دقيقة عن الحالة الاقتصادية في مصر قبل خمسين عاماً من هذه الحالة التي لخصناها لك في الفصل السابق تجده يقول :

« نعم عز على جماعة من كبار رجال العصر الماضي كالمرحوم سلطان باشا ، والمرحوم عمر لطفي باشا أن تنعزل الحكومة عن الأمة وأن يسعى في إصلاح حال شريك واحد ويترك الآخر لقمة سائغة للماضغ الأجنبي ، يتخبط في ديونه ومصائبه ... فكروا في الأمر فلم يجدوا علاجاً نافعاً إلا هذا الذي التجأ إليه اليوم المؤتمر المصري : ألا وهو تأسيس بنك وطني يعمل على إصلاح حال المصريين ... عقدوا الاجتماع تلو الاجتماع ، ودرسوا الموضوع من كل وجوهه ، وأخيراً استقر رأيهم على دعوة الكبار والأعيان للاشتراك معهم^(٣) »

يعطيك المصلح هذا التصريح الذي يدل من جانبه على إحساسه بقوة شخصيته في مشروعه — قوة لا يقل منها الاعتراف بجهود الآخرين ... بل إنه زاد على هذا التصريح أن كان له الفضل في إثبات أول نداء أصدره أعيان مصر قبل الاحتلال الإنجليزي داعين به إلى إنشاء بنك وطني أثبت طلعت حرب هذا النداء برمته في كتابه على الرغم من أنه يكاد

(١) ص ٢ من تقرير مؤتمر الشؤون الاجتماعية الذي عقد بمصر الجديدة عام ١٩١١

(٢) فكرة طلعت حرب في إنشاء بنك مصري

(٣) ص ٢١ و ٢٢ علاج مصر الاقتصادي

يكون رسالة وحده لطول صفحاته . وكان الرجل الذكي النهاز للفرص أراد
أن يستفيد بهذا النداء في دعوته إزاء الدعوة الباطلة التي كان يدعيها بعض أدعياء
العلوم الدينية ضد أعمال البنوك ؛ لأن نداء أعيان الجيل الماضي كان على إسهابه
مفعماً بالفتاوى الشرعية الحكيمة المبيحة لمزاولة العمل المصرفي في سبيل
إنقاذ الوطن . فلئن كانت هذه الحركة قد أوقفتها الثورة العراقية وتلاها الاحتلال
البريطاني ، ولئن كان الناس قد نسوا أو تناسوا هذه الدعوة ، وأصبحوا
يتهمونها ويتخلونها محالاً ، فقد كان لطلعت حرب فضلان : فضل إحيائها من
العدم ، وفضل تهذيبها وتحقيقها على أجمل وجوه التحقيق

الوثبة الاولى

منذ أخرج « طلعت بك حرب » كتابه « علاج مصر الاقتصادى وإنشاء بنك المصريين » والناس يرون فيه المنقذ المنتظر . ولقد نجحت هذه الدعوة نجاحاً عظيماً ، واقرنت في كل ذهن باسم الرجل المخلص ، وكاد البنك ينشأ بالفعل على أثر انتشار هذا الكتاب في سنة ١٩١٣-١٩١٤ ، لولا أن دهم العالم ما دهمه من الحرب الكبرى

لكن طلعت كان قد ذاع صيته ؛ وشاع في الناس ، حكومة وشعباً ، أنه أكفاً وأخلص مالى وطنى . ولهذا آيتان :

أولاً — حين ألفت الحكومة فى سنة ١٩١٤ لجنة التجارة والصناعة التى تطورت فأصبحت مصلحة ، ثم وزارة التجارة والصناعة — عمدت فى إدارتها إلى عضوية طلعت حرب ، وكان تقريره بالاشتراك مع يوسف أصلان قضاوى باشا الذى تقدمنا به فى ١٢ يونية ١٩١٦ إلى اللجنة عن المطامع الاقتصادية الألمانية خلال الحرب — كان هذا التقرير هو خير تقرير قدم إلى اللجنة ، وعملت بهديه ، وسارت على هداه فى تسكيف أعمالها

ثانياً — حين قامت مشكلة ترامواى مصر فى سنة ١٩١٩ ، وهضمت فى هذه المشكلة حقوق الجانب المصرى . تطلعت أنظار الناس والصحف إلى الزعيم الاقتصادى المنتظر ، فخرج البطل من مكانه إلى ساحة الجهاد من جديد ، وأظهر المصريين من فضل علمه وخبرته على حقوقهم لدى هذه الشركة فى ثلاث مقالات بينات نشرت تباعاً فى صدر جريدة الاهرام ، وها نحن نوجز لك تاريخ هذه المشكلة معقبين عليها بكلمة الزعيم الأخيرة الحاسمة فيها : فى ٥ ديسمبر عام ١٨٩٤ منحت الحكومة المصرية الشركة البلجيكية

للسكك الحديدية والمهندس البلجيكي إدوارد أميني امتياز عمل ترامواى بمصر على سبعة خطوط لمدة ٥٠ سنة تنتهى فى ٥ ديسمبر عام ١٩٤٦. ومن شروط هذا العقد أن أجرة الركوب لا تزيد على خمسة مليات ، وأن يحول هذا العقد إلى عقد شركة مساهمة فى ظرف ٦ شهور من تاريخ العقد

وفى ١٩ مارس سنة ١٨٩٥ أسست شركة الترام من أصحاب الامتياز السابقين ومن بعض وجهاء البلجيكي برأس مال قدره ٤ مليون فرنك مقسمة على ٨٠٠٠ سهم . وقد عقدت الشركة سلفية بمبلغ ٦ مليون فرنك بسعر ٤ ٪. تستهلك فى بحر مدة الامتياز

وفى ١٤ يوليو سنة ١٨٩٦ حصل اتفاق بين الشركة والحكومة يقضى بأن الحكومة تقوم بتصليح السكك التى تمر فيها خطوط الترام فى نظير دفع مبلغ معين للحكومة

وفى ٢٣ يونيه سنة ١٩٠٥ منحت الشركة امتياز خطوط جديدة . ومد أجل الامتياز لتكون نهايته فى ٥ ديسمبر سنة ١٩٥١

وفى ١٧ سبتمبر سنة ١٩٠٨ قبلت الحكومة مد أجل الامتياز إلى ٣٠ يونيه سنة ١٩٧٨ بشرط أن تعود للحكومة فى نهاية الامتياز جميع ممتلكات الشركة وموجوداتها ، وأن تدفع الشركة للحكومة حصة بواقع ٥ ٪ من إيرادات الشركة ابتداء من أول يوليو ١٩٠٨

ولقد زيد رأس المال جملة مرات حتى بلغ ١٥ مليون فرنك . وزادت السلفية إلى ١٥ مليون فرنك أخرى بفائدة ٤ ٪. وهاك جدولاً بسيطاً يبين أرباح الشركة فى عدة سنوات قبل الحرب الكبرى وفى أوائل إنشائها

العام	إيرادات الشركة	صافي أرباح الشركة
١٨٩٩ — ١٩٠٠	١٤٩٨٩٤٥ فرنك	٥٤٧٦٦٣ فرنك
١٩٠٠ — ١٩٠١	١٩٥٤٣٠٤	٥٤٦٦٧٦
١٩٠١ — ١٩٠٢	٢٢٥٤٣٣١	٨٣٠٧٥٦
١٩٠٢ — ١٩٠٣	٢٥٢٧٩٠٢	٩٦٤١٧٢
١٩٠٣ — ١٩٠٤	٣٣٧٠٥٧٠	١٢٧٧٠٦٧
١٩٠٤ — ١٩٠٥	٣٩٧٦٦٦٩	١٨٢٩٤٨٧
١٩٠٥ — ١٩٠٦	٤٨٤٩١٩٢	—
١٩٠٦ — ١٩٠٧	٥٩٨٧٤٣٣	٣٢٨٠٧٤٣
١٩٠٧ — ١٩٠٨	٦٦٨٦٠٤٢	٣٢٧٩٤٧٨
١٩٠٨ — ١٩٠٩	٦٩٤٣٣٦٩	٢٩٧٩٤٨٠
١٩٠٩ — ١٩١٠	٧٦٠٨٦٣٦	٣٥٣٧٢٢٨
١٩١٠ — ١٩١١	٧٦٨٨٢٠٧	٣٣٦٩٨٦٣
١٩١١ — ١٩١٢	٧٨٦٥٥١١	٣٣٨٩٣٦١
١٩١٢ — ١٩١٣	٧٩٣١٢٥١	٣١٨٦٥٠٦

زاد رأس المال إلى ١٠ مليون فرنك في سنة ١٩٠٦ — ١٩٠٧

زاد رأس المال إلى ١٥ مليون فرنك في سنة ١٩٠٩ — ١٩١٠

وقد كان تقسيم الصافي بين المؤسسين وأعضاء مجلس الإدارة والمساهمين
بنسب غير عادلة، وإليك مثالا من توزيع أرباح عام ١٩١٢ - ١٩١٣، وهي
تبلغ ٣١٨٦٥٠٦ فرنكات

بيان	فرنك
للمساهمين	٧٥٠.٠٠٠
لمجلس الادارة والمراقبين	٢٤٦.٢٥٠
لخصص التأسيس	٢.٠٨٠.٠٠٠
رحل للسنة التالية	١١٠.٢٥٦
	٣.١٨٦.٥٠٦

حدث بعد ذلك خلاف بين العمال والشركة من جانب ، وبين الشركة والحكومة من جانب آخر. وهنا ظهر بطل الاستقلال الاقتصادى فى الميدان وكتب مقالاته الثلاث التى أشرنا إليها فى أول هذا الفصل . وإليك نص المقالة الأخيرة ، وهى المقالة التى فند فيها آراء الشركة تفنيداً قوياً

ملاحظات وتعليقات

للمالى الكبير طلعت بك حرب (١)

يرى من يتتبع مقالاتنا السابقة أن المال الذى استعملته الشركة فى إنشاء الترامواى بمصر وإيجاده والاتفاق عليه إنما جاءها من طريق رأس المال ، وهذا لا يكلفها سوى ربح ٥ ٪ ؛ ومن طريق الاقتراض ، وهو لا يكلفها سوى ٤ ٪ ، وما زاد من الأرباح على ذلك فهو غنيمة باردة لحضرات المؤسسين ، وأعضاء مجلس الادارة . ولو كانت الحكومة المصرية فى ذلك العهد اشترطت فى عقد الامتياز أن الشركة التى تؤسس تكون مصرية خاضعة لقوانين البلاد ، لما وجدنا مثل هذا الاستثناء بالربح ؛ وربما كان هذا هو سر اشتراط الترخيص للشركة بالتنازل عن الامتياز لشركة بلجيكية ،

(١) نقلا عن جريدة الاهرام فى ١٧ سبتمبر سنة ١٩٠٩

للتفادى من عرض قانون الشركة على مجلس النظار، لاستصدار فرمان به ،
طبقاً لقانون التجارة المصرى ، ويرجح أنه لو كان قد قدم لمجلس النظار مثل
هذا القانون الذى يحصر قسمة الأرباح بين أصحاب الأموال الحقيقية التى
أوجدت الشركة وعليها وحدها نتيجة الخسارة ، إن قدر الله الخسارة ، وبين
المؤسسين الذين أسعدهم الحظ بعرض المشروع والحصول على الامتياز بدون
أى مجهود آخر ، كتلك القسمة الضيزى بين السبع والذئب والشعلب

قلنا لو قدم مثل هذا القانون لمجلس نظار الحكومة المصرية أو لمجلس
نظار أية دولة أخرى لما قبله بالمرّة ، بل كان من أقل واجباته استنكار مثل
هذا الاستئثار بالأرباح واشتراط نصف تلك الأرباح ، على الأقل لحكومته :
أى لحكومة تلك البلاد التى أعطت الامتياز ، وساعدت على تحقيق الفكرة
وإخراج المشروع إلى حيز العمل ، والتى لولاها لما كان لحضرات المؤسسين
تلك الأرباح الطائلة !! ولكن قدر فكان . وحدث أن شركة بلجيكية تحصل
من حكومة مصرية على مثل هذا الامتياز بمثل هذه الشروط ، وتستخدم
قوى وجهود العمال والمستخدمين وغيرهم ، وأموال المساهمين ، والمقرضين
بفائدة محدودة ، أستغفر الله ، بل إن تحديدها بالنسبة للمساهمين لا يكون إلا
فى حالة الزيادة ، أما إذا نقصت الأرباح فالتبعة والخسارة على المساهمين دون
غيرهم ، أما المؤسسون فماذا يخسرون ، ولم يدفعوا ملياً عند تأسيس الشركة
من حصص التأسيس التى تقاسموها ؟ ولم تفكر الحكومة فى نيل حصة من
الشركة إلا بعد نحو ١٤ سنة من وجود الشركة ، حين طلبت هذه منها مد
الامتياز لثانى مرة . وماذا نالت ؟ ٥ ٪ من الأيراد فقط ! مما عدته الشركة
شيئاً لا يذكر عند ما عرضت الأمر على جمعيتها العمومية لتقريره

وعلى كل حال فهذا أمر مرّ وانتهى ، فلندعه ولتتكلم فى غيره مما
يهمنا الآن

ردد بعض الجرائد أن الشركة تطلب من الحكومة التصريح لها بزيادة

مليم على أجرة الركوب حتى يتسنى لها إجابة مطالب العمال، كأن هذه الأجرة كان يلزم أن تكون ه مليات فيجب زيادتها!

إن عقد الامتياز يشترط أن الأجرة لا يصح أن تزيد على نصف قرش، وليس معنى ذلك أن الشركة تجعل الأجرة نصف قرش من أول يوم تأسيسها، بل كان الواجب أن تكون أقل من ذلك، بشرط ألا تتجاوزه، ولكنها أرادت — ولا مرد لما أرادت أو تريد — إلا أن تقرر الحد الأقصى من أول يوم، وسارت على ذلك من وقتها للآن، ولا من معارض أو من محتج، لا من قبل الجمهور المسكين، ولا من جهة الحكومة الساهرة على مصلحة الجمهور! حتى إذا ما جاء الوقت العصيب الذي يطلب فيه العمال تحسين بعض الأجور، تقدم هذه الحجة، وتطلب الشركة مثل هذا الطلب! ولماذا؟ لزيادة منافع حضرات المؤسسين وأعضاء مجلس الإدارة دون غيرهم

لو كان ذلك خسارة على المساهمين وتقليلاً لربحهم لعذرنا واستهنا الأمر، لكن المساهمين — وهم أصحاب الأموال — محدود ربحهم، وكل زيادة نلتجتها إلى جيوب المؤسسين ومجلس الإدارة، فما ضرهم لو تنازلوا عن قليل من ربحهم سنة أو سنتين، وهم الذين بقوا نحو الخمس سنوات بدون قبض سنتيم واحد، حين كانت بلجيكا في قبضة الألمان والشركة البلجيكية لا اتصال لها ببلادها ولا مخبرة، وسيقبضون كل المتجمد مرة واحدة؟ بل هم الذين ذاقوا الأمرين من الاحتلال الألماني، وكل ربح يأتهم بعد ذلك الضيق الشديد كبير جداً بالنسبة لما قاسوه. وليفرضوا أن الشركة بلجيكية حقيقية وعملها في بلجيكا؛ ولو كانوا كذلك لما قبضوا شيئاً حالاً من أرباحها، بل لكان غاية ما يمكن عمله تعلية ما خسروه على حساب الغرامة الحرية

كنا نظن أن تلك النفوس التي ذقت شظف العيش، وجميع صنوف الضنك في هذه السنوات قد رقت قلوبهم، فهم يعطفون على أولئك المساكين مستخدميهم الذين جمعوا لهم الأموال الطائلة المحفوظة على ذمتهم،

فيتصدقون عليهم ببعضها، إن الله يحب للمتصدقين . ولكن قد ساء فآلنا، ونراهم لا يريدون التنازل عن شيء — إن صح ما تقوله الجرائد — ويريدون أن يكون هذا العطف من جانب الجمهور المسكين هو أيضاً — فلا حول ولا قوة ، وهذا تصرف ينفر قلب كل عادل غير ذى غرض !

ردد بعض الجرائد أن الشركة تقول أن عقد الامتياز ينص على أن الأجرة لا يصح أن تتجاوز نصف قرش باعتبار أن القرش يبقى مساوياً لجزء من مائة من الجنيه المصرى الذهب . والآن تزيد قيمة الذهب على العملة الورق ، فيجب على الحكومة أن ترخص بزيادة الأجرة بقدر هذا العجز

ياله من مغالطة لا تتصور صدورها من مثل رجال هذه الشركة ! فإن إيراد الشركة جميعه يجمع بمصر ، ومنه جانب يصرف في مصر أجوراً للعمال ومقرراً للحكومة المصرية وثمان مشتريات بمصر . وهذه تصرف ورقاً بالسعر الذى قبض به ؛ والجانب الآخر يصرف في بلجيكا أرباحاً للمساهمين ، وكوبونات للسلفيات ، وأرباحاً للمساهمين وأعضاء مجلس الإدارة ، أو يصرف في بلاد أوربية ثمن مشتريات ، وهذه تحول عادة لبلجيكا أو أوربا بتحويل على بعض بنوكها حسب سعر الكامبيو وقت التحويل ؛ والمعقول أنه قد بقيت جميع المبالغ المقتضى صرفها في بلجيكا طول مدة الحرب في مصر تستثمرها الشركة في بنوك مصر ، فربحت منها بدل أن تخسر ، ثم هى تبيع منها أيضاً اليوم بتحويلها لبلجيكا نحو ١٠٦ قروش فى كل مائة فرنك (سعرها الرسمى ٣٨٥ وكسور والآن تساوى ٢٨٠ قرشاً)

ولو فرضنا أن المعتاد صرفه سنوياً ببلجيكا حسب آخر حساب نشرناه نحو ثلاثة ملايين فرنك ونصف لكان مقدار المتجمد من يوليو سنة ١٩١٣ إلى يونيه ١٩١٩ ، أى فى ٦ سنوات ٢١ مليون فرنك ، ولكان ربح الشركة من تحويله الآن لبلجيكا يربو على ٣٢٠ ألف جنيه ، يزداد عليها ما ربحت من بقاء هذه الأموال فى مصر مدة هذه السنوات الست ؛ لأن حسابات سنة ١٩١٣

إلى سنة ١٩١٤ لم تقفل إلا قبيل الحرب بقليل ، ولم يمكن عرضها على الجمعية العمومية في السنة المذكورة . فلو فرضنا أن الأرباح لم تزد عما كانت عليه في سنة ١٩١٣ ؛ مع أن لجنة التوفيق قد قالت : إن إيراد الشركة يبلغ ١٠٠٠ جنيه يومياً ، أى أن إيراد الشركة يبلغ ٣٦٥٠٠٠ جنيه سنوياً ، أى نحو عشرة ملايين فرنك بالسعر الرسمي وحوالى ١٤ مليوناً بالسعر الحالى ، مع أن إيراد سنة ١٩١٣ بلغ كما رأينا ٧ ملايين و كسوراً فقط . نقول : لو فرضنا أن الإيراد لم يزد عما كان ، وكل ما حصل من الزيادة بسبب زيادة عدد الركاب ، وزيادة الجنود ، إلى غير ذلك سد في زيادة النفقات ، ألا يكتفى حضرات المؤسسين ومجلس الإدارة بالأرباح الطائلة التى كانوا يتقاضونها ، ويحسدون أنفسهم عليها ، ويتبرعون للعمال بشيء مما كسبته وتكسبه الشركة من فرق سعر الكامبيو الآن ، أى من المائتين والعشرين ألف جنيه التى تربحها من هذا الباب وحده ؟ وماذا عليها لو خصصت كل هذا المبلغ وما يأتى من هذا الربح للصرف منه فى تحسين حال المستخدمين والعمال ، فهو ربح جاءها ويحييها من الهواء بدون أدنى خسارة على أحد ؛ لأنها إنما تصرف للمؤسسين والمساهمين وأرباب الديون أرباحهم باعتبار الفرنكات فى بلادهم (وهى لا تصرف للمساهمين أزيد من ٢٥ فرنكا عن كل سهم ، ولأرباب الديون أزيد من ٢٠ فرنكا عن كل سند قيمته ٥٠٠ فرنك) وهى لا تحاسبهم على فرق الكامبيو لأنها تدفع فرنكات بلجيكية وحسابها فى بلادها بها

وهذا الربح ناتج من عملية تحويل هذه الأموال من مصر إلى بلجيكا ، ونتيجة زيادة قيمة العملة المصرية عن عملة بلجيكا فى هذه الأيام ، وما مولنا أن حكومتنا السنوية تعير هذه المسألة جانباً من عنايتها فتناقش الشركة هذا الحساب ، وتحل هذه الأزمة التى طالت بلا مقتضى

وفقنا الله جميعاً لما فيه الخير والسلام محمد طلعت حرب

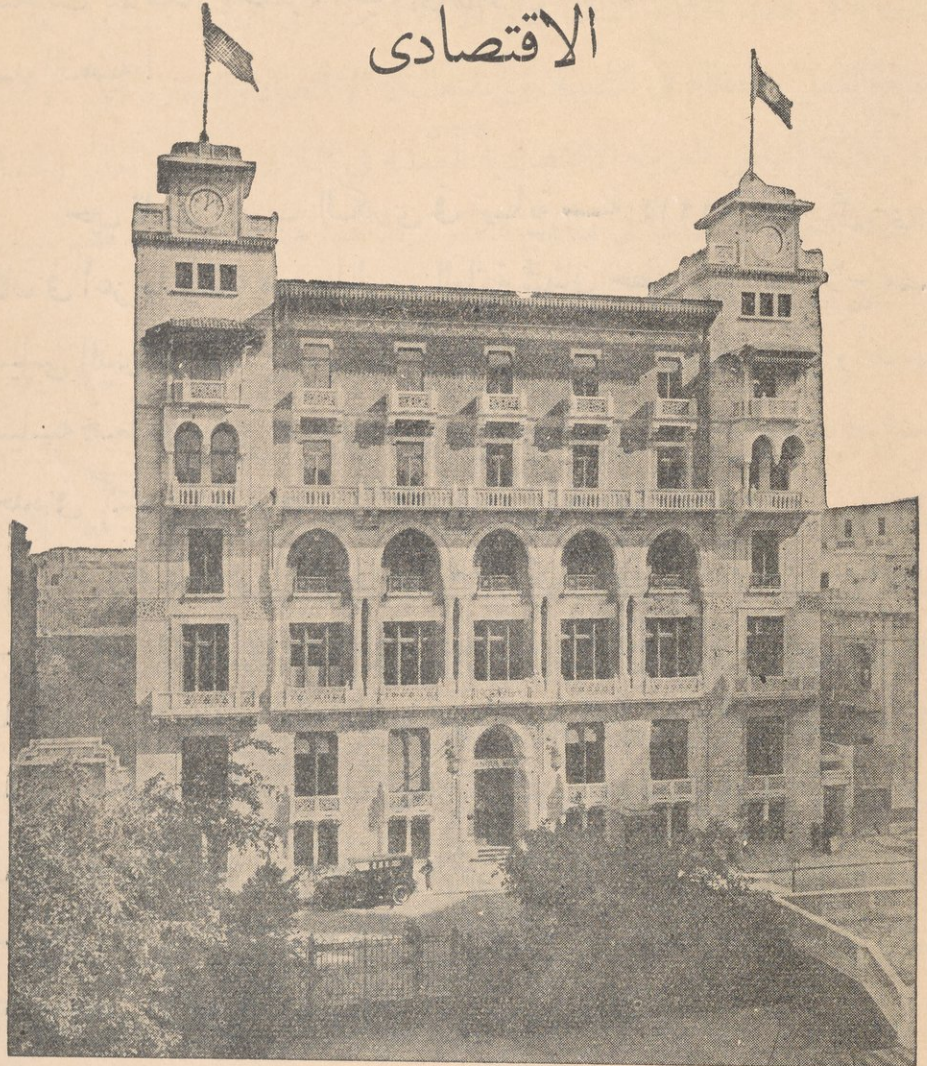
أتراه وهو يكتب هذا المقال وينشره قد توهج قلبه بهذا النور من
الالهام الذى كان شرارة هيئة لينته ، ثم استحال قبساً من نفس مشتعلة غير
على مصالح أمة بأسرها تهتكها هذه الشركات الغربية ؟ !

أجل فيها هو ذا القبس من الزعامة الاقتصادية التى تمثلت واستوت فى
شخصية رجل هو طلعت حرب قد استحال ضياءاً ، وها هو ذا الضياء قد بدأ ينتشر
فيعمر قلوباً أخرى لتؤمن برسالة المصلح الذى أدرك بوحى فكره وخواطره
كيف يفسر أحداث المجتمع فى بلاده تفسيراً اقتصادياً ، وعرف بقوة إلهامه
وصادق عزيمته كيف يعمل للإصلاح الاجتماعى عملاً اقتصادياً عظيماً يغير
من أركان العمران فى المجتمع المصرى

فها نحن أولاء تطالعنا الصحف بعد ثورة «مشكلة الترام» بأسبوع واحد
بخبر صغير عظيم ، هو أن طائفة من المالين المواطنين قد فكروا جدياً فى
تأسيس شركة مساهمة لبنك مصرى خالص . . . ولقد بارك الله هذا الخير
الصغير فتعلقت به روح أمة ، وجعلت منه حياة وارفة الخير لأبنائها جميعاً

معهد الاستقلال

الاقتصادى



كانت سنة ١٩١٩ فى مصر سنة ثورة ونهضة وإصلاح ، وكانت أيامها
مفترق الطرق بين الماضى والحاضر والمستقبل : نادى فيها سعد زغلول ومن
معه نداءهم إلى الحرية ، وردّد الشباب هذا النداء صيّا حاً ، تغلى وتهدر له الدماء
فى طلب الاستقلال

فجاء زعيم من الزعماء ينادى قومه إلى ناحية ملبوسة من الحرية

— إلى الاستقلال الاقتصادى — وكان هذا الزعيم هو « طلعت بك حرب »
الذى وقفنا إليه فى الفصل الماضى يدافع عن ثروة مصر والمصريين بقلبه ، كما
كان يدافع عن هذه الثروة بلسانه ، ثم جاء يدافع عنها بيده — يده التى
استحالت بالأفكار المخترمة الحية إلى رموس أموال تدبرها ، ثم تديرها هذه
اليـد الذهبية !

حين قامت الحرب الكبرى فى نهاية سنة ١٩١٤ وقفت كل شىء ،
وكان فى أعز ما وقفته هذه الحرب العاتية شيئان خطيران : هما علاج مصر
السياسى الذى كان يدبره الساسة المواطنون فى أحزابهم وصحفهم وأنديةهم
السياسية جميعاً ، وعلاج مصر الاقتصادى الذى كان يدبره « محمد طلعت حرب »
وحده فى كتابه « علاج مصر الاقتصادى وإنشاء بنك الأمة »

فلما وقفت ربحى الحرب ، وفرغت شئونها نهائياً فى أوائل سنة ١٩١٩
سار كل شىء فى طريقه ، فواصل الساسة تدبرهم العلاج السياسى لمصر فى
أسلوب ثائر جديد ، وواصل طلعت حرب تدبر العلاج الاقتصادى لمصر فى
أسلوب جديد هو الآخر ... لكن هذا الأسلوب العبقري كان هو الانصراف
عن التأليف الفكرى إلى تأليف أول شركة مساهمة لأول وأعظم بنك عرفه
التاريخ فى الشرق الأدنى ، وكان هذا البنك هو الجزء الثانى من كتاب
« علاج مصر الاقتصادى » تأليف محمد طلعت حرب !!

وقفنا فى الفصل الماضى إلى « طلعت بك حرب » ، تفتق غيرته لوطنه
ستار صمته ، وتبرز زعامته الاقتصادية إلى الوجود ... كان هذا فى أواخر
سنة ١٩١٩ ، وهما نحن أولاء نلتقى به فى أول مايو سنة ١٩٢٠ قد رفع يمينه لواء
استقلال مصر الاقتصادى ، حيث تأسست الشركة ، وتدبرت الأموال ،

افتتح بنك مصر أبوابه للعملاء وطنيين ، ومواطنين ، ومستوطنين ، في
٧ مايو سنة ١٩٢٠

في هذا التاريخ بعينه وقف طلعت حرب عميد بنك مصر على منصة
الخطابة في حفلة افتتاح البنك بدار الأوبرا يعلن أن البنك « سيعمل على بث
روح العمل والنظام في الشبيبة ، وإثراء ملكة الاقتصاد والتجارة فيهم ، والحث
على وضع أساس التربية الاقتصادية العملية في البلاد ، وجعل تعليم الحساب
والنظام الحسابي أساساً في مناهج التعليم . . . هذا هو برنامج بنك مصر سيعمل
على تحقيقه تدريجياً بكل تأن وروية »

برنامج لا تقرأه لبنك ، إنما تراه في برامج المذاهب الإصلاحية الكبرى
التي أقامت نهضات وحقت غايات وطنية عالية . والواقع أن مشروع
بنك مصر لم يكن مشروع شركة مالية بقدر ما كان مشروع علاج فعلي لأدواء
الحياة في مصر ، أراد المصلح أن يلقي به على شباب هذه الأمة — بين الخطب
النارية التي كانت تلهب لها دماؤهم من سنة ١٩١٩ إلى سنة ١٩٢١ — خطبة ذهبية
تغلو بها هذه الدماء ، محققاً بها حكمته الدرية التي قالها في تكريم « سيجفرد »
سنة ١٩١٣ « إننا نريد أن نعيش مع الآخرين كما يعيش الآخرون »

أراد الله وسارت النهضتان سوياً ، نهضة السياسة ، ونهضة الاقتصاد .
ونحن وإن كنا نعتقد أن النهضة الاقتصادية هي جزء من السياسة الحديثة
في كل أنحاء العالم ، إلا أننا نستطيع أن نقول : إن نهضتنا الاقتصادية التي
أوجدناها وحققها بنك مصر كانت أسبق من نهضتنا السياسية إلى تحقيق غاياتها .
ذلك لأن بنك مصر قد اتخذ من الأمة المصرية وظيفة يمكننا أن نصفها كما
وصفها طلعت حرب في ٢٢ مارس ١٩٢٥ « بأنها وظيفة وكيل أمين يساعد
على تحقيق المشروعات الاقتصادية النافعة للبلاد بتحضير دراستها واستيفاء
فحصها وتهيئة معداتها ، ثم تكوين شركات مساهمة لها ،

لم تنثر الرياح في طريق بنك مصر الزهور من غير أشواك . لكن

حرباً قد نفث في صدور من حوله روحاً من الحب لمشروعهم العزيز ، وكم يفعل الحب من الأعاجيب ، فداسوا الأشواك بأقدامهم ، وقدموا الزهور في رباط ذهبي متين إلى الأمة التي قدرت مشروعهم فتعلقت به أحلامها وأمانها . وقد وقف طلعت حرب في يوم من أيام مجده يعلن حب رجال بنك مصر للبنك ، وحب المصريين لبنك مصر ، وما ترتب على هذا الحب من إرادة نفاذة تبديد الصعاب قائلاً :

« إن بنك مصر ما كان ليصادفه هذا النجاح إذا لم يتفق المصريون على إنجاحه ، وإذا لم تقو إرادة القائلين به على مقاومة الصعاب لا بلاغه هذه الدرجة من النجاح ، بل يصح القول بأن الإرادة القوية — إرادة فعل الخير القومي المقرون بالاخلاص المجرد عن الغايات الذاتية هي أس نجاح العمل في أي قطر كان » (١)

أجل تضافرت جهود الأمة على إنجاح مشروع طلعت حرب منذ اللحظة الأولى التي أحس الرجل الملهم أنها لحظة التنفيذ ، وآية هذا أننا نجد الشباب حينما أعلن اكتتاب بنك مصر في سنة ١٩٢٠ يتطوعون في عملية الاكتتاب ، ويساهمون فيها مساهمة شعبية كانت هي البداية الرائعة للعلاقة الحميمة بين قلب الأمة وحياة بنكها العظيم . . .

ليس جديراً بنا أن ننكر ما لقيه البنك من الشدائد أول أمره . على أن هذه الشدائد ليست إلا صدى لما كانت تلاقيه الأمة المصرية كلها إذ ذاك . ولما استتب الأمر للأمة قليلاً ، وتبين المصريون جلائل انتباههم إلى الإصلاح الداخلي في البلاد ، عظم بنك مصر وعظمت جهود عميده في نظر المواطنين ، وأصبح اسم « طلعت حرب » عنواناً على النزاهة ، والحب ، والنجاح ، والاستقلال في نظر كل شيعة ، وكل حزب ، وكل بيت ، وكل حكومة مصرية لا يفتح برلمان مصرى إلا وتنتخب السلطة التنفيذية من أي لون

(١) من خطابه بمدينة دمشق الشام في ٧ يولييه ١٩٢٥

سياسي كانت طلعت باشا في مقدمة الأعضاء لمجلس الشيوخ؛ ولا يقوم في البلد مشروع اقتصادي شعبي من مشروعات الشباب إلا ترى اسم طلعت في رأس هذا المشروع رائداً أو راعياً أو رئيساً من رؤساء الشرف؛ ولا تمر بمصر مسألة في حياتها الاقتصادية صغيرة كانت أو كبيرة إلا ويكون مرجعها إليه ومشورتها عنده. حتى إذا مارغبت الحكومتان المصرية والانجليزية في تبادل بعثتين اقتصاديتين رسميتين لم يتم تشكيل البعثة المصرية — علي صبغتها الرسمية — إلا باشتراك طلعت حرب!!

ذلك أن طلعت كان قد أسلم قلبه لعمله الوطني العظيم، فأنت تراه لا يعمل إلا له، ولا يتحدث إلا به، وها أنت ذاتجده يقول في خطبة ألقاها بمدينة المحلة الكبرى في ١٤ سبتمبر سنة ١٩٢٤:

«..... والآن أحدثكم عن معشوقة أخرى ليس بينها وبين مدينتكم إلا كل محبة وصدافة، وكل تضامن متين في المصلحة العامة.. أحدثكم عن بنك مصر. أحدثكم عن البنك الوطني الحقيقي الذي يشعر بما يشعر به أهل كل جهة من جهات القطر ويشعر بحاجات البلاد لتحقيق استقلالها الاقتصادي، ويعمل قدر جهده لبلوغ هذه الغاية العظمى»... ولقد كان جهده عظيماً، وإحساسه بحاجات البلاد دقيقاً، وعمله لبلوغ غاياته وتحقيق ماله سريعاً مجيداً

شركات تحقق الغايات

« سيشجع البنك المشروعات الاقتصادية المختلفة التي تعود عليه وعلى البلاد بالربح العظيم ، ويساعد على إيجاد الشركات المالية والتجارية والصناعية والزراعية ، وشركات النقل بالبر والبحر ، وشركات التأمين بأنواعها ، ويتعهد لها حتى تنمو وتقوى ويشهد ساعدها ، وبالجملة يعمل على أن يكون لمصر صوت مسموع في شئونها المالية ، ويدافع عن مصالحها كما تدافع البنوك عن مصالح بلادها »

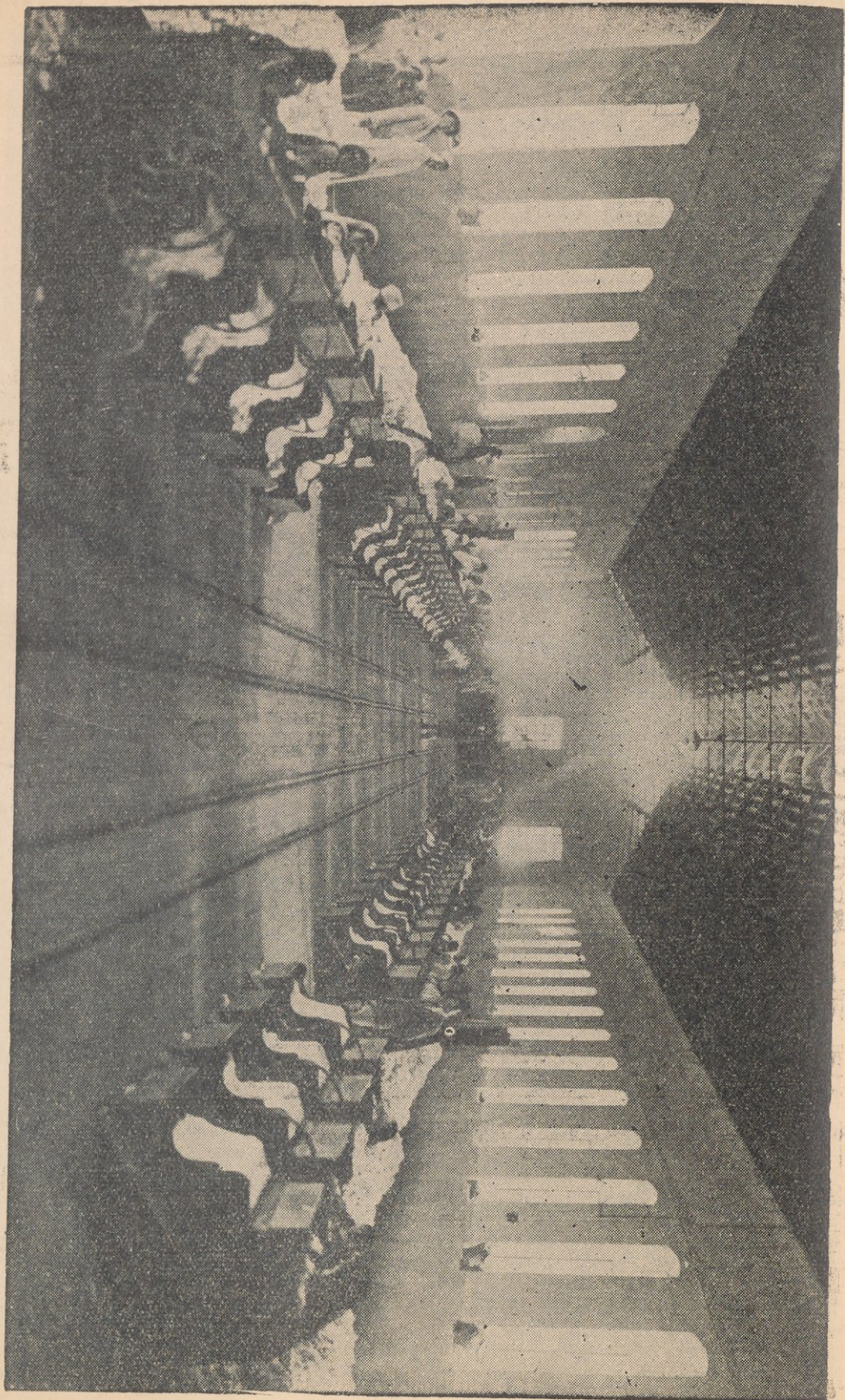
هذه الفقرة التي استخرجناها من برنامج بنك مصر الأساسي إنما تحتوي على النموذج الذي صورته في عقله طلعت حرب يوم اعتزم أن يضع الحجر الأساسي لاستقلال مصر استقلالاً اقتصادياً . . . فقد عزم على إيجاد الشركات الصناعية والتجارية في المستقبل ، وقد كان هذا المستقبل أقرب مما يتصوره خياله . . . ذلك أنه رسم الخطة وأقبل على تنفيذها بهمة طلعتية لا تعرف التردد

لقد بدأ العمل صغيراً ، لكنه سار بخطوات جبارة إلى العظمة . . . كانت سياسة البنك التي اختطها طلعت حرب أن يقطع من أرباحه السنوية جزءاً من المال حتى إذا ما تكون من هذه الأجزاء رصيد معقول استطاع أن يعلن إنشاء شركة يكون قد درس فكرتها دراسة عميقة

ففي أغسطس عام ١٩٢٢ بدأ بتأسيس مطبعة مصر . ولم تكن هذه الفكرة فكرة مصادفة ، بل إن المبالغ الضخمة التي كان يصرفها بنك مصر في شراء دفاتره ومطبوعاته كانت تدعو إلى التفكير في إنشاء هذه المطبعة

كان رأس مال شركة المطبعة عند إنشائها خمسة آلاف من الجنيهات ،

شركة مصر لطليح الأنفاق — منظر داخلي لأحد عالج الشركة



وهو مبلغ بسيط لا يكفي لإنشاء هذه المطبعة النموذجية التي ارتسمت صورتها
في ذهن الجبار ، لكن الصبر والمثابرة جعلت من هذه المطبعة حدثاً فنياً غير
وجه الطباعة في البلاد . فتقدمت وتحسنت حتى أصبحت تضارع أمهات
المطابع في أعظم البلاد شأناً ، وصار رأس مالها الحالى خمسين ألف جنيه ،
وهكذا بدأ طلعت يعيد إلى مصر والمصريين آلاف الجنيهات التي كانت
تذهب إلى جيوب الأجانب في عالم الصناعات !

فكر طلعت حرب في سعادة الفلاحين الذين شغف طول حياته بسعادتهم ،
فلما تمكن لديه من القوة ما يستطيع بها أن يعمل عملاً جدياً لسعادة الفلاح
المصرى ، كانت أول شركة عمل لتأسيسها بعد المطبعة شركة صغيرة لتجارة
وحلج الأقطان ، تأسست في ٢ أكتوبر سنة ١٩٢٤ برأس مال بسيط لا يتجاوز
ثلاثين ألف جنيه . وفي مغارة ألقى القنبلة الأولى لغزو ميادين الأقطان . ففي
هذه البلدة الصغيرة « مغارة » احتفل طلعت حرب وصحبه بإنشاء النواة الأولى
لشركة مصر لحلج الأقطان ... وبارك الله في هذه النواة فأصبح لهذه الشركة
ثمانية محالج في : مغارة ، بنها ، المنصورة ، والمحلة الكبرى ، الواسطى ، الفيوم ،
طامية ، جرجا . وأصبحت هذه المحالج تحلج من القطن سنوياً ما يربو على
المليون قنطار ، وزاد رأس مال الشركة ببركة الله وتوفيقه لطلعت إلى مائتين
 وخمسين ألفاً من الجنيهات

جاء عام ١٩٢٥ فاذا بينك مصر يظهر العالم على آيتين من الآيات
الطلعتية في الصناعة الوطنية ، ففي أغسطس من سنة ١٩٢٥ تأسست
شركة مصر للنقل والملاحة كي تنقل القطن الذي تحلجه الشركة الأولى إلى
الأسواق ؛ ولم يكن هذا إلا مساعدة جديدة للفلاح المصرى الذى كان يئن
من غلاء أجور النقل بالسكك الحديدية ... وزاد أسطول هذه الشركة ،

١٣
 ↳ net capital
 ↳ agn (no layer)
 ↳ is h h h h h

AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO

شركة مصر للمبيل والسبا — مبطل خارجي استوديو مصر



فأصبح مكوناً من ثلاث وسبعين قطعة على الطراز الحديث . وزاد رأس المال فيها إلى مائة وخمسين ألف جنيه

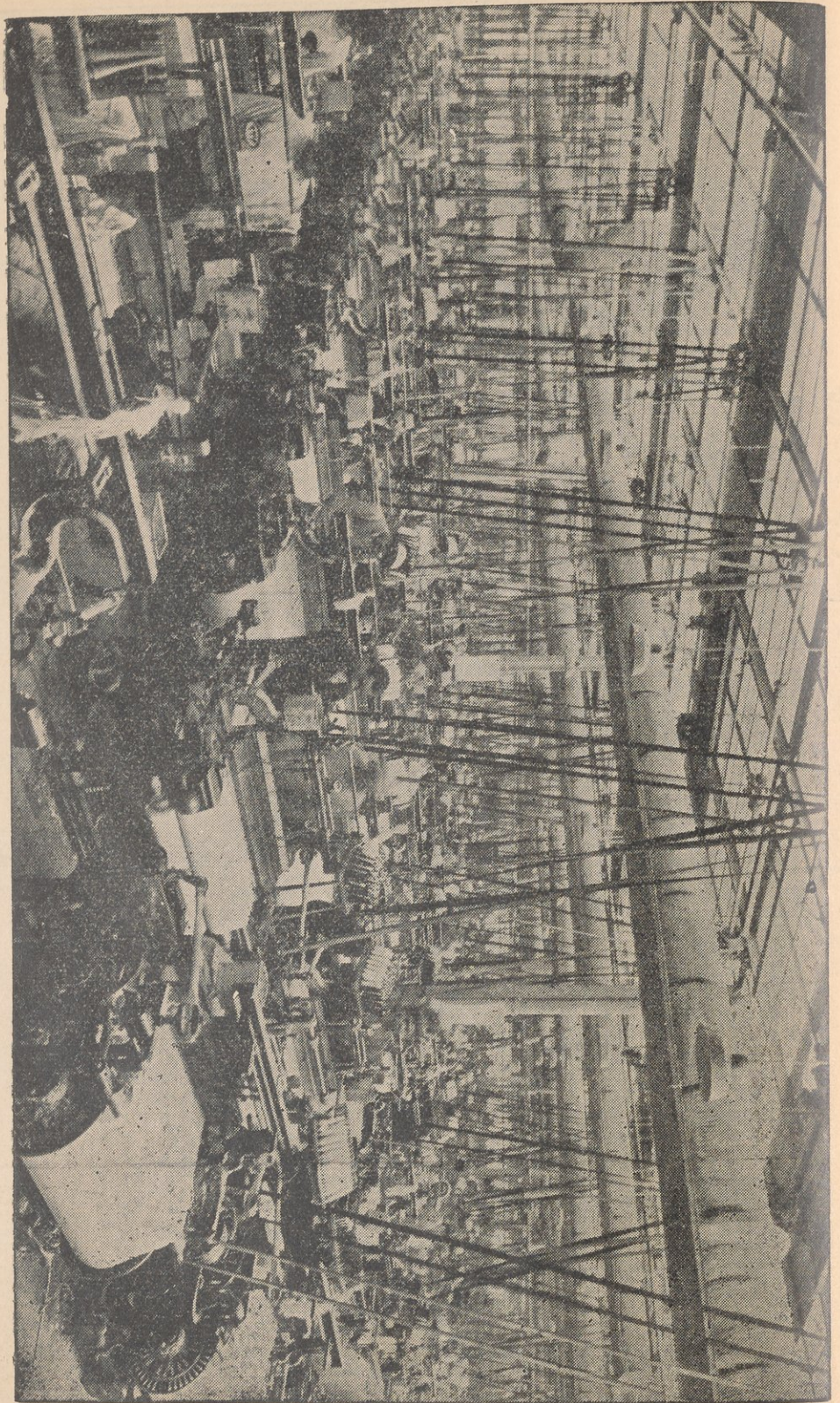
ثم تأسست شركة مصر للتمثيل والسينما ، وكانت الفكرة الأولى لطلعت حرب في تأسيس هذه الشركة أن تكون دعاية طبية لمصر والمصريين ، ووسيلة حسنة من وسائل الاعلان عن البنك وشركاته التي يكونها . وزاد تقدم هذه الشركة بمرور الأيام ، فاذا بها تنشئ استوديو مزوداً بأحدث الآلات والأجهزة ، فكان أعظم استوديو في الشرق . وليس لنا هنا إلا أن نثبت هذا الاعتراف الخطير الذي أدلى به أحد الخبراء الأجانب حين زار هذا الاستوديو وشهد أن مدينة هوليوود ، مركز السينما ومصدر الصور المتحركة ليس بها استوديو واحد كهذا الاستديو وبارك الله في هذه الشركة أيضاً ؛ وصاحبها توفيقٌ طلعت حتى ارتفع رأس مالها من خمسة عشر ألفاً إلى خمسة وسبعين ألفاً من الجنيهات

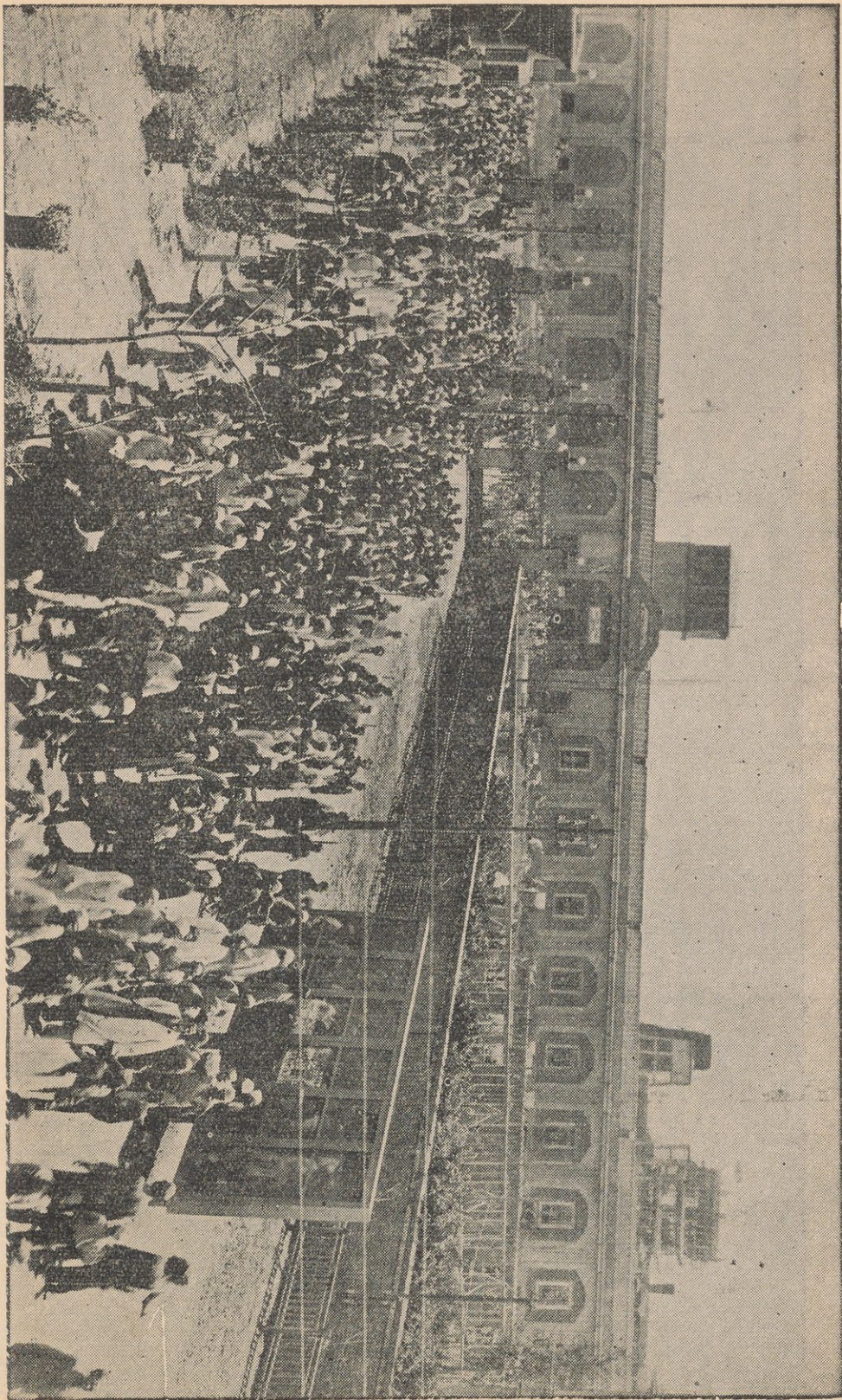
عاد طلعت يفكر في بقية المنسوجات ، فأنشأت شركة مصر لنسج الحرير التي تقوم بنسج الحرير الطبيعي نسجاً ميكانيكياً في المركز القديم لصناعة الحرير بعينه ونعني به دمياط .. وقد بدأت برأس مال يبلغ عشرة آلاف من الجنيهات ، فاذا بها تبلغ اليوم خمسة وسبعين ألفاً

تجىء بعد هذا كله المعجزة الطلعتية الكبرى معجزة الاستقلال الاقتصادي المصري في القرن العشرين ، حيث أنشأت الشركة التي سجلت اسم بنك مصر واسم عميد بنك مصر في سجل الخلود — شركة مصر للغزل أسست شركة مصر لغزل القطن ونسجه في ٢٦ أغسطس سنة ١٩٢٧

في «مانشستر مصر» المحلة الكبرى ... وكان رجال الإدارة في هذه الشركة وعلى رأسهم زعيمهم طلعت حرب يقدرون مدى خطورة النتائج الاقتصادية التي ستترتب على ظهور منتجاتها في الأسواق ، فأخذوا يعالجون الأمر بتجربة حكيمة متسدة دامت ثلاثة أعوام ونصف عام ، حتى أصبحت هذه النتائج

شركة مصر للغزل والنسيج — عتبر النسيج





شركة مصر للنفط والبتون — منظر خارجي للمصنع وقت خروج العمال

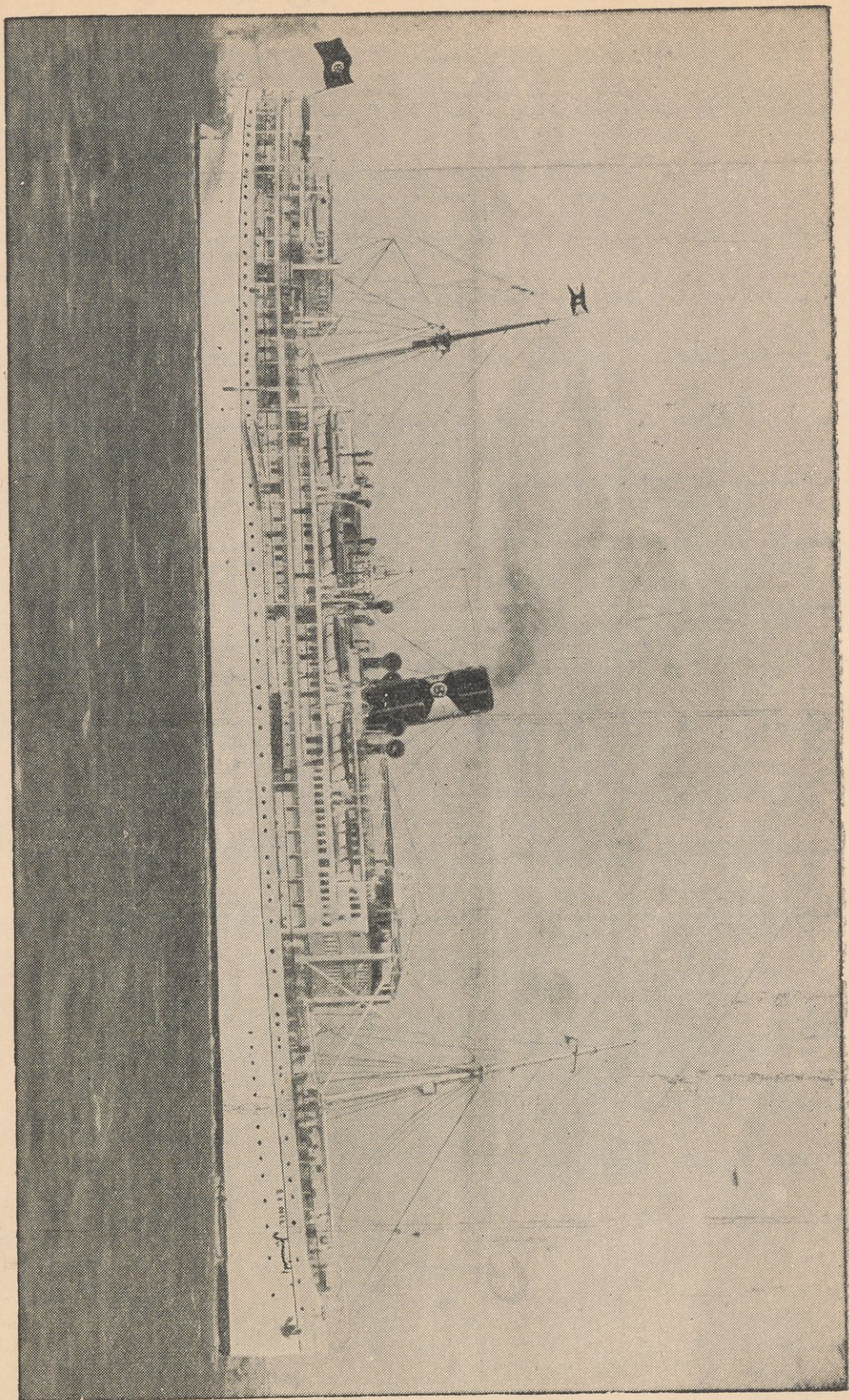
موضع الثقة من العاملين على إنشاء هذه الشركة ، وإحياء صناعة النساجة والغزل بها في البلاد المصرية

حينئذ تشرفت إدارة الشركة بدعوة المغفور له الملك فؤاد الأول لافتتاح الشركة ، ففضل واقتحها بنفسه رسمياً في ٢٣ مارس سنة ١٩٣١ .. وهناك على أرض مدينة المجد الصناعي المصري — المحلة الكبرى — وقف صاحب العزة محمد بك طلعت حرب في حضرة صاحب الجلالة الملك يقول : « إذا كانت الصناعات النسيجية في القرن الماضي صناعات يدوية ، وكانت أقرب إلى الصغرى منها إلى الكبرى ، فان جلالتيكم حين تشرفون اليوم مصنع شركتنا تجدون الفرق بين العهدين ظاهراً ، فترون صناعات الغزل والنسيج قائمة على أحدث طراز وأحدث ماكينات . وترون بالجملة صناعة كبرى لصناعة صغرى ، وعهداً صناعياً جديراً بأن ينال مكانه وسط الأعمال الجليلة التي تمت في عهد جلالتيكم الميمون »

ثم طاف طلعت حرب بك في معية صاحب الجلالة بمغازل المصنع ومناسجه ومعداته المختلفة التي تشمل مساحة مقدارها عشرات الأفدنة .. وبعد أن قضى جلالة الملك ساعتين كاملتين في السير على قدميه تمتعاً قلبه بهذه النهضة المسادية الملموسة ، اتجه صوب باب المصنع رافعاً يده إلى رأسه بالتحية الملكية الجليلة قائلاً : « متشكر جداً يا طلعت باشا »

ثم سارت شركة مصر للغزل والنسيج يحبوها تشجيع المصريين جميعاً وفي مقدمتهم ملك مصر وزعماء مصر حتى بلغت مكانة لفتت أنظار الدوائر الصناعية في كل بقاع العالم ، وها هو ذا طلعت حرب باشا يعطينا صورة مختصرة منها في خطابه الجامع الذي ألقاه في العيد الخامس عشر لميلاد بنك مصر في ٧ مايو ١٩٣٥ فيقول :

« وليس في مصر ولا في غير مصر شركة تحوى هذه المصانع مجتمعة في أرض واحدة ، تحت إدارة واحدة ، تشرف على ١٢٠٠٠ عامل يشتغلون



مناوبة بالليل والنهار، وقد يصلون إلى عشرين ألفاً قريباً باذن الله » وها هي
ذى الأرقام تعزز قول الزعيم ...

فقد زاد الاستهلاك في هذه الشركة ، فبعد أن كان ٢٢ ألف قنطار
في سنة ١٩٣١ بلغ ١٥٢ ألف قنطار في سنة ١٩٣٤ ، وسوف يزداد حتى يبلغ
نصف مليون قنطار في سنة ١٩٣٧ باذن الله

أما مصانع الشركة فقد زادت وتضخمت ، وإليك ما احتوته هذه
المدينة من المصانع :

- | | |
|---------------------------|-----------------------------|
| ١ — مصنع غزل القطن | ٢ — مصنع نسج القطن |
| ٣ — » » الكتان | ٤ — » » الكتان |
| ٥ — » الصباغة والتبييض | ٦ — » الطباعة |
| ٧ — » القطن الطبي | ٨ — » الدوبارة والأحبال |
| ٩ — » الجورابات والفانلات | ١٠ — » الدانتلا والناموسيات |
| ١١ — » البطاطين | ١٢ — » الأصواف والأجواخ |

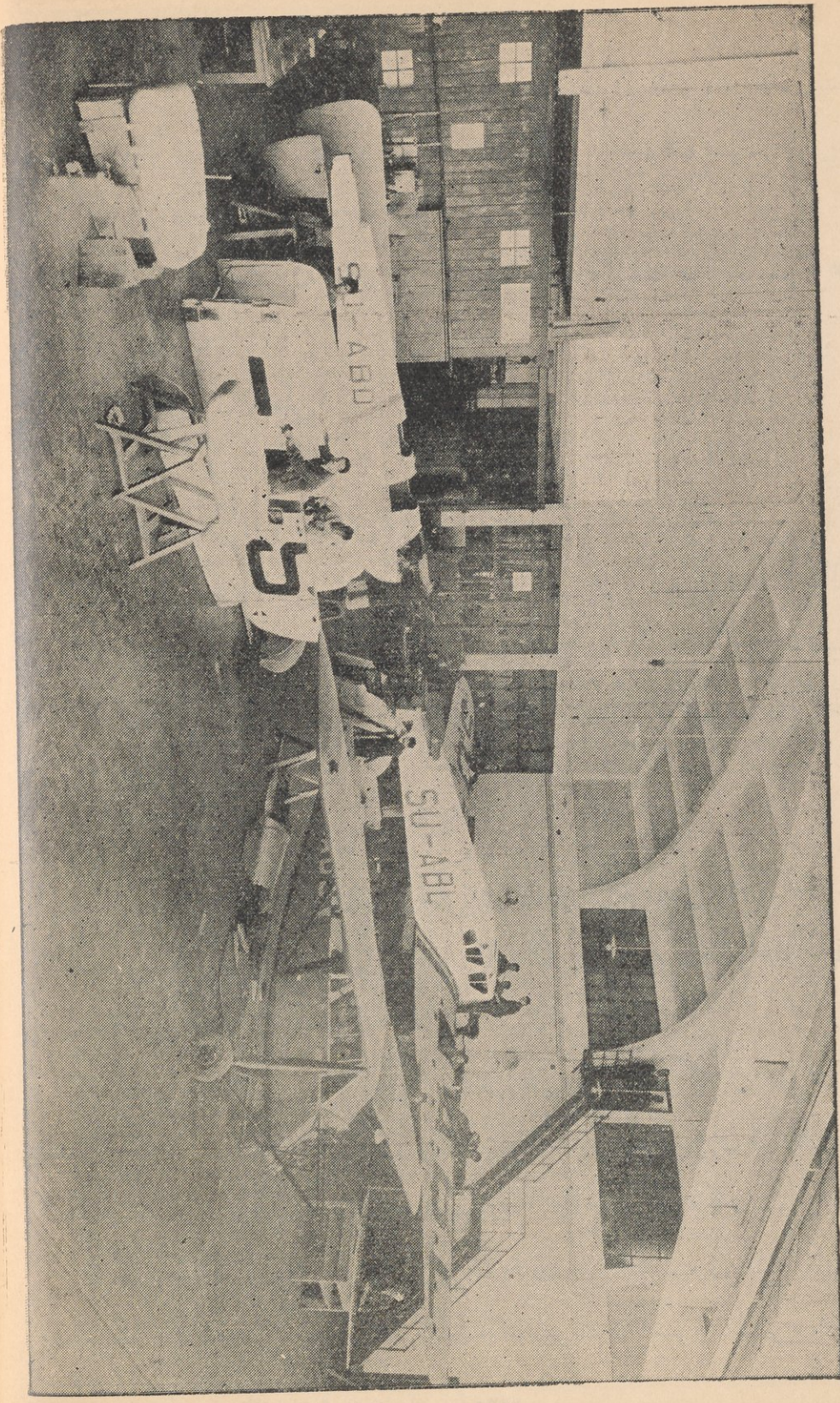
لم تنته هذه السنة المباركة ، سنة ١٩٢٧ ، في تاريخ مصر الاقتصادي حتى
تألفت شركة مصر لمصايد الأسماك ؛ وكان الغرض الأول لها « تنظيم الصيد
من البحار والبحيرات المصرية والنيل ، ^(١)

لكن سرعان ما تطورت أغراض هذه الشركة في عالم الأحياء
الصناعي ، فأنشأت مصنعاً لصنع الأزرار بمدينة السويس .. وإن منتجات هذا
المصنع لتغمر السوق المصرية حيث يتابعها النجاح في كل مكان ..

لم تكن هذه الشركة الثالثة هي الأخيرة التي أنشئت في هذا العام ؛ بل
إن شركة جديدة هي شركة مصر للكتان ، ظهرت في السوق المصرية لتعطين

(١) خطبة عيد بنك مصر في ٧ من مايو سنة ١٩٣٥

LIBRARY



الكتمان ونفضه وغزله ونسجه وتجهيزه النهائى . ولقد عادت هذه الصناعة إلى الحياة من جديد بعد أن كادت تندثر وتزول

لم يقف هذا النصر كله بجهود طلعت عند هذا الحد ، فعمل على إنشاء شركة مصر للطيران سنة ١٩٣٢ برأس مال قدره أربعون ألفاً من الجنيهات ، ثم شركة مصر لعموم التأمينات سنة ١٩٣٤ برأس مال قدره مائتا ألف جنيه ، وشركة مصر للملاحة البحرية وهنا لا يسع المؤرخ لطلعت حرب إلا أن يقف منصتاً إليه وهو يقول فى ١٥ يونيه سنة ١٩٣٤ على ظهر الباخرة النيل فى أول رحلة مصرية لها بين الاسكندرية ومرسيليا « سيداتى ، سادتى :

« هذا اليوم يوم عيد ، أتيح فيه لعلم مصر الخفاق أن يرفرف لأول مرة على النيل فوق البحار »

فى هذه الكلمة وحدها من المعانى ما يعجز القلم عن تصويره بشتى النواحي التى تحسها القلوب المصرية إزاء معانيها

وقد كان آخر الشركات التى عمل طلعت حرب على تأسيسها شركة مصر للسباحة ، وذلك بالاتفاق مع شركة من أقوى شركات العالم وأقدمها ، ونعنى بها شركة (Cox & King) ، وفى مثل هذا الاتفاق دليل على المكانة التى أخذتها شركات مصر الحديثة بين الشركات الأجنبية القديمة

ليس شك أن رجالاً أقطاباً أكفاء قد ساهموا واشتركوا فى تأسيس هذه الشركات وفى إدارتها ، لكن التاريخ سيدكر لطلعت حرب أنه كان دائماً المتقدم بفكرة كل شركة منها إلى الجمهور ، المتحمل للمسئولية أمامه . وليس أدل على هذا من انتخابه فى شركات مصر الأربع عشرة نائب رئيس وعضو مجلس إدارة منتدب

لعلك لاحظت — ونحن نسر ذلك شركات مصر التى تضم الآن

١١٥٠ موظفاً، ١٦٠٠٠ عامل — كما يقول طلعت حرب — « إن هذه الشركات
تكون حلقات متصلة بعضها ببعض دون أن يكون تأسيسها اعتباراً
« فالمكتبة والمطبعة والشركة المساهمة لصناعة الورق — حلقة ...
وللقطن حلقة تتمثل في الحالج والنقل والتصدير والتأمين والغزل والنسيج ...
وتتصل بحلقات القطن أيضاً حلقات الحرير والكتان
« ومن النقل تكونت حلقة بين النقل في النهر والنقل في البحر والنقل
في الجو، كما اتصلت بهذه الحلقة مسألة السياحة
« ومن اتصالنا بالبحر نشأت حلقة أخرى هي « حلقة السمك » وما
خرج منها من صناعة أزرار الصدف
« ثم الحلقة التي تربط جميع الحلقات وتذيع عنها كل ما تهم إذاعته ،
ونعني بها حلقة السينما والدعاية بها » (١)

إننا نتساءل مع طلعت باشا هذه الأسئلة التي رددتها بخطابه في حفلة
العيد الخامس عشر لبنك مصر حين يقول : « إذا لم يكن في البلد بنك مصر ،
فمن كان يؤسس هذه الشركات ؟ وأين كانت تذهب رموس أموالها وهي آلاف
مؤلفة من الجنيهات ؟ وأين كانت تستقر ؟ ومن كان ينتفع بها ؟
وأين كان يذهب ألاف العمال وجماعاتهم وأنصاف المتعلمين الذين يشتغلون
الآن في شركات بنك مصر ؟ ؟ »

(١) خطبته في عيد بنك مصر في ٧ من مايو سنة ١٩٣٥

الوطنية الاقتصادية تنتصر

انبثق فجر سنة ١٩٣١ يحمل في طياته سرّاً جديداً من أسرار الاستقلال، سرّاً يتضمن لونا جديداً قوياً من الوطنية، هو الوطنية الاقتصادية اشتدت الأزمة بالمصريين في نهاية سنة ١٩٣٠، وانتهت هذه الأزمة الاقتصادية في مصر إلى ما انتهت إليه الأزمة الشبيهة بها في سنة ١٩١٠... كان الفارق بين الأزمتين فارقاً في نفسية الأمة خلال التاريخين. فالمصريون في سنة ١٩٣٠ كانوا غير المصريين في سنة ١٩١٠ نفسية وشجاعة وإقداماً كان المصريون في سنة ١٩٣٠ قد شارفهم الزعامة الاقتصادية التي عقدت لطلعت حرب، وكانت هذه الزعامة الاقتصادية، وما إليها من جهود الأكفاء من المصريين الذين عاونوا طلعت وشاركوها في نهضته قد تركت أثراً جديداً في النفسية المصرية، وعلمت المصريين كيف يكون الاقتصاد عدة ودعامة في بناء الاستقلال

تفشى هذا السر في مصر من قلب إلى قلب؛ وآمن المصريون، ممثلين في شبابهم المستنيرين، أن الخلاص مما أحاق بمصر من الاستعمار الاقتصادي الأجنبي الذي كشفت الأزمة ستره وخبيثته إنما يكون بتنظيم الدعوة إلى الانتاج المحلي، وتعبئة هذا الانتاج إزاء الواردات الأجنبية التي تزاخم المنتجات الوطنية في الأسواق المصرية... وفي أيام معدودات من يناير سنة ١٩٣١ انتشرت هذه الدعوة بين صفوف الشباب، وانتقلت من ساحتهم إلى أبناء البلاد جميعاً

حمل لواء هذه الدعوة في مهدها جماعة من المفكرين^(١) تمثلوا بمثل

(١) هم الدكتور محمد أبو طائلة الكاتب الاقتصادي المعروف (مستشار الجمعية الفنية). والاساتذة:

طلعت حرب . واتخذت هذه الجماعة لها اسم « المصري للمصري » ، فانتشرت دعوتها بين الشباب المصريين جميعاً . وأقام الشباب أنفسهم دعاة لهذا الأسلوب الجديد من الكفاح الاقتصادي الوطني

كان طبيعياً أن يتقدم الصفوف في هذه الدعوة وكلاء الأمة ، فألف الوفد المصري لجاناً من جند هذه الغاية ، وكان لهذه اللجان أثر كبير في نجاح الدعوة وانتشارها واعتبارها مبدأ عاماً من المبادئ الوطنية البحتة التي ينادي بها الزعماء . وكان الزعماء عامة يطوفون بالمتاجر الوطنية ليشتجعوها ، وليعلنوا عنها ، وليلفتوا أنظار المواطنين إليها . وليس شك في أن طواف الزعماء بالمتاجر والمصانع الوطنية وتشجيعها كان نداء عملياً ، وإيجاء قوياً ، حمل الشعب على تلبية النداء .. وكان في الصف الأول من هذه الحركة صاحب المجد النبيل عباس حليم ، والمجاهدون الوطنيون : محمود فهمي النقراشي باشا وحمد الباسل باشا ، والسيد عبد الحميد البناني

أولئك الساسة كانوا في مقدمة الذين عملوا لإحياء الصناعة المصرية ، وفي مقدمة الذين استبدلوا بثيابهم من الأقمشة الأجنبية ثياباً من أقمشة وطنية قدر المستطاع . وقد استعان النقراشي باشا على تحقيق هذا الغرض الوطني النبيل أول الأمر باستيراد بعض الأقمشة الصوفية من مصانع العراق ريثما تتم صناعة الأقمشة الصوفية بمصر ؛ كما كان يعرض المنتجات المحلية الصناعية في قاعات النادي السعدي ، ويروج لها بنفسه ، فكان هذا المعرض الصناعي الوطني الصغير الذي أقامه النقراشي باشا في النادي السعدي من الأسباب الأولى التي دفعت المشتغلين بالوطنية الاقتصادية إلى إنشاء شركة بيع المصنوعات المصرية ، على النحو الذي تقرأه في الفصل التالي

سلامه موسى الصحفي المعروف (رئيس مجلس الإدارة) ، وحافظ محمود أحد مؤلفي هذا الكتاب (السكرتير العام) ، ومحمد عبد الصمد عضو مجلس النواب الحالي (أمين الصندوق) ، والأساتذة الأعضاء : راشد رستم مدير قسم النشر بوزارة التجارة ، وأمين الخولي الأستاذ بكلية اللغة العربية والآداب ، وإبراهيم محمد المحامي

لم يكن بد يومئذ من اتجاه الأنظار إلى الرجل الذي كانت أعماله وحياتاً لهذه النهضة الجديدة . وكانت جريدة المساء أكثر الجرائد الوطنية مشايعة لهذه الحركة ، فأوفدت مندوبها يساءل طلعت باشا رأيه حيال هذا النشاط . وطالعت الجريدة قراءها في ٧ مارس سنة ١٩٣٤ بحديث مستفيض عن نهضة تشجيع المصنوعات المصرية جاء فيه :

« س : ما هي الطرق التي تشيرون باتباعها لبلوغ الغرض المقصود ؟
ج : يصح أن تنظم الدعوة إلى الاستعاضة عن المصنوعات الأجنبية بالمصنوعات الوطنية على مثل القواعد الأساسية الآتية :
أولاً : أن تكون الدعوة قائمة باعتبارها فكرة اقتصادية محضة حتى يقبل اعتناقها كل مصري

ثانياً : أن تكون بعيدة كل البعد عن السياسة ، فإن هذه الدعوة تستطيع أن تعيش وحدها على أساس الفكرة الاقتصادية بدون خلطها بأي اعتبار سياسي
ثالثاً : أن تكون الدعوة بمثابة ميثاق قومي اقتصادي يعتنقه كل مصري كعقيدة وواجب وطني مفروض

رابعاً : أن تنظم الدعوة بصفة قومية ينسب القائمون بها منافساتهم ومنازعاتهم الشخصية أو الحزبية

خامساً : أن يتضافر أرباب الصناعات المتماثلة بتكوين جماعات منهم بصفة اتحاد صناعي لكل صناعة ، يساعد على التعاون في انتقااص التكاليف والبيع بأسعار تقاوم منافسة الخارج

سادساً : أن يزداد اهتمام المصريين بالأعمال الصناعية ويخصصوا شيئاً من أموالهم لتنشيط الصناعات القائمة وإنشاء الصناعات الحديثة

سابعاً : أن تستمر الحكومة المصرية على خطتها القاضية باتباع سياسة الحماية الجبركية وتفضيل المصنوعات الوطنية على المصنوعات الأجنبية في

التوريدات العمومية : ولو زاد ثمنها بمقدار ١٠٪.

آمنت مصر أمة وحكومة بهذا البرنامج الذى جمع فيه طلعت تفاصيل نهضتها الاقتصادية الاستقلالية الجديدة ، فاتفقت الأحزاب المتنافرة على هذه الخطة ، وكنت لا ترى اتفاقاً بين حكومة الأقلية التى كانت قائمة يومئذ (١) وبين أكرثية الأمة المجاهدة إلا فى هذه النقطة وحدها... وكذلك كتب الله النصر المبين للزعامة الاقتصادية التى تمثلت فى طلعت حرب

لقد نجحت هذه النهضة نجاحاً تاماً بأن بدلت الاعتبار القديمة فى السوق المصرية . فبعد أن كان قصارى نخر المفاخرين فى الأسواق أن يقولوا هذا الذى بيدنا هو بضاعة غريبة ، أصبح قصارى نخرهم أن يثبتوا وطنية بضاعتهم وعراقها فى المصرية

ذلك فضل الانتاج المصرى الجديد الذى تختص شركات مصر الموسومة بسمه طلعت بأكبر نصيب منه... ومع هذا فإن هذا الرجل الذى تناديه روحه آناء الليل وأثناء النهار بالفرع إلى استكمال ما نقص الأمة من معدات الاستقلال الاقتصادى الأكيد — لا يزال يكرر دعوته كل يوم فى أسلوب جديد . فتراه وقد فرغت مصر من إبرام اتفاقها أخيراً مع بريطانيا يدلى إلى أول صحفى يسأله الحديث بالتصريح الآتى :

... فى رأى أنه يجب أن ترسم للبلاد سياسة اقتصادية قومية ترمى إلى زيادة الانتاج الزراعى والصناعى وحمايتهما حماية صحيحة ، ثم إلى حمل البلاد جميعاً على تفضيل المصنوعات المصرية على ما عداها فى جميع الأوساط والهيئات والمصالح ، (٢)

ألسنت تراه نهازاً للفرص ، يضع الأشياء فى مواضعها ؟ ..

(١) وزارة اسمايل صدق باشا

(٢) حديث طلعت باشا فى باريس بجريدة البلاغ فى ٢٠ من سبتمبر ١٩٣٦

نحت لواء الزعيم

وقف طلعت حرب باشا ليلقي خطبته التاريخية الكبرى في يوم الاحتفال بالعيد الخامس عشر لبنك مصر أمام ألوف من المصريين والأجانب، جمعت صفوفهم الوزراء والسفراء ومحافظي البنوك ومديري الشركات والعلماء والأدباء والشباب. وأجمل في خطابه خطي بنك مصر في هذه السنوات الخمس العشرة كلها خطوة خطوة إلى الاستقلال الاقتصادي، فلم يفت زعيم هذا الاستقلال الاقتصادي أن يقول:

« سادتي: نكرر هنا ما سبق أن قلناه، وهو أن البنك لا يريد أن يحتكر القيام بالمشروعات الصناعية أو غيرها، ويود دائماً أن يظهر بجانبه مصريون يخففون عنه الحمل، ويضطلعون مثله بالمسؤولية؛ وهو على استعداد لأن يمد لهم يد المساعدة بكل ما يستطيع »

أجل فطلعت حرب بعد هذه المنشآت التي عمل على إنشائها جميعاً لا يزال أفق نفسه يتسع للجدب على كل مشروع اقتصادي ينفع بلاده... إن في هذا الآية من آيات الزعامة الحققة في ميدان الوطنية الاقتصادية... ويشاء الله فتحقق لمصر هذه الآية، وينشط المصريون في السنوات الست الأخيرة إلى المنشآت الوطنية في الصناعة والتجارة كليهما، وتصبح لهذه المنشآت « منتجات طيبة، يصح، بل يجب أن تكون في متناول جميع المصريين وغيرهم، ففكر بعض كبار المصريين في ذلك، واتفقت كلمتهم على تأسيس شركة بيع المصنوعات المصرية... وقد نجحت هذه الشركة بفضلها تعالى، وتوالى إنشاء فروعها بالأقاليم، مما دل على أن منتجات مصر قد حظيت في السوق بالاقبال الشديد » (١)

(١) خطبة العيد الخامس عشر لبنك مصر

كيف تأسست هذه الشركة وكيف استمد مشروعها العون من
مركز الزعامة الاقتصادية ؟

في جلسة من جلسات جمعية المصري للمصري بحث مجلس الإدارة
— تحت تأثير الجو الذي وصفناه في الفصل السابق — فكرة مشروع باسم
« البيت المصري »، يحتوى على جميع أصناف وألوان المنتجات المصرية المحلية
البحثة، ودرس المجلس لتنفيذ هذا المشروع اقتراحين :

١ — أن يوكل تنفيذ المشروع إلى بنك مصر

٢ — أن تدعو الجمعية جمهور المصريين إلى الاكتاب بقرش (١) عن
كل مصري لتنفيذ هذا المشروع . . . ورأى المجلس على أى الحالين أن يضع
الأمريـد زعيم مصر الاقتصادية. فوجهت سكرتيرية الجمعية كتاباً خاصاً بهذا
المعنى إلى طلعت حرب باشا فى ابريل سنة ١٩٣١ . وكان هذا الكتاب مصحوباً
بكتاب آخر من الأستاذ محمد عبد الصمد (أمين صندوق الجمعية) باستعداده
للمساهمة فى تنفيذ هذا المشروع بسهم قيمتها ألف جنيه يضعها من حسابه
الخاص تحت تصرف عميد بنك مصر الى حساب هذا المشروع فى حالة تنفيذه
أحال طلعت باشا كتاب الجمعية الى رجاله الاخصائيين لدرس هذا
المشروع الوطنى الذى اكتسبت فكرته على مر الأيام رضاء غير القليلين من
كبار المصريين المخلصين الذين تسلموا هذه الفكرة على أجنحة إخلاصهم من
مباحث بنك مصر . . . فحضرهم الزعيم الاقتصادية الأكبر على تنفيذها ،
وتولى مهمة تنفيذها الرائدان الاقتصاديان السيد عبد الحميد البنان والأستاذ
عبد الله أبازة (٢)

كذلك أسست فى سنة ١٩٣٢ هذه الشركة ، وأطلق عليها اسم

(١) كان هذا الاقتراح أول المقدمات الفعلية فى نشوء فكرة مشروع القرش

(٢) كان الأول يشغل فى هذه الأثناء بحركة الوفد لتشجيع المصنوعات المصرية ، وكان الثانى
يرأس جمعية الاستقلال الاقتصادية التى حلت محل جمعية المصري للمصري

« شركة بيع المصنوعات المصرية » ؛ وقد افتتح كثيراً من فروعها كبير الزعماء مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد المصري ؛ وألقى فيها من الكلمات الوطنية ما يذكر بحروف كبيرة في تاريخ هذه الشركة . وكان في مقدمة المشتركين في تأسيسها هذا الوطني الذي اشترك في فكرتها : الأستاذ محمد عبد الصمد . وانتخب السيد عبد الحميد البنان عضو مجلس إدارة منتدب لادارتها ، فجاهد فيها ، هو وزملاؤه ومعاونوهم ، حتى اتسع نطاقها ، وفسح مجال أعمالها ، وأصبح لها في هذه الأعوام الأربعة أحد عشر فرعاً في سائر أنحاء البلاد

أصبحت « شركة بيع المصنوعات المصرية » في ذاتها رمزاً للعمل المصري الذي بذر بذوره « طلعت حرب » ، فأثمرت في شركات بنك مصر وتعدت فروع ثمارها هذه الدائرة إلى ميادين أخرى يشار فيها لواء الزعامة الاقتصادية التي وقف صاحبها يقول في خطاب العيد الخامس عشر لمعهد الاستقلال الاقتصادي

« . . ونحن في هذا المقام لا يسعنا إلا أن ندعو الله عز وجل أن يبارك بالتوفيق والسداد كل عمل مصري يرى يقصد به تعزيز التجارة المصرية وحماية الصناعة المصرية »

ما بعد هذا الدعاء دعاء لخير الوطن ، وما يصدر هذا الدعاء الوطني الحار إلا عن قلب زعيم !!

طلعت العالمى

القومى الأمين — طلعت فى الشرق
طلعت فى الحجاز — إلى العالمية

القومى الأمين

« الانسانية جسم كامل البناء ، تتصل فيه جميع الأعضاء بعضها ببعض . لكن إذا كان عضو من هذه الأعضاء مريضاً أو أشلّ ، أترأه يفيد هذا الجسم الانسانى بشيء ؟ وإذا كان العضو فى جسم الانسانية لا يقدر أن يحتفظ بذاتيته صحيحة ، فليس شك فى أن الجسم الانسانى يتمنى لهذا العضو الفناء . فنحن حين ندعو إلى التعصب لمصريتنا ، لسنا فى هذه الدعوة خصوماً للبدا الانسانى النبيل ؛ إنما نحن بهذه الدعوة نزيده قوة على قوة : نريد يوم تلتقى أعضاء العالم عند القلب الانسانى ، يوم تمحى فروق الوطنية الصغرى من الدنيا جميعاً — أن نكون نحن عند هذا القلب عامل بقاء لا عامل فناء . وإن أمة لا تقدر أن تكفل نفسها بما عندها من مادة الأرض ومادة الفكر ومادة الروح ، لهى أمة لا تستطيع أن تفخر بانسانيتها ، ولا تستطيع الانسانية أن تطرب لها يوماً » (١)

فلا تستغرب ، ونحن نقدم لك طلعت العالمى ، أن نمهد لهذه العالمية من نفسه بنزعات وطنية صادقة عميقة . فنقص عليك أنه ذات مساء دخل

(١) « مصر للبصريين » لحافظ محمود ، ص ٧٣٥ من المجلة الجديدة عدد ابريل سنة ١٩٣١

دار سينما حديقة الازبكية فجأة، فرأى هناك بعض موظفيها حاسرى
رموسهم؛ فلما استقر فى مجلسه، نادى بواحد منهم وقال له: «يا فلان، قل
لأخوانك من موظفى السينما أن يلبسوا طرايشهم وألا يخلعوها فى هذه الدار
مطلقاً»

أحس الموظف أن هذا الخطاب موجه إليه مع زملائه، فامتدت يده
ببطر بوشه إلى رأسه، واعتذر عن خلعه بضرورات العمل فى دار مفروض
فيها أنها دار للسينما

قال طلعت باشا: وهذا هو السبب عينه الذى يحدو بكم هنا، فى هذه
الدار بالذات، أن تتمسكوا بوضع طرايشكم فوق رموسكم، فى أثناء تأديتكم
أعمالكم؛ فدور السينما لا يزال أغلبها فى مصر بأيدي الأجانب. وإذا أتم
ظهرتم أمام الجمهور خالعى طرايشكم، حسب الناس أنكم لستم من المصريين،
وأن المصريين حتى فى «السينما المصرية الصميمة» لم يجدوا لهم مكاناً

ليس شك فى أن الموظف قد اقتنع بهذا رأى الذى تعززه روح
وطنية رفيعة؛ وليس شك فى أن طرايش الموظفين — حتى المتفرنجين أو
المبرنطين منهم — كانت قد استقرت فوق رموسهم؛ لكن زعيم الاستقلال
الاقتصادى لم يبرح الدار قبل أن يراهم جميعاً مطربشين!

لو زدنا على هذه القصة شيئاً لما أضفنا كثيراً إلى ما يعلمه الناس جميعاً
من أن رجال طلعت حرب هم أكثر المصريين وطنية فى زيههم؛ وإنك لتجد
عمال البواخر منهم مطربشين، حتى فى موانى أوروبا. وإن حرباً يتعمد تعمداً
أن يتناول البضاعة المصرية فى ملبسه ومأكله ومشربه وأثاث بيته جميعاً. فمن
أجدر بقائد فكرة الوطنية الاقتصادية من هذا الصنيع؟

غير أن هناك حدثاً معيناً أحدثه طلعت حرب ورجاله فى مجرى الحياة
الفكرية فى العالم من هذه الناحية. ذلك أن الناس كانوا يعتقدون أن اللغة
العربية هى أبعد ما تكون صلاحية لأشغال البنك؛ وكان فى الناس ناس

يتعصبون لهذا القول تعصباً ساخراً كادت سخريته أن تؤثر في بعض العقول .
فأبى طلعت إلا أن يسخر من الساخرين ؛ وأمر القائد الحازم أن تسقط
التعابير والألفاظ الأجنبية من لغة المعاملات والمحاسبات في بنك مصر ؛
وجاءت اللغة العربية مستجيبة طيعة لنداء القائد المصلح الاقتصادي ؛ وتداول
الناس لأول مرة في تاريخ العالم أوراقاً بنكية بلغتهم القومية الجميلة . وجاء
طلعت حرب بعد هذا النصر يقول لأبناء العربية في حفلة تكريمه بدار المجمع
العلمي العربي بدمشق في ٧ من يولييه سنة ١٩٣٥ :

« وقررنا أن تكون المراسلات فيه (في بنك مصر) بينه وبين
عملائه باللغة العربية ؛ وأن تكون حساباته باللغة العربية — فلهذا أهابنا الهازنون ،
وقالوا : « إن المحاسبة من واردات الغرب ، وإنها فن من فنونه غير قابل
للانتقال إلى الشرق بغير لغة من لغات الغرب » . ولكننا أهملنا استهزاءهم ،
وأجرينا مراسلاتنا ، وكتبنا تقاريرنا ، باللغة العربية »

ثم هاهو ذا الفائز المنتصر يعود في ٢٨ مارس سنة ١٩٣٠ ، فيردد
بلهجة الاقتناع والاقتناع في حفلة افتتاح « بنك مصر — سوريا — لبنان »
هذه الدعوة قائلاً : « ولعل التجارب التي كسبها (بنك مصر) في مصر خلال
عشرة أعوام من حياته تكون كافية لانارة الطريق أمام « بنك مصر —
سوريا — لبنان » ، وأن تصلح الأنظمة الموضوعة له هنا كما صلت في مصر ،
وأن تجرى معاملاته باللغة العربية بسهولة مثل السهولة التي جرت في مصر .
فإن لغة البلادين واحدة ، والثقافة متقاربة ؛ والنجاح في جهة كفيل بالنجاح
بمشيئة الله تعالى في الجهة الشقيقة الأخرى »

أحدث طلعت حرب هذا الحدث في المحيط المصري ، حدث استبدال
اللغة العربية بلغة البنوك الفرنسية منذ ستة عشر عاماً ؛ حين كانت الرطانة
الفرنسية غاية من غايات الوجاهة ؛ والمعاملات باللغات الأجنبية سبباً من
أسباب اكتساب الأجانب . لكنه كان ثابت اليقين بأن أولئك الأجانب

في مصر إنما يضمرون لونا من ألوان الاحتقار لأولئك الوطنيين العجزة عن أن يثبتوا قوميتهم بشتى الوسائل في حياة بلادهم العملية . وكان يقول بينه وبين نفسه ، ثم أصبح يقول لمواطنيه المصريين :

« من يعطف عليك إنما هو الذى يشعر بشعورك ، ويحس إحساسك ؛ وهو الذى يجرى فى عروقه الدم المصرى الذى يجرى فى عروقك . ولن يجد فقراء المصريين العطف الصحيح إلا من إخوانهم المصريين ، (١) »

القومية فى نظر طلعت حرب — كما هى فى نظر الانسانيين العظماء — ليست إلا اختصاصاً فى العاطفة . فساكن هذا البيت هم أكثر الناس عطفاً على ساكن هذا البيت ؛ وجمهور هذه الأمة أكثر الناس عطفاً على جمهور هذه الأمة . وكذلك تترتب على هذا العطف المصالح القومية المشتركة ... وإنه ليدو لك فى مواقف طلعت حرب أنه يريد أن يستحيل بالفردية فى مصر إلى القومية ، ومن القومية فى مصر إلى الوحدة الشرقية ، ومن الوحدة الشرقية فى الشرق الأدنى الى شركة إنسانية واحدة

فها هو ذا قد جاهد وجاهد ؛ فلما حقق الله غاية جهده ، أشرك غيره معه فى هذا الجهد . وها هو ذا حين طبق الجوهرين نجاح طلعت وجماعة طلعت فى مشروعاته ومشروعاتها ، يقول فى خطبة العيد البرنزي لبنك مصر :
« فالأمة هى التى دفعت الكثيرين من أبناءها إلى الاكتتاب فى رأس مال البنك ليقموا به أوده »

« والأمة هى التى أوحى إلى الكثيرين من أبناءها أن يعتنقوا الفكرة الاقتصادية التى يمثلها بنك مصر ، وأن يجعلوه دائماً هيكلهم المقدس الأمين »
« والأمة هى التى ساقى الكثيرين من أبناءها زمراً يبغون فيه لأنفسهم مستقبلاً رغداً ، ولوطنهم صرحاً يحفظ المرافق الاقتصادية من خطر العوادي

(١) حديثه عن الصناعة والصناع بجريدة روز اليوسف فى ٢٢ من مارس سنة ١٩٣٥

« والأمة هي التي أهدت البنك والقائمين به هدية لا تقدر بثمن ، وهي
الثقة — الثقة التي علمتنا الصبر والثبات ، وإنكار الذات ، وحققت لحسن
الحظ حلماً ذهبياً كان عصي المنال »
أرأيت ؟ أثبت بمجده المجد لأمته ! ولسوف ترى أنه يتجه بهذا
المجد العملي نحو الشرق كله ؛ ولعلك واجد أيضاً أنه متوجه به صوب
الوحدة العالمية ذاتها

طلعت في الشرق

أصبحت الأقطار الشرقية في نظر طلعت حرب كأنها الأقاليم المصرية،
يتنقل بينها في أهلية وسرعة كما يتنقل المصري بين ربوع مصر. ففي ديسمبر
سنة ١٩٣٥ زار السودان؛ وفي يناير سنة ١٩٣٦ توجه إلى الحجاز؛ وفي
مارس لبي دعوة العراق؛ وفي أبريل طاف بالمعرض العربي بدمشق!
كانت زيارته للسودان الزيارة الأولى من نوعها... كان السودان
مغلقاً دون رجال الأعمال من المصريين. فلما تبدلت السياسة بين الحكومتين
الشريكتين في السودان: مصر وبريطانيا؛ ولما تنبّهت الأذهان إلى حاجة
الشرط الآخر من وادي النيل إلى الذهنية العملية الوطنية التي تشرع السياسة
الاقتصادية للبلاد، هتفت الخواطر باسم طلعت حرب؛ ولم يجد الحاكم العام
للسودان بُدّاً من أن يترجم عما هتف بخاطر الجميع، فدعا طلعت باشا لزيارة
بلدنا الثاني

لبي طلعت الدعوة، وكان أفق السياسة لم يتجلّ للمواطنين بعد؛ فبرهن
الرجل على كياسة ودهاء حين اجتمع حوله القوم فخطبهم في ١٥ ديسمبر
سنة ١٩٣٥ بمدينة الخرطوم قائلاً:

«وبعد فنحن الآن — أيها السادة — ندرس ما جمعناه في رحلتنا
السودانية من المعلومات والمشاهدات والملاحظات؛ ولسنا ندعي أننا أحطنا
بكل شيء علمياً، فإن رحلتنا كانت قصيرة؛ وكانت، فقط، للزيارة وللتعرف إلى
البلاد وأهلها، وإلقاء نظرة عامة ستلوها نظرات — إن شاء الله تعالى —
ودراسات وبحوث نرجو أن يصادفها التوفيق لتكون أبعد غوراً وأعظم
أثراً وأوسع مجالا»

نظرة واحدة إلى قوله : نظرة عامة ستلونها نظرات ودراسات، وبحوث
 نرجو أن يصادفها التوفيق ، ، تعطيك فكرة واضحة جلية عما يضمّر
 طلعت حرب من خير للسودان — خير يريد مريده أن يكون قائماً على
 أساس من الاستقلال لكيلا يفيد ولا يستفيد منه غير أبناء البلاد الذين هم
 أشد ما يكونون تلهفاً على استقلالهم الاقتصادي

ما كاد طلعت يفرغ من رحلة السودان والرحلة التي تلتها إلى الحجاز
 حتى كانت الحكومة العراقية قد بعثت إليه بدعوتها لزيارة العراق . فلم يعتذر
 عن الزيارة بما لقيه من عناء السفر في رحلتيه السابقتين ، بل إنه كان قد شعر
 بأن واجباً قومياً شرقياً يناديه — فسلك طريقه مباشرة إلى بغداد . وقامت



تحت سماء العراق

الصف الأول من اليمين — عيسوى باشا زايد والمتصرف عمر نظمي بك ومحمد طلعت حرب باشا
 وخير الدين العمري بك واسماعيل بركات بك
 الصف الثاني من اليمين — ابراهيم حلى العمر بك وامين افندى احمد والاستاذ عبده الزيات والطيار
 صدق ومدير الشرطة عبد الله عوني بك

المدينة كلها تستقبل رجل الشرق طلعت حرب

لقد خفقت لزيارته الأعلام والقلوب في مدينة العباسيين ؛ واستقبلته الحكومة والأمة استقبال زعيم حبيب محبوب ، حتى إنه لفرط ما انهال عليه من دعوات التكريم كان يشكو ضيق الوقت عن أن يدرس البلاد وشؤونها الاقتصادية كما يريد

اعتذر رجل الشرق عن العدد الكبير من الولائم والحفلات التي أعدت لتكريمه ؛ وكأنه تعمد أن يلي دعوة الشباب البغدادي في ١٤ أبريل سنة ١٩٣٦ ، حتى إذا ما التأمت حوله جموع الشباب العربي ، وظن الظانون أن الزعيم الاقتصادي الكبير سوف يلقي على أسماعهم خطاباً فيثاضاً في الاقتصاد — إذا به يخطبهم في العروبة والروابط الشرقية العملية ، وفي عدة الشباب العربي الشرقي للمستقبل . ولعل من أحكم ما جاء في هذا الخطاب قوله : « خير لنا — نحن أبناء العروبة — ألا نقطع صلتنا بالماضي ، ولا أن نستريح دائماً الانتفاع بتركة الماضي وحدها ، نتمتع بما فيها من نفائس وذخائر من غير أن نضيف إلى قائمتها من عملنا شيئاً جديداً »

أليس هذا هو القول الفصل بين الجامدين منا المتمسكين بعروة الماضي لا يريدون عن طريقه حولا ، وبين الثائرين فينا الذين يودون أن يضربوا بيننا وبين مجد ماضينا سداً منيعاً ؟ ... إن لهذا القول من طلعت حرب معنى أقوى مما لو كان قائله غير طلعت حرب . فقد جرب طلعت كيف يحتفظ بذخائر الماضي ؛ وجرب كيف يضيف إليها من عمله ذخراً جديداً ، فأنجج الانتاج الذي كان بنك مصر جزءاً منه

فلما أسفرت خبرته واختباراته عن هذا النجاح في وطنه ، تطلعت نفس طلعت إلى الأوطان الشقيقة ، فراح يقول لأهلها « لهذا فانتا لا نخطيء حين ندعو الأمم الشرقية إلى احتذاء أثر هذا البنك في روحه وأسلوبه لإنشاء بنوك قومية في مختلف البلاد الشرقية ،

« وبنك مصر لا يالو جهداً في تقديم أية معونة إلى أى بلد شرقي يود أن يخذو حذوه »

« وإذا كان بنك مصر يفكر في أى يوم من الأيام في أن يكون له فرع في أى بلد شرقي ، فهو إنما يفكر في ذلك رجاء أن يكون قيامه بالعمل في كل بلد شرقي مدعاة ليراه الشرقيون ، فيؤسسوا مصر فأمثله : إما بمفردهم ، وإما باشتراكهم مع بنك مصر »

« واليوم السعيد هو اليوم الذي يرى فيه بنك مصر أن له بنوكاً تشبهه في جميع بلاد الشرق ، وتتبادل معه المنافع بعين الروح التي يعمل بها لمصلحة مساهميه وللصالح العام » (١)

كان طلعت حين ألقى هذا الخطاب يجوس خلال ربوع سوريا ولبنان بناء على دعوة من أهلها ودعوة من أهل بلادنا على السواء لإنشاء مؤسسة اقتصادية مالية في القطر الشقيق . وكانت الجموع تفد تترى إلى حضرته ، فيخطبهم مبشراً بالوحدة العملية الصادقة بين البلاد ذات الإخاء والماضى القومى الواحد . . . ولم يكن هذا الذى يتحدث به كلاماً يقال ، بل كان عملاً يعمل . ففي ٤ يونيو سنة ١٩٢٩ ، بعد هذه الدعوة الحارة التي استجابت لها قلوب إخواننا السوريين وعزائهم ، أنشئت المؤسسة الاقتصادية المنشودة ؛ وحسب الناس أنها ستسمى « فرع بنك مصر » . . . إلا أن حرباً لم يكن .
يعنى إلا ما يقول في خطابه السابق ، فسميت هذه المؤسسة الجديدة « بنك مصر - سوريا - لبنان »

ترى أنت أن هذا الوضع لإنشاء المؤسسة المصرية السورية ، واعتبارها بنكاً مستقلاً - رغبة صادقة في تحقيق الاستقلال الاقتصادى لأبناء الوطن الشقيق من جانب ، ورغبة مصحوبة بإرادة نفاذة في تحقيق الوحدة الشرقية بيننا وبين جيراننا من جانب آخر . وإنك لترى هاتين الرغبتين طبيعيتين بعد

(١) خطبته ببيروت في ١٦ من يونيو سنة ١٩٣٦



بنك مصر — سوريا — لبنان

أن تقرأ لطلعت من خطبة أخرى في رحلته الأولى ببيروت سنة ١٩٢٥ قوله
إلى بنى الشام :

« نحن المصريين بالذات ، نعلن أنه كما تهكم شئوننا تهمننا شئونكم ، وأنه
يهمننا ويهكم على السواء أن تكون الثقافة العربية التي تربطنا بكم أقصى ما تكون
من الرقي ؛ وأنه يهمننا ويهكم على السواء أن يكون الاستقلال الاقتصادي
أمراً واقعاً في بلادنا ، كما يكون الرخاء ميسوراً قائماً على قواعد ثابتة في بلادكم
ولأنه يهمننا ويهكم على السواء أن تكون حركة المبادلة التجارية بيننا وبينكم
على أشد ما تكون »

أجل لقد ظل المتحدثون من رجال الأمة العربية يتحدثون ؛ وظل
المصريون من رجال الحكومات الشرقية يصرحون ؛ والجهاهير في أوطاننا
الشرقية يرددون أحاديث هؤلاء أحياناً ، ويتمدحون بتصريحات أولئك أحياناً ،
ويتبرمون بالعوائق في سبيل تبادل المصالح والمنافع أحياناً - حتى انطلق
طلعت حرب في هذا الميدان ، فاستحال بالكلام على عادته إلى قوة إرادية
فعالة ذات آثار إنسانية ملموسة

لا تقف عناية طلعت بالبلاد الشقيقة عند حد المنافع المتبادلة أو المجد
القومي المشترك ، بل إنه قد سما في شرقيته فوق هذه الطاقة إلى درجة العناية
بشئون البلاد المحلية ذاتها التي قد لا تهتم إلا أهلها أنفسهم . فها هو ذا يقول في
لهجة المبعثر بمصالح سوريا :

« لقد أخبرني صديق المفضل الاستاذ محمد كرد علي بك وزير المعارف
ورئيس المجمع العلمي العربي عن أراض واقعة في شمالي سورية ؛ ووصف لي
من خصبها ووفرة مياهها ما يستحق العناية من أهل هذه البلاد حتى يدرسوا
المنطقة المشار إليها دراسة وافية ، ويرتبوا أعمال الري فيها ، ويستدروا من خيراتها
ما يزيد في الانتاج الزراعي زيادة قد يترتب عليها شيء كثير من الرخاء العام » (١)

(١) خطبته بدمشق في ٨ يونيه سنة ١٩٢٨

يكاد هذا النص لا يصدر إلا عن رجل سورى مواطن... لكن
لا تدهش كثيراً فقد راح المخلص الاقتصادي المصري ينشر رسالة الخلاص
في ربوع ديار كانت وستكون في التاريخ ظاهرة لمصر



مع البعثة الاقتصادية التونسية

الأستاذ أحمد سالم مدير شركة مصر للتمثيل والسينما . السيد محمد شفيق وكيل المجلس الكبير ورئيس
البعثة . « محمد طلعت حرب باشا » . صادق حنين باشا . أمير اللواء السيد حسن حسني عبد الوهاب .
الأستاذ محمد بدر مدير الغرفة التجارية التونسية

طلعت في الحجاز

في منتصف الساعة الثامنة من مساء ١١ فبراير سنة ١٩٣٦ اهتزت أمواج الأثير بصوت طلعت حرب باشا بعد أن آب إلى مصر من رحلته إلى الحجاز التي أشرنا إليها في الفصل السابق ؛ فسمعنا وسمع الناس طلعت يذيع عن الوطن الاسلامي المقدس « الحجاز » خطاباً فياضاً بالأفكار الإصلاحية الجديدة ، والمعاني القومية الرائعة . . وقد استرعى سمعنا قوله :

« أغرانا هذا الاهتمام بالأمور الصحية في بلاد الحجاز أن نساهم مع الخيرين فيما يتقربون به إلى رب البيت الكريم ، فقمنا باشتراكنا مع بعض أهل الخير بتكملة مستشفى جدة ومكة ، وباهداء جهاز أشعة كامل للأخير ، والآلات الجراحية اللازمة لهما . كما أننا ساعدنا على تأسيس فرع للاستعاف الكامل في مكة المكرمة »

فاهتمامه إذن لم يكن بالحجاز وأرض الحجاز اهتمام الرجل الاقتصادي الذي همه الاستغلال ، بل إنه اهتمام شرقي عظيم يبعث من بقاع الشرق ذات التاريخ العظيم . . . اهتمام إنساني خالص بركن من أركان الإنسانية

لطالما سمع الناس بعطف طلعت حرب على الذين يعوزهم العطف الجميل ؛ ولطالما تبين للناس إكرام طلعت حرب للشرقيين بصفة خاصة . لكننا أفردنا لمواقفه من الحجاز هذا الفصل كله ، لأنه هو بالذات قد أفرد للحجاز فصلاً كبيراً من فصول بره وعنايته بالبلاد الشقيقة . ذلك لأن في الحجاز أرض التواعد والتلاقي بين طوائف الدنيا بأسرها ، من مصريين وشرقيين وغربيين على السواء . فلم يكن مستغرباً من « طلعت العالمي » أن يعنى بالحجاز هذه العناية كلها ، وأن يكون حافزه الأول في تأسيس شركة الملاحة البحرية أن

يوجد للحجيج من سائر بلاد الدنيا مراكباً بحرياً إذا طابع شرقي يحملهم إلى حيث يلتقون اللقاء السعيد ببیت الله الحرام ، وهو الذي يقول :

« وحسبنا أن نذكر أن وجود « شركة مصر للملاحة البحرية » وتعهدها بنقل الحجاج قد ساعد كثيراً على تأدية هذه الفريضة الشرعية ، واستطاع الآن كل إنسان إلى الحج سبيلاً ؛ كما ساعد كثيراً على ترقية مجموع الحجاج بسبب توفير أسباب الراحة والرفاهية ، حتى خرج للحج من كان يقعه عنه ما يعرفه أو يسمعه عن المتاعب والمشقات ؛ كما عادت المجموعات التي قام بها رجال البنك في رحلات متعددة إلى البقاع المطهرة بأحسن الفوائد وأبدع الآثار على بلادنا وبلاد الحجاز »^(١)

لرحلة طلعت إلى الحجاز ثلاثة مآثر تحمل في معانيها صفة البقاء : أثر في الحجاز ، وأثر في مصر ، وأثر في الحجيج من سائر أنحاء العالم أما في الحجاز ، فقد ذهب إليه لزيارة بيت الله الحرام ؛ فإذا به يدرس وسائل الإصلاح في البقاع الإسلامية المقدسة فيشرع في إصلاحها قائلاً : « ولقد أدينا شعائر الله بين الصفا والمروة ؛ ووجدنا طريق هذا المسعى في حاجة إلى العناية به حتى يتم له جلاله الديني وما ينبغي له من الاحترام . وكنا قد ندبنا لدراسة موضوعه بعض الاخصائيين المصريين ، فاقتروا رفع أرضية هذا الطريق وإعادة تبليطه بطريقة أصولية ، وقاية له وللحرم الشريف من أضرار السيول »^(٢)

تقول إن هذه مسألة تهتم الحجيج بقدر ما تهتم الحجازيين أنفسهم ؟ .. إذن فتعال أنصت إليه وهو يذيع في الخطاب مشروعاً ملهماً من أدق المشروعات وأربحها للحجاز والحجازيين ، حيث يقول :

« فقد تمنى الكثيرون أن يعنى بأمر هذه البئر (بئر زمزم) العناية

(١) خطبته في العيد الخامس عشر لبيك مصر

(٢) خطابه المذاع بالراديو في ١١ من فبراير سنة ١٩٣٦

الواجبة ، وأن يخرج لها مشروع أو تؤسس لها شركة حجازية تستغل هذه البئر بتعبئة مياهها المباركة في زجاجات معقمة وبيعها في كل أقطار الدنيا تبركا وتيسيراً لرزق أهل البلاد أنفسهم . ونعتقد أنه مشروع نافع سيصيب من النجاح الحظ الأولي إن وكل أمره لميكترولوجي مسلم موثوق بعلمه وخبرته في عالم الطب »

أسلوب رقيق أبي صاحبه إلا أن يسمى اقتراحه أمنية من أمانى غيره ، تواضعاً واستحياء من نسبة الفضل إلى نفسه . وفكرة عمرانية بعيدة الغور ، أخلص قائلها في إرشاده ، فأشار بأن تكون الشركة التي تنفذها شركة « حجازية » يعمّ نفعها أبناء الحجاز أنفسهم . . وفي هذا الأسلوب وفي هذه الفكرة من الوفاء الكلي لأنحاء الشرق لون لا يمحوه الزمان



في ضيافة طلعت حرب

طلعت حرب بين زعماء العرب وقد ظهر إلى يساره حضرة الشيخ عبد الله السليمان الحمداني وزير مالية الحجاز وإلى يمينه معتمد الحكومة السعودية بمصر

أما في مصر ، فقد سجل لاسمهم المجد والفخار بما قدم لاخواننا في الحجاز من العون بالرأى والجهد والمال ، وما مهد لهم من سبل الحج وأزاله

من صعوبات السبيل إليه ، وما أعده لهم من فنادق ومصحات بين السويس
وجدة ومكة والمدينة - حتى أصبح المصريون يؤدون فريضة الحج وكأنهم في
رحلة محلية بين الأقاليم المصرية !

أما ما صنع لحجاج العالم كله ، فحسبنا أن العملة الحجازية التي كانت
تضطرب ارتفاعاً وانخفاضاً في موسم الحج بتأثير الصيارف والمصارف
الأجنبية بجدة - حسبنا أن هذه العملة التي كان أمرها يضيق به الحجاج ذرعاً
ظلت على حالها من الاضطراب ، وظل الحجاج في أمرها من الضيق حتى
جاءها المخلص الاقتصادي العالمي وبفكرة إصلاحية صائبة ، وإرادة
طلعتية حازمة ، اقنع طلعت حرب حكومتى مصر والحجاز أن تكلأ إلى بنك
مصر تحصيل تكاليف الحج من الحجيج ، وأن يحاسب عنهم في الحجاز جملة
واحدة على أساس قاعدة الذهب - فلا تستطيع سوق الورق والفضة أن
تؤثر في حسابهم

لم تقف جهود طلعت عند هذا الحد في خدمة حجاج العالم إزاء سوابق
الاضطرابات النقدية في الحجاز ، بل إنه استطاع بخبرته ونفوذه أن يتفق
مع حكومة الملك ابن سعود على : « العمل لتثبيت سعر الريال السعودى -
وهو العملة المحلية في أرض الحجاز - بالنسبة لسعر الجنيه الذهب ، وذلك بسك
كمية عظيمة من الريالات السعودية يتيسر معها للحكومة هناك أن تحدد سعراً
ثابتاً للريال ، تقبض به رسومها ، وتصرف به نفقاتها ، وتغذى به السوق عند
الحاجة ، وتسحب منها حفظاً لتوازنها ، وحفظاً كذلك للسعر المحدد » (١)

مأثرة من مأثر طلعت العالمية الكبيرة التي ستبقى بقاء الزمن
وكذلك كان العظيم في زيارته ، عظيم الأثر عند الناس ، عظيم المثوبة عند
الله تعالى

(١) خطاب طلعت باشا حرب المذاع بالراديو في ١١ فبراير سنة ١٩٣٦

الى العالمية

من العبارات النادرة التي ردها طلعت في خطاب العيد الخامس عشر لبنك مصر ، نقلا عن خطاب افتتاح البنك في ٧ مايو سنة ١٩٢٠ ، قوله عن بنك مصر : « إنه يعمل كل ما يعمل به بنك تجارى مثله ، لا فرق فيمن يعامله بين أن يكون مصرياً أو غير مصرى . فالمصرية لم تشترط إلا في رأس المال للأسباب التي أوضحناها ؛ أما فيما عدا ذلك ، فأبوابه مفتوحة لكل عميل » إن في تكرار هذه العبارة بعد خمس عشرة سنة على قولها ضرورة لا بد منها ؛ فهذا الرجل الذى أجلى ببنك مصر ومنشأته وجهود رجاله وأنصاره كثيراً من الأجانب عن ميدان مصر الاقتصادى ، هذا الرجل الذى جاء فى الخمس عشرة السنة من ألوان الكفاح لتحقيق القومية المصرية فى عالم الاقتصاد المصرى — الذى كان مزدحماً بغير المصريين — بما لم يحى به مصرى ولا شرقى من قبل . هذا الرجل وفى لأتمته وفاء قد يُدسى الناس عالميته — هذا الرجل كان لا بد له أن يصحح فى أكبر حفل اجتماعى عرفته مصر ما قد يكون مرتسماً عن نزعاته فى الأذهان

لقد أثبتنا فى الفصل الأول من هذا القسم من أقسام كتابنا قومية طلعت حرب ، وعصبيته القومية : لكنك تستطيع ، وأنت تقرأ طلعت حرب القومى الأمين ، أن تلمح فى يسر وسهولة مدى إنسانيته ونزعاته العالمية فى تعزيز مصر بصفتها عضواً من أعضاء الجسم الانسانى أولاً ، وفى بسط أياديه الذهبية فى حياة الإصلاح على ربوع البلاد الشرقية الشقيقة ثانياً ، وفيما يقدمه من الخير لمصلحة الحجيج العالميين ثالثاً... وهذه الحلقات الثلاث إنما تتطور فى الواقع بتاريخ طلعت حرب من رجل محلى إلى رجل عالمى

ليس تطور طلعت حرب من رجل محلي إلى رجل عالمي بالتطور
الفكري الذي يجرى فيه بعض المفكرين في مستوى الخيال ، بل إنه تطور
عملي يخضع للحقائق الواقعة . فحين كانت مصر بحاجة إلى وحدة مصرية ،
تعصب لها ؛ وحين تعلق بمصر شقيقاتها الشرقيات الحبيبات ، أخذ يربط
بيننا وبين أبناء البلاد الشقيقة برباط المنافع المتبادلة ؛ وحين أضحي لمصر
مركزها الموطن بين بلاد العالم في الحياة العملية ، استطاع أن يؤكد بجهوده
حاجة الدنيا إلى مصر كحاجة مصر إلى غيرها أو يزيد ... وهو في كل خطوة
من هذه الخطى في تاريخه إنما يكشف للناس عن أفق جديد من استعداداته
العالمى العريض

هذه البواخر التي ربطت في البحر الأحمر بين مصر والشرق ، ثم ربطت
في البحر الأبيض بين مصر وأوروبا ؛ هذه الطائرات التي تنقل الناس والبريد
من بلاد الغرب إلى بلاد الشرق ؛ هذه المنسوجات التي تنسج بعدد وأدوات
يستفيد الغرب من ثمنها ، وبأيدي مصرية يستفيد المصريون من أجورهم ،
ولشعوب متعددة الأجناس من شعوب الشرق التي تبادل مصر بضاعتها ؛ هذه
الأفلام التي تصور ماضيها المشترك مع الشرق والغرب ، والتي تعطي للعالم
قبساً من روحنا في التكوين الروحي للوحدة العالمية ؛ هذه الشركات التي
تصدر الأقطان لمن هم بحاجة إلى أقطاننا من الشرقيين والغربيين ، وتنقل
السياح من أقصى بقاع الأرض ليرتادوا بلادنا ونرتاد بلادهم ؛ هذه المنشآت
كلها التي لطلعت حرب في كل منها أصبع تشير إلى جهوده - أليست كلها
جهوداً تحقق عالمية طلعت ، وتؤكد في التاريخ أن هذا المصري الجليل قد
استطاع أن يغدو بكامل مصريته عالمياً جليلاً

على أن الصفة العالمية في حياة طلعت ليست وليدة اليوم ، إنما هي ميزة
من ميزاته الكبرى التي أهلتها للمركز الحيوى الكبير الذى يشغله . وإنما هو
فقط قد استطاع بسعة أفقه النفسى أن يفرق بين الواجب والواجب ، وأن

يعطى لكل نزعة من نزعات البقاء حقها . وهذا هو السر في نجاحه وسلامة اسمه المحبوب من الجميع

دليلنا على أن الصفة العالمية من حياة طلعت حرب تتمشى معه منذ بداية تاريخه الاجتماعى ، أنه ، كما رأيت فى الفصول الأولى من هذا الكتاب ، يترجم رسالة عن الاسلام من الفرنسية إلى العربية ؛ ثم ينقل دفاعاً عن المسلمين من العربية إلى الفرنسية ؛ ثم تختاره شركتاً « كوم أمبو » و « الشركة العقارية » اللتان كانتا مصطبغتين بالصبغة العالمية ، للاشتراك فى عضويتهم ، وللإشراف على بعض إدارتهما

ربما كانوا غير كثيرين هم الذين يعرفون أن طلعت باشا سابق عضوية فى مجالس إدارات بعض الشركات الأوربية فعلاً . على أنه جلى وبين أن هذه الصلة القديمة بين طلعت حرب وبين الدوائر الاقتصادية الأوربية هى التى مكنت للمصريين أن يؤسسوا شركة للسياسة ، وشركة للطيران ، وشركة للتأمين على الحياة - بالاشتراك مع شركات وشخصيات أوربية عالمية لكن الدنيا جميعاً ترى أن طلعت حرب هو عضو مجلس الإدارة المنتدب فى « بنك مصر - فرنسا » الذى أسس بباريس فى ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٢٦ ، وكان تأسيسه فاتحة يسر فى المعاملات المالية بين الشرقيين والغربيين عامة كذلك تجد زعيمنا الاقتصادى هو المستشار الأول فى « الاتحاد المصرى للصناعات » وليس شك فى أن هذا الاتحاد تتوفر فيه الصفة العالمية لتشكيله من رجال ماليين مختلفة أجناسهم ، متحدة مشاربهم . . وهذا المنصب وحده بين أولئك الرجال يبين لك أى رجل عالمى هو طلعت حرب ، وأية شهادة يشهدها له رجال العمل من مختلف أنحاء العالم

أتريد أن تعرف رأى أمثال أولئك الرجال فى رجلنا الكبير ؟

حين احتفل بنك مصر بعيده الأكبر فى ٧ مايو سنة ١٩٣٥ ، تقدم زعيم الاقتصاديين الأجانب فى مصر ، « السير ادوارد كوك » محافظ البنك

مجلس الادارة

الأهل من منصة الخطابة ، وقال في سياق خطبته الرنانة التي عبر بها عن رأى
الاقتصاديين الأجانب

“We sometimes think of men as belonging to one of the two categories: dreamers, seers and prophets on the one hand, and on the other hand practical men of action. It is only rarely that we get the combination of the two. We have one such here in the person of TALAAT HARB PASHA”.

« فى بعض الأحيان ينقسم الرجال إلى فريقين : أحدهما من أصحاب الأحلام والملمهين والأنبياء ، والثانى من الرجال العمليين . ويندر جداً أن تتألف مجموعة من هذين الصنفين معاً ، لكن لدينا مثل هذه المجموعة هنا فى شخص طلعت حرب باشا »
..... وهذا هو طلعت العالمى !!

طلعت العظم

العناصر النفسية — صاحب السعادة — نهضة الفن —
سياسي — داعية — شخصية المدير — الخطيب

العناصر النفسية

س : ما السر الذي يمكن أن يفسر نجاحكم؟

ج : هذا سؤال تصعب الاجابة عليه لرجل من رجال الأعمال ،
منصرفه جميع قواه إلى إنجاز الأعمال التي يقوم بها ، فهو يعمل ليصل إلى
النجاح دون أن يفكر في سر النجاح؟

سؤال وجهه محرر « الضياء » منذ عدة سنوات إلى طلعت حرب باشا ،
فأجاب عليه هذا الجواب المرتجل الذي جاء عفواً خاطر ، لكنه يدل دلالة
علمية على اللون النفسي للجواب العظيم

فما النجاح وما العظمة التي تترتب على هذا النجاح في حياة الأفراد
الممتازين إلا أثر تركه نفسياتهم في الوجود فيغدون ناجحين أو يغدون عظماء
« النفسية » هي الشيء الأول والأخير في الأشياء الرئيسية التي تكون
عظماء الرجال ، ذلك لأن « العظمة » هي أقرب الصفات النادرة في الانسانية
إلى الصفات السماوية في الوجود ، والنفس هي أدنى قوى الانسان الثلاث
إلى السماء . . . إلى الله . . . والنبي الأعظم محمد عليه الصلاة والسلام يقول عن
لسان الله تعالى : « عبدی أطعنی ، أجعلک ربانیا »



في جميع من المظالم.
طلعت حرب باشا - والي بساره احمد عبد الوهاب باشا والسيد عبد الحميد البنان ، والي يمينه الانسة ام كلثوم ورجي الدين بك بركات - في حفلة افتتاح ستوديو مصر

فعظماء الرجال هم أولئك الربانيون الطائعون الذين وهبهم الوهاب جزء من ذرة من ربانيته ، تجلو به أرواحهم ، وتصفو له عقولهم ، وتقوى به إرادتهم — وبالتالي تستقر به شرارة من العظمة في أعماق نفوسهم ، توجههم التوجيه الصحيح إلى العظيم من الأمور ويصبحون العظماء من الرجال لا عظيم إلا عظيم النفسية ، وطلعت حرب الرجل التي بيننا في الفصول السابقة من هذا الكتاب مدارج حياته ، وسنبين في الفصول التالية كرائم ميزاته أيضاً — هذا الرجل ليس فيه أعظم من نفسيته

رأيت في الحلقة الأولى من هذا الكتاب كيف نشأ طلعت مؤمناً ، وكيف شب على التماس النفع لمواطنيه ، وإقصاء الشر عن صفوفهم ؛ ورأيت في الحلقة الثانية كيف أضحي مجاهداً بالقلب والقلم والعمل في سبيل الاحتفاظ بحقوقهم ؛ ورأيت في الحلقة الثالثة كيف يسير بخطى فسيحة متزنة ، مضحياً بالوقت والمال وسنى النشاط وسنى الراحة في سبيل ابتناء صرح استقلالهم الاقتصادي ؛ ثم رأيت في الحلقة الرابعة من هذا الكتاب يشد أطراف قوميته بمنشآته وتنقلاته وماثره كي يصلها بأركان الشرق جميعاً ، وفي نفسه ود قائم أن يصلها بأنحاء العالم أيضاً

فلو أن حاجباً حجب جميع الأعمال المادية التي عملها طلعت ، أو التي كان لصنع يديه أثر فيها ، أو التي كان لتفكيره فضل فيها — ولم تبق للباحث المحقق من تاريخه إلا هذه النفسية وحدها ، لما تردد في تسجيل اسمه بين أسماء الطليعة من العظماء

يعمد بعض الكتاب في كتابة السير إلى اختيار كل بعيد في الرجال من أولئك الذين باعد الزمان بيننا وبينهم ، أو باعد المكان بيننا وبينهم ؛ ويعمد مثل أولئك الكتاب إلى تصوير مشاهير الرجال الذين يكتبون عنهم صوراً من العظمة تتصل بأشكالهم وسماتهم وحركاتهم وسكناتهم ونظام معيشتهم ؛ ويعمدون إلى تقسيم أولئك الرجال المشاهير الأفاضل إلى أبطال وعباقره ،

وعظاء... فالبطل هو المقدم الجسور الذى يحى. بما لا يستطيع غيره أن يحى. به من إقدام وتضحيات؛ والعبرى هو الذى يحى. بما لم يستطيع غيره أن يحى. به من أفكار وأعمال؛ والعظيم هو الذى لا يستطيع غيره أن يدانيه فى قوة من قواه الشخصية، نفسية كانت أو فكرية أو روحية، وهو الذى يتميز على غيره بظواهر خاصة ترى الناس إزاءها حيرى كأنهم مختلفون!!

أما تصوير الذين باعد بيننا وبينهم الزمان أو المكان، وتخيل الصور والسمات الغريبة لهم على اعتبار أنهم عظاء، فما فى العظمة الانسانية صور شكلية ولا نظم معيشية بذاتها. وإنما العظيم العظيم هو نسيج نفسه الذى لا يمتاز فى الحياة العادية على الناس إلا بأنه أكفأ الناس لرفع مستوى الحياة.... وأما تقسيم الأفاضل إلى أبطال وعباقر، ثم بعد هاتين المرتبتين إلى عظاء، وتحتم صفات غير بشرية للعظيم بصفة خاصة - فهذا هو الخيال. وإنما العظيم العظيم هو الذى يتسع أفق نفسه للون من ألوان المجد القائم على أكبر كمية ممكنة من الروابط الاجتماعية التى فيها سعادة أو خير للناس

ترى « النفس » هى مستقر العظمة ومصدرها؛ وكلها عظمت نفس الرجل أحس هو بقوتها، وزاده إحساسه يقيناً بحقوق الآخرين. فتراه يعترف للغير بحقوقهم، ويسعى فى أن يرد للمجتمع ما تكون يد قاهرة قد سلبته من الحقوق... وهذا هو طلعت حرب على ما جاء به من المجد لأمته تراه يعترف منذ الصدر الأول من حياته بالجهود الفكرية التى بذلها السابقون فى سبيل مشروع إنشاء بنك مصرى للمصريين. وتراه وقد أسس هذا البنك العظيم - وقد كان الفضل الأول فى تأسيسه للجهود الطلعتية - لا ينفك يقرر فضل القوى الأخرى فى نجاحه فيقول:

« لقد قام فى هذا الصيف دليل محسوس على حيوية البنك واستقلاله بذاته عن الأشخاص. وهذا الدليل هو أنى وزميلي فؤاد بك سلطان غبنا فى

وقت واحد عن البنك ولم يكن أحدنا به نحو شهر من الزمان ، فسارت الأعمال على أحسن مايرام » (١)

بل هذا هو طلعت حرب يرد على مصر بجهوده ورجاله خيراتها الاقتصادية التي كانت نهبا لكل ناهب أجنبي ، ويرسل في سائر الأقطار العربية بشائر اليسر والرخاء بدعواته ومشروعاته العمرانية النافعة ، ويؤسس في كل يوم صلة بيننا وبين غيرنا من أبناء العالم تقوم على أساس من المودة والتبادل في الإنتاج ... هذا هو طلعت حرب يسعى إلى كل كمال ممكن في اكتساب ما لقومه من حق في الحياة وفي البقاء ... هذا هو طلعت حرب بعد أن كوّن لقومه هذا التراث المجيد من الفكر الاصلاحية ، والمبادئ العمرانية ، والمنشآت الاقتصادية ، وبعد أن بلغت الشركات التي ساهم في تأسيسها باسم مصر أربع عشرة شركة - يقف على ظهر الباخرة كوثر في أولى رحلاتها إلى الحجاز ، بضحوه يوم من أيام فبراير سنة ١٩٣٥ ، ليصف لجمهور المواطنين هذا الجهد الجديد الذي يقدمه من أجلهم قائلاً :

« إننا لا نبغى من وراء هذا العمل الانساني إلا وجه الله والوطن ، فان لمحتم تقصيراً فنبهونا إليه ؛ فان العصمة لله العزيز الحكيم ؛ وما نحن إلا مبتدئون ؛ وليس في الدنيا مبتدئ ولا منته بلغ الكمال »

على أن النفس التي لا تغرها عشرات المنشآت على يد صاحبها في البر والبحر والجو ، في الشرق والغرب - النفس التي لا تغرها قوة تتحول بناحية في حياة أمة وبناحية في حياة شعوب أخرى غير هذه الأمة إلى متجهات جديدة في الوجود ؛ النفس التي لا تغرها أفكار ملهمة من صاحبها ، لصاحبها فوق ما لهذا الرجل من إرادة جبارة وشهرة ضافية وثروة في كل ناحية من نواحي الحياة ؛ النفس التي يقول صاحبها بعد هذا كله للناس : نبهوني إلى تقصيري فأنني مبتدئ وليس لي أن أبلغ الكمال - هذه النفس هي أدنى

(١) خطابه بحفلة تكريمه في صيف سنة ١٩٢٥ بالقاهرة

ما تكون إلى السكال ، وأقرب ما تكون إلى العظمة !!

جدير بنا هنا أن نعود إلى نجاح طلعت وإلى السر فيه ، الذي أبى الرجل أن يكشفه تواضعاً منه لسائله ؛ ففرد السر في هذا النجاح إلى نفسيته . وبتحليل بسيط لهذه النفسية نرى فيها العناصر الآتية :

١ — **اطمئنان المؤمن** : الذي يقول « أنا الذي عشت ما عشت لم أشعر في يوم من أيام حياتي أنني كنت مغبوناً ، أو أن حقى كان مهضوماً ، حتى ولا في أيام الدراسة ؛ بل » إن الخيرة فيما اختاره الله ، كانت عقيدتي ؛ وإن نصيبي في الحياة لم تشغلني قط قلته ولا كثرته ؛ بل كان ، ولا يزال ، يرضيني الواقع دائماً والحمد لله » (١)

٢ — **ثقة الموهوب** : الذي يقول « كانت ثقة الناس في واعتقادهم — خطأ أو صواباً — النفع والافادة في شخصي الضعيف تغنيني عن البحث في الماديات ، بل وعن كل شيء » (٢)

٣ — **طبيعة الغنى** : الذي يقول « ولقد أعلم أنك تدفعني دفعاً للتحدث عن نفسي ، وأنا عزوف عن ذلك بطبعي ؛ ولكني أعلم أنني إذ أفعل ، فأنما أتحدث بنعمة الله تعالى » (٣)

٤ — **قوة البشير** : الذي ما وقف ليخاطب جمهوره خطاباً رسمياً أو غير رسمي إلا بدأه بقوله : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

في كل عنصر من هذه العناصر تفصيلات نفسية أخرى تؤدي إلى نتيجة واحدة ، هي أن طلعت رجل من الرجال الأفذاذ الذين لا نقص في إنسانيتهم . رجل توفر في خليقته الخلق الذي يجعله مثلاً في ساحة الأعمال العظيمة ؛ ولا بد للأعمال العظيمة من خلق عظيم

ليس طلعت حرب ملائكي الطبع كهذا النوع من العباقرة الذين يعيشون غرباء عن المجتمع . بل إنه إنساني المزاج ، فيه كل ما في طاقة النفس الانسانية

(١) و (٢) و (٣) من مقال طلعت باشا بمجلة الرابطة العربية (ص ١١ ع ٧)

من مختلف ألوان القوى . فهو رجل ظل طول حياته يلازم بين طبيعة نفسيته وطبيعة المجتمع الذي يعيش فيه ، حتى أصبح هو عنواناً رفيعاً من عناوين المجتمع ، لا تقوى عاطفته على عقله ، ولا يطغى عقله بعاطفته ، ولا تذوب إرادته أو قوته الغضبية إزاء أحد منهما . وقد وصف هذه الناحية الأستاذ عبد الله فكرى أباطه^(١) وصفاً فيه توفيق الخير ، حيث يقول :

« وليس بعجيب بعد الذي عرفته عن طلعت حرب من كثرة العمل ، والجهد الشاق ، والمسئولية الكبرى التي يحملها ورفاقه أن يكون عصبي المزاج على شيء من حدة الطبع ، وخشونة المظهر في عمله . ولكنها شدة تتطلبها المصلحة ، ونراها بليغة الأثر في نجاح الأعمال التي يتولاها ؛ لأنها تضاعف حركة « الدواليب » وتبعث في أنحائها حرارة مستمدة من تيار ذلك « الدينامو » الهائل الدائم الدوران »

« على أن تلك الشدة والحدة تصحبها طيبة قلب تشفع فيهما ، فلا تلبث ثورته أن تهدأ بكلمة تفاهم أو عتاب ، وتنقلب عطفاً أياً هو الرابطة الكبرى بين طلعت حرب وكل من تربطهم به علاقة العمل من معاونيه ومرءوسيه وقد عرفوا عنه ذلك الخلق الكريم فاعتادوه ، ووطدوا نفوسهم على اتخاذ والدآ باراً ، شديداً عليهم في الحق أو العمل ، رحيماً بهم يحفظ في قلبه الكبير عطفاً دونه عطف الآباء »^(٢)

طبيعي أن تكون نفس طلعت موضع هذا الخلق ، خلق المستبد الرحيم ؛ فقد نشأ هذا الرجل مديراً ، وعاش ويعيش مديراً ، ولا بد للإدارة الناجحة من حزم أكيد . لكنه أيضاً نشأ مسعداً ، وعاش ويعيش مسعداً للكثيرين ، ولا بد لمسعد الغير من قلب رحيم

(١) مدير شركتى مصر حليج الأقطان والنقل والملاحة

(٢) من الخطبة التي أذيعت بالراديو ليلة العيد الخامس عشر لبتك مصر

صاحب السعادة

يقول الدكتور هيكل بك في نهاية كتابه الأشهر « حياة محمد » (١):
« لما صح عزمي على طبع هذا الكتاب بعد أن راجعت مواده وصحتها ،
وأضفت إليها وحذفت منها ، فكرت في أن أجعل منه حظاً للفقراء والمحتاجين
شكراً لله على توفيقه إياي في وضعه وطبعه ؛ وأردت أن أشرك في زكاة الشكر
هذه رجلاً أقدر جهوده ، وأعرف بره بالفقراء وذوى الحاجات . ذلك الرجل
هو زعيم مصر الاقتصادي العظيم طلعت باشا حرب مدير بنك مصر وشركائه
الأربعة عشر . فذهبت إليه وذكرت له ما صح عزمي عليه من طبع عشرة
آلاف نسخة تكون الطبعة الأولى ، على أن أجعل ألفاً منها للجمعية الخيرية
الاسلامية ؛ وطلعت باشا من كبار أعضائها . وطلبت إليه أن أطبع الكتاب
بمطبعة مصر . فلم يتردد الرجل في أن يبذل لي من مختلف صور العون غاية
ما رجوت . فشكراً له على صنيع كان له فضل معاوتي أكبر المعاونة في
الاسراع إلى إصدار الكتاب ، وشكراً له على ما شاركني في هذه المعاونة
القيمة للجمعية الخيرية الاسلامية ؛ جزاه الله عن صالح مجهوده ، وعظيم عمله
في سبيل وطنه وفي سبيل الله خير الجزاء »

إذا حققنا في جميع الغايات الانسانية ، فكرية كانت أو عملية ، وحللنا
الدوافع النفسية التي تدفع المجاهدين من عظماء الانسانية إلى تحقيقها ؛ بل وإذا
فحصنا المطالب التي ينشدها النابهون العاملون العظماء في العالم ، لوجدناها تنحصر في
كلمة واحدة تنطوي على كثير من الجزئيات ذات مختلف الألوان — هي السعادة

(١) ص ٤٩٦ من الطبعة الاولى

فالناس يريدون أن يسعدوا أنفسهم وأن يسعدوا غيرهم إن كانوا خيرين.
والمختارون من الناس هم أرغب الناس وأقدرهم على إسعاد الآخرين... ونظرة
في سيرة طلعت حرب تردنا مقتنعين بأن هذا الرجل ذا المنشآت المادية الضخمة
ما كان ليساهم في تأسيس مشروعاته إلا رغبة منه في إسعاد غيره..

وكان المصريون تتناهب أموالهم أيدي الدخلاء الناهبين حتى أزمّت بهم
أزمات الشقاء فجاهد خمسة عشر عاماً حتى أنشأ البنك المصرى الذى يحميهم
من سطوة الطامعين، ويرد خيرهم إليهم، ويزيد هذا الخير أن تستفيد في العمل
له آلاف الأيدي من أبناء الوطن

ما كانت المنشآت المادية في نظر طلعت حرب حياً في المادة إلا بعد أن
كانت في نظره سبباً إلى خير عام يصيب الكثيرين. وهو نفسه على الرغم
من المركز المادى الأ كبر الذى يشغله لا ينسى أن ينشر دعوة الخير ضد
عبادة المادة قائلاً «... ولكنى أطمع في شيء واحد هو ألا تكون الحياة
المادية الجارفة علينا من الغرب سبباً في إضعاف قوة الفضائل القومية
— خصوصاً فضائل البر بالضعفاء والاحسان إليهم»

لا تدهش لهذا القول منه، فطلعت هو الذى قدم المئات والألوف
براً وإحساناً لمنكوبى مصر والحجاز والشام في كثير من الظروف التى ماتزال
ماثلة للآذان، وما زالت هبته المالية الكبرى إلى جمعية المواساة فى ذاكرة الجميع
لكن الذى سيدهشك حقاً أن ترى هذا الرجل الذى يدير بنكاً
وشركات وأعمالاً تكاد لكثرتها لا تحصى، قد درج فى الوسط الذى حوله على
سنة تفقُّد الأحوال الخاصة لأشخاص الفقراء الذين يدرّكهم محيطه، فتراه يعنى
بنفقات زيجاتهم إذا تزوجوا، وبنفقات دفنهم إذا ماتوا، وتعليم أبنائهم إن
كان لهم أبناء، وبالترفيه عنهم إذا أصابتهم مصيبة من المصائب... وإنك لتراه
يعنى بهم أفراداً كما يعنى بهم جماعات!!

يبدو طلعت حرب المسرف فى الاحسان متناقضاً مع طلعت حرب

الممعن في الاقتصاد ، لكن هذا الخلاف الشكلي بين النزعتين ليس إلا استكمالاً للعظمة الانسانية التي يستقر جزء كبير منها في نفسية طلعت . فالامعان في الاقتصاد هو وسيلة من وسائل الخير للناس في ناحية ، والاسراف في الاحسان هو وسيلة من وسائل السعادة للناس في ناحية أخرى ، وطلعت يبدو في كل دور من أدوار حياته أنه يريد الخير والسعادة للجميع . فالاحسان صفة من صفاته الطبيعية : احسان في العمل واحسان إلى الناس . وليس شك أن تاريخ الاحسان في مصر الحديثة سيذكر اسم طلعت في القائمة الأولى من أسماء الرجال الذين نظموا الاحسان الوطني . وفي مقدمة نظم الاحسان التي اشترك فيها أنه ساهم بحمده وماله في تأسيس الجمعية الخيرية الاسلامية مع عظماء المصريين الذين أسسوها ؛ وبالغ في البذل لها ، حتى أصبح بفضل احسانه وكفاءته وكيل هذه الجمعية الكبيرة وأمين صندوقها معاً

لهذا ترى « الدكتور هيكل بك » ، وهو من زعماء الأدب والسياسة في مصر ، حينما أراد أن يحسن في كتابه وبكتابه « حياة محمد » لم يختار عوناً له على هذا الاحسان إلا طلعت (١) . فطلعت قد أشربت نفسه الاحسان ، وهو يحسن ويحسن إلى الغير ليسعدهم ، حتى إذا لم يجد من يحسن إليهم بعمله أو بعلمه أو بماله أحسن . إلى نفسه ليسعدها بشتى صنوف النجاح التي يكسبها باحسانه . . . وهناك دليل رسمي قد عرفته من سيرة « زعيم الاستقلال الاقتصادي » على أنه يمزج أعماله بعنصر الاحسان . ذلك أن الملك فؤاد الأول حينما تفضل بافتتاح شركة مصر للغزل والنسيج ؛ ورأى مبلغ هذه الألف من الأيدي التي تعمل وتصيب بعلمها في هذه الشركة رزقاً ، شهد لرب هذه الشركة بأنه عامل فعّال في سعادة البلاد . وأراد المليك أن تكون شهادته شهادة ذات عنوان رسمي ، فأنعم عليه برتبة الباشوية الرفيعة وغدا عن حق وجدارة « صاحب السعادة » محمد طلعت حرب باشا

(١) راجع تصريح هيكل بك في مقدمة هذا الفصل

في نهضة الفن.

لم تقف نزعة « السعادة » التي ينزعها طلعت حرب نحو الناس عند هذه الحدود المتواضع عليها من بذل بالمال ، وإحسان في العمل ، وتدير مرتزقات للعاملين ؛ بل كان لا بد للعبقرية أن تأخذ مجراها في هذه النزعة أيضاً . فترى هذا الرجل الذي درج في مدارج حياته مرفهاً عن الفلاحين وعن الفقراء لم يقنع بالترفيه عن أولئك وهؤلاء فحسب ؛ فراح يحاول الترفيه عن الذين ليسوا فقراء . . . عن أولئك الذين غمرتهم المدنية ، وأصبحوا لا تشبع من الرفاهية نفوسهم بشيء قليل !

كان التمثيل قبل الحرب العالمية الكبرى هو فن الفنون ، ومسرى خواطر المعاصرين في جميع أنحاء العالم ؛ وكانت دور التمثيل هي ملاهي الطبقة الراقية المتمدينة في جميع البلاد ، وكانت الرواية المسرحية هي الأدب الجديد الذي شمل الأمم ذات الحضارة العصرية

أما في مصر فقد كان الفن المسرحي ، تأليفاً وإخراجاً وتمثيلاً ، فناً ابتدائياً جديداً عند الفنانين . . . وفناً ثانوياً في نظر الجمهور . . . كان الشيخ سلامة حجازي هو أقوى من جذب الأنظار إلى هذا الفن . لكن جاذبيته لم تكن موجهة من النظارة إلى التمثيل ، بقدر ما كانت موجهة إلى غناء الشيخ

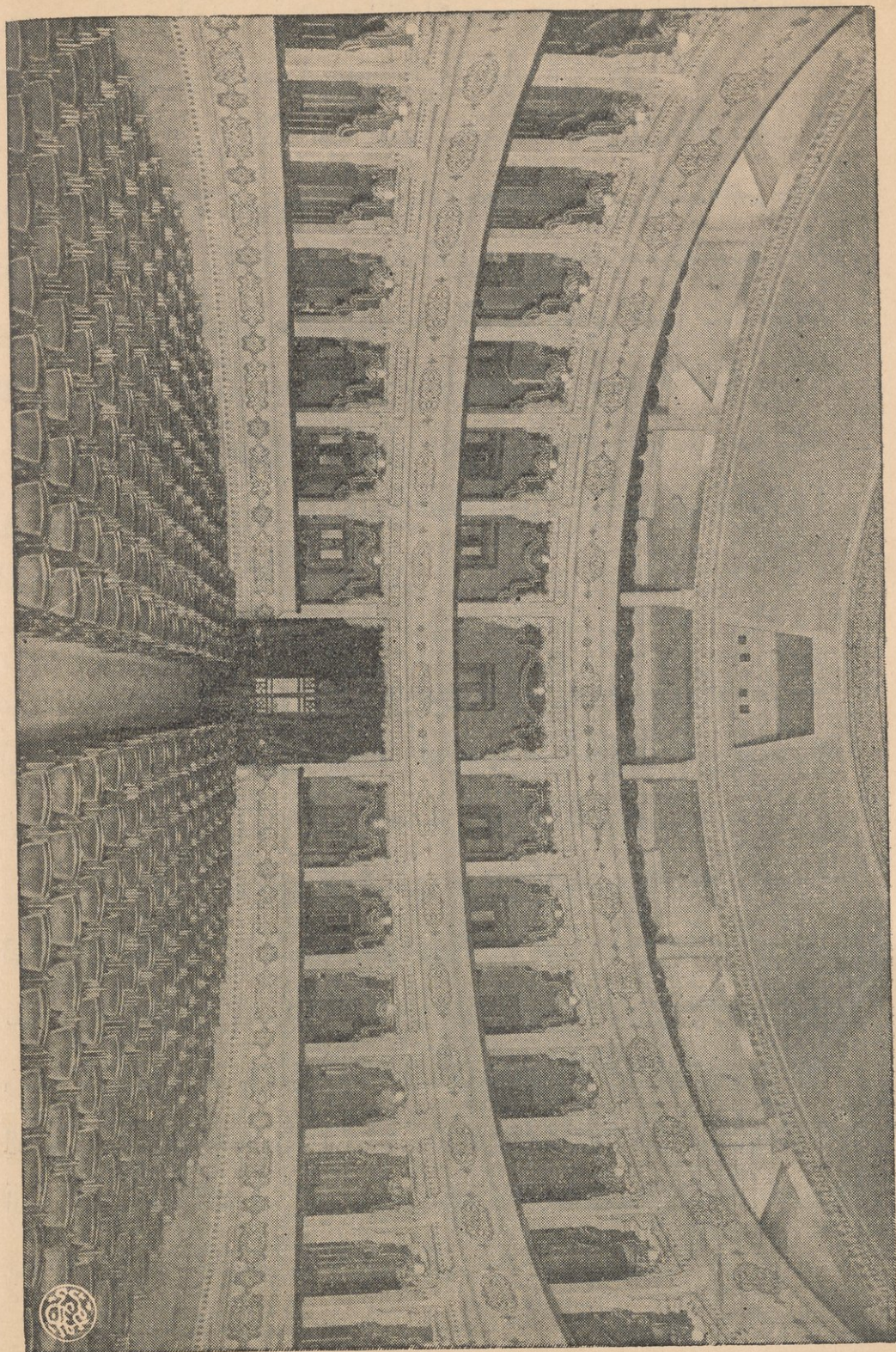
مات الشيخ سلامة حجازي ، ففقد المسرح في مصر الشيء الكثير من جاذبيته . وقامت الحرب العالمية الكبرى يومئذ فاضطربت أعصاب الناس وأمزجتهم ، ولم يجدوا الرواية التي تلهيهم وتمتعهم وتنأى بهم عن آلام الواقع إلى بهجة الفنون

لم تكن مصر قد خلت من الفنانين ، بل على العكس كانت قد اجتمعت

لها يومئذ طائفة من خيرتهم ، هم أولئك الذين وجهوا في المستقبل فن التمثيل
في مصر والشرق العربي . لكن أولئك الفنانين لم يجدوا يومئذ الرابطة العملية
التي تجمعهم ؛ فان وجدوها ، لم يجدوا إقبال الناس دائماً على أعمالهم
ذلك أن الرواية المسرحية بصفة خاصة لم تكن إلى ذاك الحين إلا
رواية أجنبية قد لا تتصل مشخصاتها بمشخصات الحياة في مصر خاصة
وفي الشرق عامة ؛ وكان المصريون أو الشرقيون قديماً يقبلون عليها إقبالهم
على الشيء الجديد . أما والتمثيل لم يعد عند الطبقة الراقية المتعلمة شيئاً جديداً ،
فما الذي يحملهم على أن يجسوا خيالهم على هذه الدرامات الأجنبية . .
لكن أين المؤلف ؟ . . . بحثوا عنه فعثروا به في ظلمة من عدم التقدير
أو عدم الاعتراف ، أو في حلقة من الفاقة تحجب كفاءته عن الأنظار ! فمن
الذي يخرج من هذه الظلمات ؟
إنه محمد طلعت حرب !

أجل هو طلعت حرب الرجل الذي اندمج إحساسه في أحساس أمته ،
أو اندمج إحساس أمته في إحساسه ، قد دفعته حساسيته إلى أن يرفه عن هذه
الأمم ، أغنيائها وفقرائها ، بأن يوجد لهم المسرح المصري
كانت الثورة الوطنية قد أشعلت نفوس الشباب ، ولم تعد ترضيهم هذه
الروايات الأجنبية ؛ إنما كانت نفوسهم بحاجة إلى « المسرحية » التي تحي في
نفوسهم العزم بذكرى المجد . فالف طلعت « شركة ترقية التمثيل العربي »
وفتح للمؤلف المصري خزينته . ولم يكن ليعطى المؤلف على مسرحيته عطاء
الضنين ، بل كان يعطيه على عمله أجراً لو وجدوا واضعو المسرحيات في هذا
العهد لكان لهذا الفن اليوم شأن آخر . فقد ارتفعت الأرقام في سعر المسرحية
المؤلفة على يد طلعت من مائة إلى مائتي جنيه !!

قام طلعت حرب بهذا الجهد ، وبذل هذا البذل ، حتى أوجد المسرح
فعلاً . وكان آية وجوده هذا البناء الفخم الذي يعد هو الآخر تحفة من تحف



AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO

LIBRARY

الفن في العمارة العربية الحديثة ، ألا وهو « مسرح حديقة الأزبكية » الذي افتتح في سنة ١٩٢٠ فسارت فيه النهضة الفنية في معية النهضة الوطنية . ولقد تألفت لهذا المسرح فرقة تمثيلية من جميع فطاحل التمثيل تقريباً . وبقدر ما كان يبذل طلعت للمؤلفين ، بقدر ما كان يبذل للمخرجين والممثلين جميعاً

كذلك ساعدت يد طلعت في الفن على إيجاد المسرحية العربية . وقد استطاع بشخصيته المفردة أن يقوم في هذه الناحية بما قعدت عنه شخصيات وهيآت رسمية أو غير رسمية ... ولقد عثرنا ، والكتاب تحت الطبع ، على حديث لكاتب من كتاب المسرحيات الذين شملهم عهد طلعت في حياة المسرح ، هو الأستاذ عباس علام الذي تحدث في هذا الموضوع إلى جريدة المصور قائلاً :

« ... وهل أدل على ذلك من أن طلعت باشا حرب استطاع أن يوجد مؤلفين روائيين لازلنا نذكر منهم عمر عارف بك القاضي (مؤلف هدى) ، والأستاذ فكرى أباطه (مؤلف زواج مصلحة) ، وإبراهيم بك جلال (مؤلف العمدة) ، والأستاذ إبراهيم رمزي ، وأخيراً شخصي الضعيف (عباس علام) . فهو لاء الأعلام وغيرهم من خيار المؤلفين حين وجدوا الرجل القوي والشخصية العظيمة أنتجوا وجادت قرائحهم » (١)

ترى صاحب هذا الحديث يشير إلى أثر شخصية طلعت في هذه النهضة . والواقع أن هذا الرجل الذي تعد حياته بركة لمصر في أغلب نواحيها لم يقف جهده في هذه الناحية عند التشجيع المادي وحده ، بل إن الذاكرين ليزكرون له تشجيعاً أدبياً للفنيين قد يكون دونه كل تشجيع

كانوا إذا مرض أحدهم عاده بنفسه ، وبأطبائه ، وهيأ له سبل الشفاء .. يسأل عن الغائب منهم ويقوى عزائم الحاضر . ولقد تصادف أن كان طلعت يرتاد ربوع الشام فسمع بأن « فرقة تمثيلية مصرية » تحي بدمشق بعض

(١) ص ٣٥ ع ٨ من أكتوبر ١٩٣٦

الحفلات . وعلى الرغم من أن مدير هذه الفرقة كان يومئذ على خصومة قضائية بينه وبين المصلح الكبير ، فإن الرجل لم يتردد في حضور حفلة الفرقة — لا بمفرده فقط ، بل إنه دعا إليها على حسابه الخاص كل من لقيه من الصحب والأصدقاء ، حتى بلغت الألواح التي احتجزها لحسابه صفاً كاملاً ولم يقف تشجيعه عند هذا الحد أيضاً ، بل إنه هنا أعضاء الفرقة جميعاً في نهاية الحفلة . وكان عيد الأضحى قد أشرف ، فأمر لـكل منهم بذيحة العيد !

..... وهكذا لن يفقد العظيم عظمة نفسه في أى مرحلة من مراحل حياته !

سياسي

ما لهذا الرجل ، والناس في مصر لا حديث لهم إلا حديث السياسة ولا شغل لهم إلا شغلها ، يقيم نهضة الفن مرة ، ويشيد صرح الاقتصاد الوطني مرة ؟ ... أليس عجيباً في سنة ١٩٢٠ ، والرصاص يدوى فيصم القلوب ويصيدها في الصميم ، أن يقيم طلعت حرب دولة المسرح ؟ وأليس عجيباً في سنة ١٩٢٠ ، وخواطر الأمة كلها محشودة في ميادين الثورة السياسية ، أن يؤسس طلعت حرب بنكاً للمعاملات النقدية الخالصة ؟ .. لكن أليس أعجب من هذا وهذا أن يجد في الجماهير المصرية الشائرة أنصاراً يقبلون على الفن الذي أقام دولته ، ويقبلون على المشروع الاقتصادي الأكبر الذي أقام دعائمه ؟ !

ترتيب الحوادث في تاريخ طلعت حرب ، المندمج في تاريخ مصر ، هو الذي يزيل هذا العجب . فالثائرون لكرامتهم القومية في ثورة سنة ١٩١٩ وما بعدها يرومون بقوة ضميرهم أن تكون الأعمال الفنية كلها في خدمة هذه الكرامة ، وإنشاء المسرح القومي الذي أنشأه طلعت لم يكن إلا تحقيقاً لما أراد ضمير الشعب المصري الشائر والمدافعون عن حقهم إزاء الدخلاء في بلادهم يودون بقوة إرادتهم أن يثبتوا للخصوم أنهم أ كفاء للاستغناء عنهم في داخلاتهم ؛ وتأسيس البنك الوطني الذي عمل لتأسيسه طلعت لم يكن إلا تنفيذاً لأعمق إرادة في نفس الأمة التي ثارت لتثبت أنها كفء للحرية

سياسة من طلعت حرب نحسب أن الزمن يثبت في كل يوم دليلاً على سلامتها . فقد أجمع المفكرون جميعاً ، والمؤرخون جميعاً ، والمنصفون جميعاً على أن النهضة السياسية الأخيرة في التاريخ المصري إن كان لها فضل على سابقتها من النهضات ، ففضلها في كونها قد أحيت الفنون ، وازدهر فيها الاقتصاد ،

ولو لم يتوفر رجال كرام مثل طلعت حرب على إحياء هذه النهضة التي استغلت
النهضة السياسية استغلالاً حكيماً لعاب التاريخ على المصريين أنهم لم يتحينوا
للتقدم العملي ظروفه الموقوتة له في عالم الحضارة

ليس شك أن السبعة عشر عاماً التي استغرقتها الثورة السياسية من تاريخ
مصر كانت ذات آثار عمرانية في المجتمع المصري . على أنه لم يكن في هذه الآثار
أثر أعظم ولا أنتج ولا أبقى من بنك مصر وملحقاته التي تتسم كلها بسمة
طلعت حرب

فسياسة طلعت حرب هي سياسة الاختصاص ، واختصاص طلعت
السياسي كان دائماً أنبل اختصاصات السياسة . . . إن طلعت رجل يخدم مصالح
المصريين جميعاً من كل حزب ومن كل شيعة ، فلم يكن ممكناً ولا مستطاعاً أن
يتخير لنفسه لونا من السياسة المعروفة بين أحزاب الأمة . لكن هذا العجز الجميل
عن انتحاء جانب من الدوائر السياسية المصرية كان هو الكمال بعينه في سياسة
طلعت : فقد كسب احترام الجميع وحبهم وتقديرهم بحياده وثباته وطول الزمن
على أن طلعت ما كان ليكسب هذا الحب والتقدير والاحترام بالحياد
المجرد أو الثبات المجرد في بلد كانت تضطرب فيه الأفكار السياسية أحياناً ؛
إنما كان لهذا الرجل من ماضيه ، فوق ماله من حاضره ، قوة تؤيد سياسته
الخاصة أو سلوكه السياسي الفريد

فطلعت حرب هو مؤلف كتاب « قناة السويس » وداعية الأمة الكبير
إلى مقاومة السياسة الانجليزية في مد مدة امتياز شركة القناة ؛ وطلعت حرب
هو داعية التجار الوطنيين إلى تكريم « سعد زغلول » بطل السياسة الوطنية
العظيم حين آب إلى مصر في سنة ١٩٢١ . . هناك وقف « طلعت » يخطب
في تكريم « سعد » قائلاً :

« من التغير بالنفس أن تظن السياسة أن المصريين قد عموا
لا يروا ما يقع تحت أبصارهم . فان القوة إن كان من نتائجها أن تقصف أفلام

الناقدين ، أو تسد أفواه الشاكين ، فليس من شأنها أن تسكت قلوب المظلومين ، وكل سياسة خطها الانجليز في مصر فشلت ؛ لأن قاعدتها لم تكن الاتفاق مع الأمة المصرية ...

قال طلعت حرب هذه العبارة السياسية الجريئة في سنة ١٩٢١ ، والأسلحة شاكية في وجوه الذين يتخذون هذا المنطق السياسي من القول . لكن تجارب بريطانيا أكبر دولة سياسية في مدى خمس عشرة سنة مع مصر أسفرت عن صدق منطق طلعت ، فاتفق الانجليز أخيراً في سنة ١٩٣٦ مع ممثلي الأمة المصرية ، وبرهن هذا الاتفاق الأخير على أن كل سياسة سابقة للانجليز كانت سياسة فاشلة

يخطئ بعد هذا كله من يظن أن حرباً ليس رجلاً سياسياً ... على أن هذا الخطأ خطأ كأنه الصواب ، لأن سياسة طلعت كانت في أكثر أطوار حياتها هي البعد عن السياسة — البعد عن هذه السياسة التي تتخذ ألواناً وأشكالاً مختلفة من اختلاف الرأي ، والتحزب له ، ومشايعة مذهب سياسي ضد مذهب سياسي آخر ... لكن البعد عن هذه الألوان والأشكال من السياسة كان هو السياسة بعينها ...

فلو لم يكن طلعت حرب سياسياً محنكاً ، ثم تورط في لون سياسي معين لفشلت إدارة المشروعات العمرانية العظيمة التي يقوم بها لحياء مجد مصر وتحقيق استقلالها استقلالاً عملياً ، مع أننا نؤكد أن نجاح هذه المشروعات هذا النجاح الذي كانت حيدة طلعت جزءاً منه ، هو سبب من الأسباب المباشرة ، أو الغير المباشرة ، في نجاح المفاوض المصري والمجاهد المصري سوياً لا حقائق ما لمصر من حقوق بين الأمم الحية ... ولقد شرح طلعت حرب نفسه هذه النظرية السياسية في خطابه الذي ألقاه في حفلة تكريم التجار لسعد زغلول ، وعبر عنها بما يأتي :

« الموجودون هنا ، أيها السادة ، تجار رجال عمل ، قلما تتغلب عليهم

العواطف في أعمالهم، وهم لا ينظرون إلى جميع ما يعرض عليهم إلا من ناحية المصلحة. فهم إذا كانوا يطلبون الاستقلال التام، فليس ذلك لزخرف يبعثونه، أو لعار يمحونه، وإنما لخير يرجونه؛ فلئن توقف رقينا الاجتماعي على تحسين أخلاق الأفراد، وتوثيق روابط العائلات، فذلك لن يكون إلا بعد أن نأخذ أمرنا بيدنا — ومن أجل هذا نطلب الاستقلال،

« ولئن توقف رقينا الاقتصادي على التربية الزراعية والصناعية والتجارية وإتمام الكفاءات العملية، فلن يكون ذلك تاماً إلا بعد أن نأخذ أمرنا بيدنا — ومن أجل ذلك نطلب الاستقلال،

طبعي أن لو كانت مصر حرة تامة الحرية في السنين الماضية التي جاهد فيها طلعت حرب ورجاله وأمثالهم لعمرانها، لكانت نتيجة هذا الجهاد أكثر قوة وأكبر نفعاً؛ لكن طلعت بما صنع لبلادها قد ساعد على دنو هذه الحرية فعلاً إلى يدى مصر، وكانت له في منشأته — التي لا تحتاج إلى بيان — سياسة وطنية جديرة بأن تثبت له اسمه — على الرغم من كرهه للسياسة — بين أسماء الساسة الدهاة

داعية

يوم أقام تجار العاصمة حفلتهم التكريمية للزعيم الأكبر «سعد زغلول» في ١٣ أبريل سنة ١٩٢١، أعد طلعت لهذه المناسبة كراسة مؤنقة عن هذه المؤسسة الاقتصادية التي لم يكن لها في الوجود إلا بضعة أشهر قلائل، ألا وهي «بنك مصر»

قرأ الحاضرون هذه الكراسة، وأعجبوا بها وبما فصلته من مشروعات بنك مصر، أو مشروعات طلعت حرب؛ وانبثت الأفكار التي ينشرها طلعت بهذه الكراسة في نفوسهم وهم لا يعمدون. فدل اختيار هذا الطرف للإعلان عن بنك مصر ومشروعاته المستقبلية، وعدم ترك مثل هذه الفرصة العظيمة تفلت دون الالتفات إلى النهضة الاقتصادية الجديدة — على استعداد من الاستعدادات الكمية في تكوين طلعت حرب، ألا وهو «الدعاية» الدعاية في تكوين «طلعت حرب»، وفي بناء عظمته عامل من العوامل الأساسية. ولو لم يكن طلعت داعية كبيراً لجهل الناس الفضل الكبير في المنشآت التي يدعو لها، ويؤسسها لتحقيق استقلالنا الاقتصادي؛ ولجهلنا الشيء الكثير من أعماله وميزاته التي تكون شخصيته العامة، وتجعل منها قدوة حسنة في الحياة العملية؛ ولما ظفر المصريون عامة بهذا الانتاج الاقتصادي كله في الستة عشر عاماً التي خلت، وما يليها إن شاء الله من الزمان؛ ولما ظفرنا نحن خاصة بتقديم هذا الكتاب عن هذه الشخصية المثالية العظيمة لرجال اليوم ورجال الغد على السواء

كثير من الناس يمتازون بملكة الدعاية، لكن طلعت حرب داعية من الصنف الدموب الذي لا يني ولا يتأخر عن دعايته في أصغر

المناسبات رغماً عن أكبر المراكز التي يشغلها
اقرأ هذه العبارة :

« ثمن المقطع من البفتة اليابانية يبلغ في السوق نحو ٤٥ قرشاً ، بينما
يزيد ثمن المقطع المصرى على ذلك قرشاً معدودة . وليست هذه الزيادة في
الثن زيادة حقيقية إذا لاحظنا أن المقطع المصرى يتحمل ستة أضعاف
ما يتحمله المقطع اليابانى ، بحيث يوفر المقطع الواحد على المستهلك شراء خمسة
مقاطع أخرى من الصنف اليابانى »



يشرح لشيوخ الأمة ونوابها في مصانع المحلة الكبرى . وقد ظهر في المقدمة
والي يمينه الأستاذ محمود بك بسيونى رئيس مجلس الشيوخ

« وآية ذلك ما شاهدته وزراء الدولة وعظماؤها بأعينهم يوم زيارتهم
القريبة لمصنع « شركة مصر للغزل والنسيج » بالمحلة الكبرى من أن القماش
اليابانى يبدأ بالتمزيق إذا وصل احتماله إلى درجة ٧٠ رطلا ، بينما لا يتمزق
قماشنا المصرى إلا بعد أن تصل درجة احتماله إلى ٤٢٠ رطلا »

« أى أن اليابان إذا قصدت حقاً أن ترعى مصلحة الفقير المصرى، كان التزاماً عليها أن تعطيه ستة مقاطع من بفتها بثمن ثوب واحد من (بفتة المحلة) ولكنها إنما تتعاطى منه ٢٧٠ قرشاً ثمناً لبضاعة نبيعها له نحن بخمسين قرشاً أو بخمسة وخمسين قرشاً »

لو قرأت هذه العبارة فى غير هذا الكتاب لحسبتها إعلاناً كتبته أحد كبار التجار المصريين؛ ولو زدتها إمعاناً لظننت أنها منقولة، على الأكثر، عن وكيل من وكلاء شركة المحلة الكبرى. والواقع أنها أجزاء من حديث للزعيم الاقتصادى نفسه أدلى به إلى جريدة « روز اليوسف » عن علاقة الصناعة المصرية بالصناعة اليابانية (١)

تخصص وديمقراطية فى الدعاية من الزعيم الاقتصادى ذات أثر قوى. ففهما كانت الدوافع الوطنية فى تفضيلنا لمنتجات بلادنا الصناعية، فإنها لن تكون أقوى أثراً من هذه العملية الحسابية الخالصة، النفعية الخالصة، التى دعا بها طلعت إلى تفضيل المنسوجات المصرية... وإنك لتلمح على قوة هذه الدعاية سهولة فيها من جانب طلعت الداعية، فهو رجل قد مرّن على الدعاية حتى أصبح يدعوها عفواً، فى غير كلفة ولا ادعاء، بل حتى أصبح اسمه وشخصه وبرنامجها فى الحياة دعاية من الدعايات الوطنية

ألمست تراه معنياً بالسينما عناية ظاهرة، وما يعنيه منها إلا أنها وسيلة أبرع ما تكون فى وسائل الدعاية الحديثة. وهذا هو الذى حفزه لتأسيس شركة مصر للتمثيل والسينما « لتكون من الدعايات القوية عن شركائنا ومنتجاتنا، فتربط بعضها ببعض، وتكون أيضاً وسيلة حسنة من وسائل الاذاعة عن مفاخر بلادنا، ومظاهر تقدمها، ومقدار نشاطها الانسانى فى كل نواحي الحياة، مما لا ذاعته تأثير مفيد ونفع عظيم... ولا يخفى عليكم

(١) روز اليوسف فى ٢٢ مارس ١٩٣٥

أن قوة السينما ، وخاصة بعد أن أصبحت ناطقة ، تفوق في الاذاعة والدعاية
والاعلان أية قوة أخرى ، (١)

يطول بنا البحث لو أردنا أن نعدد الحوادث والأقوال التي تتعلق بدعاية
طلعت ، فقد لا تكون هناك مناسبة قومية أو معرض عام لم يعرض فيه
طلعت لشركات مصر شيئاً . وملايين من الناس يشهدون أول ما يشهدون في
المعرض الزراعي الصناعي الأكبر ، الذي تقيمه الجمعية الزراعية الملكية دورياً
كل خمس سنين — أن أول المعارضات إنما تكون معروضات بنك مصر
وشركاته جميعاً . . . ومع أن حرباً قد نمت به السنون في عهد القطارات
البخارية ، فانه لم يحجم أن يكون أول من ركب الطائرة حين أنشئت شركة
مصر للطيران

جراً في الاعلان تَزُرِي بسلطان العمر ، وهمة الشباب . فليس من
شك أن تنقلات طلعت باشاً بالطائرة من مصر إلى الأقطار العربية ، ومن
الأقطار العربية إلى مصر وغيرها ، كانت أقوى دعاية لأمان الطيران عند الجماهير .
فلو أن الطيران كان خطراً مهوباً لما تعرض له رجل إذا قيست الأعمار بالمال
لكانت حياته من أغلى حياة الناس في العالم كله . . . ومع هذا ، فهو لا يدع
الفرصة تفلت دون إثبات دعايته ، فها هو ذا حين زار الحجاز في شتاء هذه السنة
على متن طائرة من طائرات مصر ، وعاد من زيارته — يحدث المسلمين عن طريق
الاذاعة اللاسلكية بحديث رحلته . بدأ قصته عن هذه الرحلة بدعاية بليغة
عن شركة الطيران ، إذ يقول :

« بارحنا القاهرة الساعة ٦ر٣٥ يوم الخميس ١٤ من شوال سنة ١٣٥٤
(الموافق ٩ يناير سنة ١٩٣٦) على متن الطائرة « مصر الجديدة » إحدى

(١) خطبة طلعت باشا في العيد الخامس عشر لبنك مصر (ص ١٩ و ٢٠)

طائرات شركة مصر للطيران ، وكان يقودها الطيار محمد صدقي ، فوصلنا جدة الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم نفسه ، بعد أن استرحنا في الطور وفي ينبع أكثر من ساعتين ونصف

«ولسنا في حاجة أن نذكر لكم أن السفر بالطائرة مريح للغاية ، ولكن حسبنا أن نقول : إن من يجرب الطائرة في أسفاره لا يعود مرة ثانية إلى تضيق وقته باستعمال وسائل السفر الأخرى ،

على أن هذا كله ليس إلا مثلاً موجزاً من أسلوب الدعاية الذي يمتاز بقوة طلعت حرب



في حفلة الصحفيين لرجال بنك مصر بفندق الكوكتننتال

طلعت حرب باشا — إلى يمينه محمد علي علوبه باشا واحد مدحت يكن باشا
وإلى يساره عبد القادر بك الكيلاني القائم بأعمال مفوضية العراق بمصر

شخصية المدير

تراكت الأعمال في مكتبه في يوم من أيام النشاط العملي الذي يسود الغالبية الساحقة من أيام حياته ؛ وانصرف موظفو البنك عند الظهر حسب نظامهم، ليعودوا في الساعة الثالثة بعد الظهر . لكن الساعة قد تعدت الثانية ، والسكرتير الخاص لطلعت باشا المدير ينتظر فراغ مديره حتى ينصرف كما انصرف الزملاء .

كان المدير غارق الذهن فيما عنده من المهام ؛ فلما تبين الوقت بعد الثانية بعشرين دقيقة انصرف لينصرف سكرتيره وعاد السكرتير بعد هذا التأخير في العمل الصباحي بعد الثالثة بربع ساعة فقط ، فلقى المدير جالسا إلى مكتبه منكبا على عمله كأنه لم يكن منذ خمسين دقيقة غارقا في مهام هذا العمل ؟ عاتب المدير سكرتيره أنه تأخر خمس عشرة دقيقة عن موعد الرجوع ؛ وكان عذر السكرتير يئنا ، أن هذه الساعة التي غابها لم تكن لتكفي الطريق وتناول طعام الغداء ... لكن المدير الجبار ، الذي كان هو الآخر قد انصرف إلى غدائه وعاد قبل سكرتيره ، قال : « إذا كانت مهمة الغداء تكلفك هذا الوقت كله ، فخير لك في أيام ازدحام الأعمال أن تتناول طعامك هنا ! »

لا تحسب أن طلعت المدير الذي يلقي بهذا القول إلى مرءوسيه من أولئك الرؤساء الذين يصلون إلى مكاتبهم اتفاقا في غير وقت معين ، بل إنه رجل في حياته برنامج نظامي ، تتم عليه هذه الإدارة النظامية الناجحة التي شاد أسسها

فهو ممن يعرفون اليقظة المبكرة . حتى إذا ما استيقظ راجع ما يكون قد ناله المبيت من أوراقه ، وكتب تعليماته عليها ، ومر بصفحات الجرائد ، وقرأ

ما يهمه فيها ، ثم انصرف إلى مكتبته في مقدمة موظفي بنك مصر بذات البكور
الذى يكره النشيطون منهم إلى البنك ، ثم يأخذ في مباشرة عمله كأنه موظف
مسئول يراجع بنفسه أصغر المسائل كأكبرها

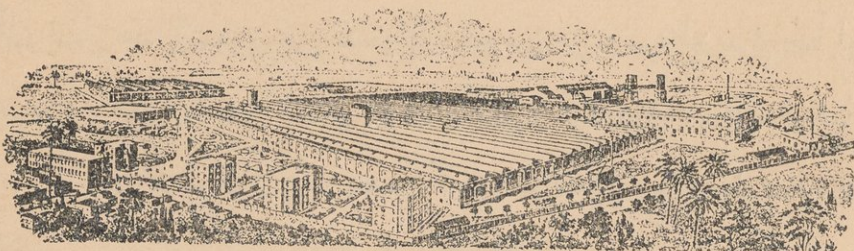
رجل يحب عمله ، ونحن معك لانشك في أن نجاحه في أعماله يجب إليه
هذه الأعمال ؛ لكن لذته في عمله ليست فقط لأنها تكسبه نجاحاً وخيراً ،
بل إنه مشبع النفس بأنها أعمال تتعلق بمستقبل وطنه وحرية وكأنه
أراد أن ينقل هذا الشعور من نفسه إلى نفوس مرءوسيه ليزيدهم حباً لعملهم
ونشاطهم فيه ، فلما اجتمعوا لتكريمه في أكتوبر سنة ١٩٢٥ ، قال لهم فيما قال :
« أتم لا تعملون في بنك مصر كمجرد موظفين ، بل تعملون فيه بشعور
آخر لا يقل قوة عن شعور مسئولية الوظيفة — وهو شعوركم أن البنك
بنككم ، قد ارتبطت به حياتكم ، وارتبط به شيء من مجد وطنكم ، وشيء
كبير من تكوين أكبر عدة لاستقلال بلادكم الاقتصادية »

بهذه الروح تقوى شخصية طلعت في العمل الذى يديره . وتتأثر
بشخصيته جموع موظفيه ، فتراهم في عملهم أدنى إلى الغبطة والنشاط ، ولعل
حرباً هو أكرم الرؤساء لمرءوسيه فيما اشتهر عن مديري الأعمال . فهو لا ينفك
يسأل عنهم ، وعن خصائصهم ، وتقلبات حياتهم . ونحسب أنهم لولا كثرتهم
كثرة يضيق بها وقته المزدحم بجلال الأعمال لا تصل بهم فرداً فرداً . ومع
هذا فقد تعود وعودهم معه أن يجمعهم كل عام مرة أو مرتين على مائتته
ليشعروا جميعاً بأنهم أسرة واحدة في دار طلعت حرب !

لكن هذا العطف كله الذى يشملهم جملة واحدة ينصب في جام من
الغضب الملهب على رأس المخطئ منهم . ولعل هذه القوة الغضبية في شخصية
طلعت هي سر من أسرار نجاحه في إدارته إلى جانب هذه الخصائص الأخرى
من العطف والشفقة . وعبثاً يحاول أحد الموظفين أن يفوت على المدير أمراً ،
ذلك أنه « يتمتع بقوة ذاكرة دونها أنظم السجلات ، ويستخدمها كمكتب

شركة المصارف

رأس مالها المدفوع ٥٠٠.٠٠٠ جنيه



مصانع لغزل القطن

مصانع للدوباره والقطن الطبي والفنلانت

مصبغة لجميع الألوان ومميضة على احدث طراز

عدد العمال في سنة ١٩٣٣ حوالى ٦٥٠٠ عامل

مركزها الرئيسي : عمارة بنك مصر ١٥١ شارع عماد الدين تليفون ٤٥٦٤٧

مصانع الشركة بالمحلة الكبرى تليفون رقم ٣

فرع البيع بالجملة : شارع الازهر الحديد تليفون ٤٥٧٣٨

مع القطاعي : شركة بيع المصنوعات المصرية وعموم المحلات التجارية

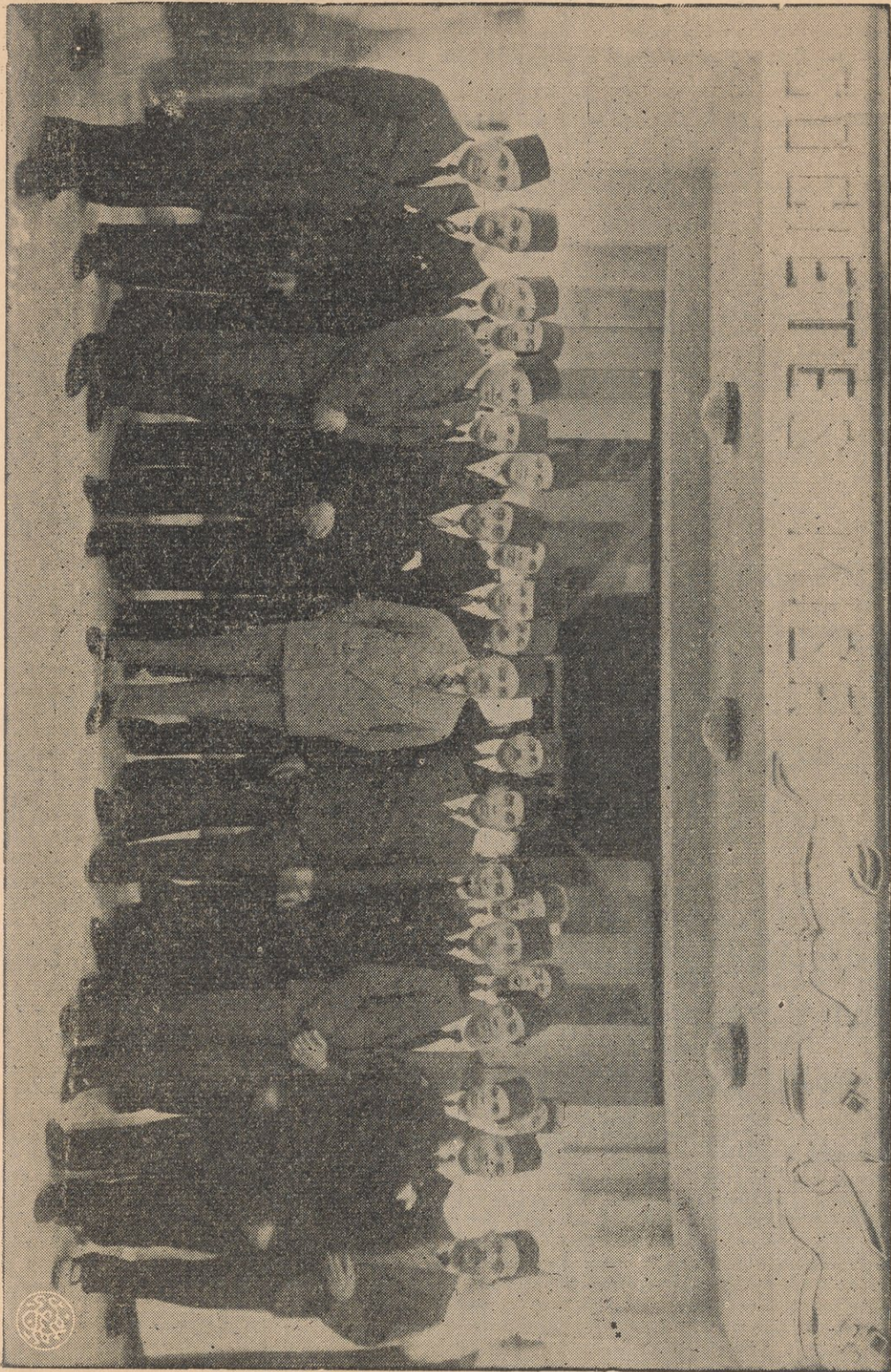
أطلبوا منها مصنوعات الشركة

يتم المدير بحزنيات الأعمال التي يشرف عليها بنفسه . ويظهر على هذه الصفحة خطه وهو يراجع
بقلمه تجارب المطبعة لإعلان عن إحدى شركات مصر في كراسة الاعلانات لمينما حديقة الأزبكية

«استعلامات يحيط بكل شاردة وواردة من أعمال البنك وشركاته وعملائه» (١)
عنيف في شدته ، دقيق في عطفه ، مزود بالمكر السياسي في إدارته ،
وفيّ للذين يعملون معه دائماً ولقد ذاع الشئ الكثير من بره بمرءوسيه
ووفائه لهم ، خاصة في ساعات شدتهم ، علي أنه لم يكتف بما يصنع من هذا
كله ، وتآبى عظمة نفسه إلا أن يذكر حتى الذين غابوا عن الدنيا منهم في عيد
بنك مصر الأكبر فيقول :

« إن في كل عيد مثاراً لذكرى الصحب والأبناء ، وفي هذا العيد الذي
نحتفل اليوم به ، لا ننسى أبداً أن نترحم على من فقدناهم ، من زملائنا أعضاء
مجلس الإدارة ، ومن أبنائنا الموظفين الذين استشهدوا في ظلال البنك
والشركات ؛ رحمهم الله رحمة واسعة ، وأجزل لهم جميعاً حسن الثواب ،
ليس هذا إلا سرّاً آخر من أسرار نجاح طلعت المدير ، فالذين يعملون
معه ، أو تحت إدارته ، يشعرون على الرغم من انضوائهم تحت لواء شخصيته
الكبيرة بأن لهم في دائرتهم شخصياتهم . حتى ولو لم يكن بيدهم الأمر والتدبير .
ذلك لحنكة طلعت وحكمته في معاملاتهم ، فهو في شدته ، وفي انبساطه ، من
أكثر المديرين بُعداً من مسّ إحساس الذين يشرف عليهم أو على أعمالهم
قال الأستاذ عبد الله فكري أباطه في كلمته التي ألقاها في حفل من
حفلات العيد الخامس عشر لبنك مصر ، وقد سبقت الإشارة إليها في موضع
آخر : « إني لأذكر أنني رأيت طلعت حرب في مستهل حياة البنك يمسك
بعض دفاتر البنك بنفسه ، ويقيد فيها بيده ، ويشترك مع صغار الموظفين —
وما كان أقلهم حينذاك — في عمل تسوية حسابية ، أو يقيد طلبية . ويصرف
مرتبات موظفيه القلائل من أدراج مكتبه حتى لا يعرف الواحد ما يتقاضاه
سواه من أجر ، منعاً للغيرة وفساد الروح بين الموظفين ،

(١) من كلمة الأستاذ عبد الله أباطه في ليلة العيد الخامس عشر لبنك مصر



المدير المحبوب بين أبنائه الموظفين في قسم شركات مصر بالمرض الزراعي لسنة ١٩٣٦

إنه يتشدد مع الذين يعملون معه في سبيل المجموع أحياناً ، لكنه يرضى كرامتهم أمام المجموع دائماً ؛ وهو في كلتا الحالتين حريص على الذوق لا يحميد عنه . وأنت ما زلت تذكر مما ذكرنا لك في أوائل فصولنا كيف جعل أحد أصدقائه الباشوات الذين أصلح لهم دوائر أعمالهم في أوائل حلقات حياته العملية ، كيف علم صاحبه الحساب والتدبير عن غير طريق التعليم والارشاد ، بأن طلب إليه فقط أن يدون ما ينفق ؛ فاجل صاحبه الغنى بما ينفق ، وتدبر فيما ينفق (١)

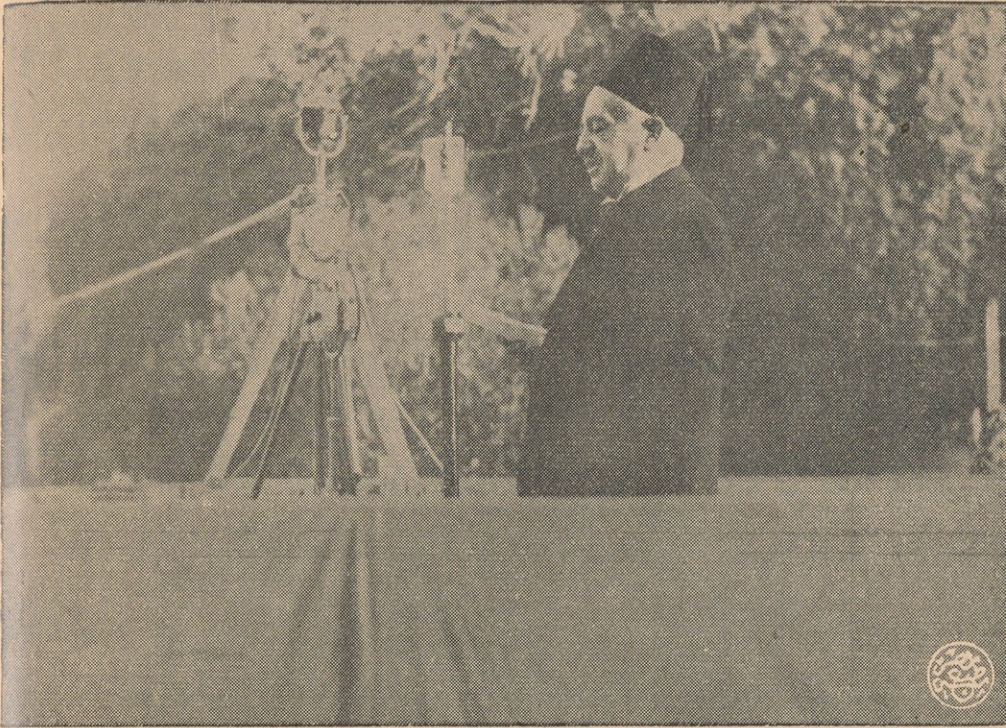
إدارة حكيمة تساعد على ما أخذته من الصورة الناجحة في أذهان الجميع ميزاته الشخصية التي يعتمد المدير إظهار رجاله عليها فتكون فيهم ، باقتدائهم إياه ، صورة منه . فهو ليس من أولئك المديرين المتصرفين الذين يستغلون امتيازات إدارتهم ، بل إنه دائماً يخلى إدارته من النفقات التي تتصل بشئونه ولو كانت هذه النفقات في سبيل الادارة العامة ... هو دائماً يستعمل في روحاته وجيئاته سيارته الخاصة ، ومع هذا فهو متنازل دائماً عن (بدل السفر) في جميع المهام التي يروح فيها ويغدو من أجل البنك والشركات !

لقد أصبح هذا التصرف المثالي النبيل من جانب طلعت حرب عادة من العادات التي تكون شخصيته . وقد كشف الزمن عن هذه العادة الرفيعة من شخصيته حين اختير لعضوية البعثة الاقتصادية المصرية التي أوفدها حكومة مصر إلى إنجلترا تبادلها منها مع الدولة الانجليزية للوفود الاقتصادية الرسمية — إذ نزل طلعت عن أجره وتكاليف سفره ، علماً منه أنه إنما ذهب ليمثل الجانب الوطني في البعثة ... وكان هو المتفرد بهذا التصرف

شخصية إن جهل الناس قوتها عن بعد ، فهم يحبونها عن قرب ؛ وإن قل إدراكهم لقوتها عن قرب ، فهم يقدرونها عن بعد ... وكذلك الناس في كل زمان ومكان يختلفون في شخصية العظيم

(١) راجع ص ٢٤

الخطيب



« أيها السادة

صونوا على كر الغداة . ومر العشى هذا الكهف الأمين، وهذا
الحصن الحصين »

هناك فارق فني بين وقوف الرجل في حفل من المحافل ليلقي كلمة
« مناسبة للمقام » كما يقولون ، وبين اعتباره خطيباً يكيف الموقف الذي يقفه
التكييف الحق الذي ينقل به خواطره وإيمانه إلى نفوس السامعين . . . وأنت
تقرأ الخطب لهذا وهذا فترى الفارق واضحاً بين اللهجتين . . . والعبارة التي
قدمنا بها هذا الفصل إليك هي عبارة تلمح فيها لأول وهلة إichاء الخطيب

كان طلعت حرب حين قال هذه العبارة يخطب في حفلة الغرفة التجارية
بالأسكندرية، وكان اليوم من أيام مايو سنة ١٩٣٥ والصيف على الأبواب ،
والناس شاخصة نفوسهم إلى مسرات الصيف . فليس بديعاً من الخطيب
الذى يتحدث عن بنك مصر في سنة ١٩٣٥ أن يكثّر من منطق الأرقام
والأموال وطلعت حرب الذى قال هذه العبارة الراحلة وقال معها
« لا نظن أنكم حين تكبرون هذا البنك تكبرون فيه قوة المال وحدها .
ولا حين تنظرون إليه تنظرون إلى خازن أمين يحفظ الثروة المادية وحدها ،
ولكنكم أ كبر الظن تكبرون فى بنك مصر أيضاً معنى الكرامة والعزة
والرجاء ، وتنظرون إليه نظرة الأمل والوفاء » . . . طلعت حرب هذا قد برهن
على أنه خطيب

لئن لم تكن الخطابة جزءاً من هذه الشخصية العظيمة التى تتكون من
نفسية كبيرة ، وذهنية واسعة ، وآثار عملية خالدة ، لما خسر طلعت شيئاً بصفته
ممولاً ومديراً ، ومنشئاً عملياً كبيراً ؛ لكنه كان يفقد أقوى صلة بينه وبين
المجتمع

لقد كانت الخطابة دائماً عدة القادة والزعماء . فما من زعامة وما من
قيادة إلا والخطابة جزء منها وعليك أن تتصور عمر بن الخطاب أو سعد
زغلول أو نابليون غير خطباء ، ثم تتصور بعدئذ التاريخ الذى لعب فيه
كل منهم دوراً ولقد لعبت الخطابة دورها السحرى فى حياة الشرق
بكل ناحية من نواحي المجتمع إلا ناحية واحدة ، هى ناحية المال — إلى أن
جاءها طلعت ، فأخذها إليه وأصبح بين الممولين « الخطيب » الذى ليس
بعده خطيب

لهذا نرى أن طلعت قد أضاف إلى « الخطابة » شأناً من شئون عظمتها ،
إذ برهن على أن هذه الخطابة التى تغير مجرى العقائد فى الدين والسياسة والعلم .
هى قادرة أيضاً على أن تغير مجرى الحياة فى الصناعة والتجارة والاقتصاد .

وليس شك أن هذا الشأن الجديد الذى أضافه طلعت إلى عظمة الخطابة
يضيف شأناً آخر إلى عظمتها فى شخصه

هذه قضية من القضايا الثقافية ليس ينبغى أن يغمض عنها الباحثون
عيونهم . فكثير من الناس يظنون أن الخطابة شئ يقطع به الناس الوقت فى
الحفلات والاجتماعات . لكن التجربة الطلعتية فى الخطابة تعطينا عكس هذا
الظن تماماً . فلولم تكن الخطب — الجديرة بهذا الاسم — ذات أثر فعال فى
الانتاج لما عمد إليها ، واستعان بها أكبر منتج فى الشرق الأدنى

الناس يحبون المال حباً جماً . لكنهم ، على الرغم من هذا الحب الذى
يرتقى درجات العبادة أحياناً ، لامناص لهم من الروحية الطبيعية فيهم ، التى
تستهويهم إلى المجد والمعانى السامية كلها . و« الخطيب » طلعت حرب لم تفت
عبقريته هذه النظرية فى تكوين الانسان ، قراه حين وقف فى العيد الأكبر
لبنك مصر يخطب فيقول :

« إن أمتنا التى عملت قدماً للخلود ، وكتب لها البقاء فى سجل الأبد
وتاريخ الانسانية طفل وليد — أمتنا هذه ليس كثيراً عليها أن تحفظ على مر
الدهور ، وتعاقب العصور ، هذا البنك الذى ولد ودرج وشب فى حجر نهضتها
المباركة ، لتحتفل بأعياده المختلفة عيداً بعد عيد ،

أرأيت كيف تلتقى المادة بالأدب الرفيع فى خطابة طلعت ؟ ألا إنه
الأديب القديم يبدو فى ثوب الاقتصادى الجديد من حين إلى حين . ولولم
يغدُ طلعت حرب بارادة من عند الله عظيماً من عظماء الاقتصاد ، لكان كبيراً
من رجال الأدب أو من رجال الدين . على أن استعداده الأدبى وما فيه من
سمو الفكر ، واستعداده الدينى وما فيه من سمو الروح — كليهما كانا أداة
هذا الخطيب الاصلاحى الذى جعل من قضية الاستقلال الاقتصادى سبباً
إلى الاصلاح

انظر إليه يقول فى حفلة تكريم عبد اللطيف بك حسنين الذى كرمته

الزقازيق لمبراته وإحسانه « ولست أعرف إذا كان عبد اللطيف بك
يعامل البنوك أو لا يعاملهم ، ويعرف فائدة الايداع أو لا يعرفها ؛ ولكني
أعرف يقيناً أنه كان أمهر من الذين يعاملون البنوك ، لأنه عامل الله سبحانه
وتعالى برعاية الضعفاء والمحرومين ، فكان : كلما زاد من رعايته إياهم ، زاده الله
من نعمائه » (١)

ترى الأدب السليم ، في الذوق السليم ، في الدعوة إلى الاقتصاد ، تتجلى فوق
هذا كله سمة دينية لها روعتها وتأثيرها — ومن هذه العناصر كلها تتألف
شخصية طلعت حرب الخطيب الذي تستكمل العظمة الشخصية بخطابته ناحية
من أعز نواحيها

(١) كوكب الشرق في ١١ من يونية سنة ١٩٣٠

مَدْرَسَةُ طُلُوعِ حَرْبٍ

الأستاذ — أربع حصص في المدرسة — كلمات مأثورة
من طلعت حرب — رأى التلاميذ في أستاذهم

الأستاذ

نشأ «الأستاذ» محمد طلعت حرب أستاذاً بالفطرة والموهبة، ثم زادت الأيام أستاذيته رسوخاً؛ فتعدت هذه المجموعات الصغيرة من الشباب الذين كانوا — في شبابه — يعملون تحت رآسته، إلى هذه الجماهير الصغيرة التي كان يذيع بينها الرسائل والمقالات، ثم إلى هذه المجموعات الكبيرة التي أولاه الله رآستها، فإلى هذه الجماهير الغفيرة التي أصبحت تنشد عنده القول الفصل الحكيم، ثم إلى الأمة كلها، فإلى أمم أخرى تصلها بأمتنا صلات القربى! فضجت ثقافته في ناحيته، فاشتهاها كل طالب ثقافة؛ وصقلت التجارب رأيه، فأصبحت بعض آرائه مبادئ يعتنقها كل طالب نجاح. ومع هذا فهو يعتمد على وحى إلهامه، فكلماته تزم أمراً عظيماً من الأمور، شخص يبصيرته إلى الله؛ فان استجاب له إحساسه أقدم عليه، وإن لم يطاوعه فيه إحساسه نفر منه.

على أن هذه الصفة التوكلية البارزة في شخصية «الأستاذ»، هذه الصفة التي لا يقدرها البعيدون عن جو الجهاد بالآيمان — هذه الصفة هي التي أكسبته حب تلاميذه من جانب، وأكسبته التوفيق من كل جانب؛ فأصبح ما يقول طلعت حرب عمداً أو عفواً، وما يحى به من الأعمال عمداً أو

عفواً — هو أدنى الآراء إلى الصواب ، وأقرب الأعمال إلى النجاح ؛ حتى أصبحت آراؤه الفكرية ، ومبادئه الخلقية والعملية مذاهب اجتماعية واقتصادية يتعصب لها المتعصبون ، ويسترشد بآثارها العاملون

كثير الذين يتعصبون لمذهب طلعت في القول والعمل ، وكثير الذين يترسمون خطاه في العمل والجهاد ، ونبت من كثرتهم جيل جديد تفخر البلاد بانتاجه ، وأصبحت هاتان الكثرتان تؤلفان مدرسة مذهبية عملية ذات طابع طلعتي خاص

نظرة إلى بداية طلعت في الجانب العام من حياته : إلى هذا الشاب الذي يكتب الكتب ، وينشئ الرسائل في الإصلاح ، إلى هذا الرجل الذي يدافع بعلمه وحسابه عن حقوق بلاده ، إلى هذا المجاهد في سبيل الاستقلال الاقتصادي للأمة ولجيران هذه الأمة ، إلى هذا العظيم الذي يجذبه الإصلاح والاحسان في كل ميدان ، فيهرع إليه ، ويلقى في محيط الإصلاح والاحسان بقواه جميعاً ، إلى هذا المنشئ الذي أنشأ المدينة الصناعية المحلية ، واستطاع أن يحيل أقواله أفعالا — نظرة إلى هذا الرجل في أطوار حياته طوراً فطوراً كذلك للوهلة الأولى على أن طلعت الشاب الذي بدأ حياته العامة في خدمة الايمان والعلم والإصلاح ليس مستبعداً أن يكون زعيم مذهب وعميد مدرسة إصلاحية في تاريخ بلاده

غيره من كبار الرجال يقال عنهم شيء من هذا القول بعد أن يكونوا قد كبروا وكبرت أسماؤهم وصفاتهم ؛ أما طلعت الذي هتأ نفسه منذ صباه لأن يكون معلماً من معلمي الشعوب ، وأستاذاً من أساتذة المجتمع — فإن إنتاجه هو الذي خلق اسمه ، وليس اسمه هو الذي صور إنتاجه في خيال الناس . ونحن من أجل هذا نزعم أن « مدرسة طلعت حرب » مدرسة لا تتعلق باسم صاحبها ولا بشخصيته قدر ما تتعلق بإنتاجه في الفكر والارادة والعمل إن أفكاره ومبادئه لتتسرب إلى نفوس مواطنيه فيما يتسرب إليها

من الأفكار والمبادئ منذ الجيل الماضي ، فيتأثرون بها من حيث لا يشعرون .
- شأن أصحاب المدارس الفكرية الاصلاحية في كل زمان وفي كل مكان .
وإن له في تعليم هذه الأمة وتشقيفها منذ شبابه آراء لم تبليها عشرات السنين ،
فها هو ذا طلعت حرب يقول في سنة ١٩٠٠ على صفحات كتابه « تربية
المرأة والحجاب » (١)

« يجب أن ينظر إلى مستقبل المتعلمين ؛ وها نحن نرى الوظائف أصبحت
أضيق أبواب الرزق لهم - فلا بد من مخرج آخر ، وهو لا يكون إلا بالترشيح
للاستقلال في العمل الحر أيًا كان ، ولدينا مجال فسيح لأبنائنا العارفين ، وسجن
ضيق للجاهلين . وإذا وفق الله بعض أسخياء الأمة لإنشاء مدارس صناعية ،
كانت لأبنائها منها حياة جديدة . ولكن النتيجة الحقيقية التي يستلزمها نجاح
التعليم إنما تكون سريعة لو وجدت « إدارة معارف أهلية » تقبض على أزمة
المدارس الأهلية ، وتسير بها في طريق واحدة تضمن لها الغاية التي يطلبها
الجميع . وعسى أن يأتي يوم يسمع فيه هذا النداء ، وتجاب فيه الدعوة ،
وما ذلك على الله بعزيز »

يتحدث طلعت حرب عن الأعمال الحرة في سنة ١٩٠٠ ، فيردد الشعب
صدي حديثه في سنة ١٩٢١ . وقد شاءت إرادة الله أن يكون الرجل الذي
يفتح السبيل أمام الشباب عن وظائف الحكومة إلى الوظائف الحرة هو
طلعت حرب !

ثم يتحدث في سنة ١٩٠٠ عن المدارس الصناعية ، في ذاك الحين الذي
كان المتعلمون فيه لا هم يفكرون في الصناعة ، ولا الصناعة تجذبهم إليها ؛
فيردد المصلحون صدي حديثه في سنة ١٩٢٦ ، حين تأخذ فكرة التعليم
الصناعي في الذيوع والانتشار ، وتنال على ممر السنين إقبالا بعد إقبال من
جمهور المتعلمين الناشئين

ثم يتحدث في سنة ١٩٠٠ عن « إدارة معاهد أهلية » ، في ذاك التاريخ الذى لم تكن فيه المعارف في مصر وزارة ذات شأن خطير ؛ فاذا بالحكومة تنظم نظارة المعارف تنظيمًا وزارياً جديداً ، وتنشئ نظام التفتيش على المدارس الأهلية . وها نحن أولاء — بعد مرور أربع وثلاثين سنة على هذه الدعوة — نرى وزارة المعارف المصرية ، التى أصبحت من أخطر الوزارات شأنًا ، تنشئ « مراقبة للتعليم الأهلي » . ومع هذا كله ، فإن دعوة طلعت إلى إيجاد « إدارة معارف أهلية » ، ما تزال دعوة جديدة تتمشى مع أحدث المبادئ الفكرية في العالم

ذلك أن التعليم الفنى والتعليم العالى بأنواعهما لم يصبحا اليوم من مهام الحكومات في البلاد العظيمة بقدر ما هما من مهام الهيئات الشعبية الوطنية الكبرى . وسوف تظل دعوة طلعت حرب إلى إنشاء « إدارة معارف أهلية » لها هذه الجدة إلى أن تستكمل الأمة المصرية ثقافتها ، وتكون فيها الهيئات الشعبية الكبرى ذات رموس الأموال العظيمة تأخذ بناصية التعليم من يد الحكومة إلى يد الأمة

على أن طلعت لم يكن يوماً ما من أولئك النظريين الذين يقولون ما لا يفعلون ؛ فهو رجل صاحب مدرسة عملية تقوم برامجها على التفكير والتنفيذ معاً . . . وحتى في الشؤون التعليمية التى لم يتفرغ لها بكامل جهوده ، خطا خطوة فعالة في سبيل تنفيذها ، فساهم مع المساهمين في تأسيس الجامعة المصرية « الأهلية » ، التى تأسست وافتتحت سنة ١٩٠٧ ، وكان طلعت حرب عضواً فيها !

أما في الناحية العملية من برامج المدرسة الطلعتية ، فحسبنا أن نسأل عنها أى مصرى حتى يشير إلى معهد الاستقلال الاقتصادى من هذه المدرسة — إلى بنك مصر وشركاته المتتابعة . . . وطلعت حرب نفسه قد تحدث عن مدرسته هذه إلى أبناء الشام في حفلة افتتاح فرع من فروعها « بنك مصر —

سوريا — لبنان، يوم ٣١ أكتوبر سنة ١٩٣٠، فقال :

..... فاننا في مصر لم نتعاون على إنشاء « بنك مصر » لمجرد تداوله أعمال البنوك، بل أنشأنا مدرسة عملية لتدريب المصريين على الأعمال المالية، وتشويقهم إلى مختلف الأعمال الاقتصادية؛ حتى تتفرع عن المدرسة مدارس، وعن العمل الواحد أعمال. ونحن في هذا كله لا نعمل لتحقيق غاية شخصية، حتى ولا نعمل لتحقيق مصلحة المساهمين في ذاتها إلا باعتبارها منسجمة ومتناسقة ومسيرة للخير العام — أى لصالح البلاد..... و « بنك مصر — سوريا — لبنان » مدرسة أخرى أريد بإنشائها تعويد أبناء هذه البلاد على مزاوله الأعمال المالية بنظام ودقة وإتقان »

الواقع أن مدرسة طلعت حرب تغدو جامعة ذات كليات ومعاهد. ولقد أنتجت هذه المدرسة من الأعمال ما لم تنتجه مدرسة عملية في الشرق كله؛ وولدت هذه المدرسة في نفوس الشباب من الآمال ما يحفزهم إلى شق الطرق الجديدة في العمل، وتدير المشروعات الجديدة في الخيال؛ وأخرجت هذه المدرسة من الرجال نوابغ جدداً يعتمد على جهودهم الجليل العملي الجديد، وتنتظر إليهم الأجيال المقبلة نظرتها إلى المثل الصالحة

لكن مدرسة طلعت حرب ما كانت لتتكون هذا التكوين العظيم كله ما لم يكن قد آمن بمبادئها، وروج لبرامجها، واشترك في أداء رسالتها، وعاون على تحقيق فكرتها رجال كبراء لهم قوتهم ومكانتهم، في أنفسهم، وفي أموالهم، وفي بلادهم. وإذا كانت كثرة أولئك الرجال تحول بيننا وبين أن نحصيهم، فإن هناك رجلين كريمين قد تأبط كل منهما ذراعاً من ذراعى طلعت في جهاده، وهما ولا شك: مدحت يكن باشا، والدكتور فؤاد سلطان. وأنت تلمح أثرهما في المدرسة الطلعتية في انتخاب الأول رئيساً دائماً في مجلس إدارات بنك مصر وشركاته جميعاً، وفي انتخاب الثاني عضواً منتدباً دائماً مع طلعت حرب باشا في مجالس إدارات بنك مصر وشركاته جميعاً



المدرسة الطلعتية

مدحت يكن باشا . طلعت حرب باشا . فؤاد سلطان بك

يقولون إن هذه المدرسة الطلعتية يستحق منشئها تمثالا من الذهب ؛
لكمنا نخشى أن نجعل من هذا الاستحقاق اقتراحاً ، فنكون قد انحرفنا عن
مبادئ المدرسة الاقتصادية التي أسسها طلعت نفسه . فنأمل ونؤكد أن الجيل
الجديد سوف يخلد اسم هذه المدرسة بتأسيس كلية جامعية للعلوم الاقتصادية ،
تحمل اسم هذه المدرسة : « مدرسة طلعت حرب »

أربع حصص في المدرسة

تتألف مدرسة طلعت حرب من أفكار ورجال وأعمال؛ فالفكر هو الذى يكون الرجال، ويخلق الأعمال. ولولم يكن طلعت مفكراً عظيماً، لما كان منتجاً عظيماً. ولقد غمرت آثار طلعت العملية أذهان الناس، فشغلتهم عن آثاره الفكرية. ولو راجع الباحثون نظرياته الفكرية لوقفوا منها على عقلية جديرة بهذا الانتاج العملى فى الحياة

اشتغلت ذهنيته بالتربية الفردية، ثم بالتربية الاجتماعية، ثم بالتربية الاستقلالية فى الاقتصاد، ثم بالارشاد العام - وهذه الأوضاع فى اشتغاله الذهنى تدل على أن له ذهنية مرتبة ترتيباً تدريجياً سليماً... وهانحن أولاء هنا نقدم لقرائنا دروساً بليغة موجزة، تمثل تطور عقلية طلعت من رجل يعنى بتكوين الفرد، ثم باسعاد الجماعة، ثم بثروة الأمة. فاذا ما أصبحت يدها نبعا للثروة، وأضحت حياته بركة للبلاد، انتهى إلى تقديم أصدق التجارب فى حديثه إلى الشباب ليكونوا القوة الصالحة لمستقبل الوطن

١ - فى التربية والتعليم

التربية الصحيحة: عرف بعضهم التربية بأنها تنمية أعضاء المولود الحسية، من ابتداء ولادته إلى بلوغه حد الكبر؛ وتنمية روحه بالمعارف الدينية والمعاشية. فهذا انقسمت التربية قسمين: حسية، وهى تربية الجسد؛ ومعنوية، وهى تربية الروح. ومع ذلك فان لتغذية الطفل ثلاثة أنواع من الغذاء مختلفة الموضوع: الأولى، تغذية المراضع للأطفال بالالبان؛ الثانية، تغذيتهم بارشاد المرشد بتأديبه الأولى للأطفال، وتهذيب أخلاقهم، وتعويدهم

على التطبع بالطباع الحميدة والآداب والأخلاق الفاضلة؛ الثالثة، تغذية عقولهم بتعليم المعارف والسمكالات - وهذه وظيفة الأستاذ المربي؛ كما أن ما قبلها وظيفته المرشد المتولى أمر الصبي. فالنسبة بين الرضاع، والتربية الأولية، والتربية الانتهائية - كالنسبة بين المروضع، والمربي، والمرشد، والأستاذ : فكلها أجاد المربي جادت التربية

[تربية المرأة والحجاب — ص ٤٧]

تعلموا وعلّموا الحساب؛ فهو كل المطلوب. فمعظم أسباب فشل كثير من مشروعاتنا، وإفلاس كثير من تجارنا - الطمع وعدم الحساب أولاً، وخرم الحساب يوم الحساب. فعليكم بالحساب؛ فمن حسب كسب. انظروا إلى مبادئ الإسلام، تجدوها تحت على تعلم الحساب؛ ففي أصل الزكاة وما يتفرع منه من تبين أنواع الأموال وما حال عليها الحول منها، ومقدار النصاب الواجب على كل نوع منها، وفرضه على الزائد من المال بعد حجب ما على المالك من دين ونفقة العام المقبل - أمر يوجب عمل ميزانية بما للشخص وما عليه نوعاً نوعاً، لاستخلاص رأس المال الصافي موصحة أبوابه وأنواعه. وعمل ميزانية لمصروفات السنة المقبلة. ولعمري ما علم المحاسبة غير ذلك

[من خطبة له في حفلة الغرفة التجارية ببنى

سويف يوم ١١ سبتمبر سنة ١٩٢٦]

٢ - في الأخلاق والاجتماع

أصبحنا متفانين في استهلاك شرفنا وثروتنا وجسمنا وعقليتنا؛ وكل فرد منا يشكو لأخيه تقهقره وسوء حاله، ويلقى تبعه ذلك على غيره، ولا يدرى أنه أول الناس في إهمال واجبه الأقدس!! وكثيراً ما ترى المتتور منا يصف لك العلاج الشافي وصفاً جيداً، ولكنه لا يجربه لنفسه

[ص ٣٨ - تربية المرأة والحجاب]

إننا لم نقل قط بعدم تغيير عادة يقوم الدليل على بطلانها وعدم صلاحيتها؛ كما أننا لم نقل، ولن نقول، أن كل عادات الفرنج باطلة، أو أنه لا يلزم الأخذ بما يوجد نافعا منها؛ بل قلنا ونقول أنه يجب أن نتخير أحسن العادات وأنفعها وأكثرها ملاءمة لنا ولديننا ولبلادنا، وما نختاره منها يجب حث الأمة على الأخذ به واتباعه — لافرق في ذلك بين ما نتخيره من عاداتنا وما نأخذه من عادات غيرنا»

[ص ٤٧ - فصل الخطاب في المرأة والحجاب]

قد يعترض علينا عالم جنائي، فيقول: أتم تخطئون لأنه حيث يوجد التوازن الاقتصادي يوجد الرخاء؛ وحيث يوجد الرخاء تزيد الشهوات، فتزيد الجرائم. — وجوابنا أن هذا صحيح في الأوساط التي انتزعت من قلوبها الرحمة؛ فقامت البيئة الاجتماعية على الجشع والاستئثار بالرخاء في طبقة، والذل والاستعباد في طبقة أخرى. أما في مصر — والرحمة قائمة في القلوب، ومبادئ الدين الاسلامي تحض على التضامن والمواخاة والعطف والاحسان — فان الرخاء الناشئ عن التوازن قائم وسط بيئة أخلاقية رحيمة تؤاخي بين الناس ولا تثير العدا، فيقل فيها الاجرام ولا يزيد

[من خطابه في افتتاح فرع بنك مصر بالحلّة الكبرى في ١٤ سبتمبر سنة ١٩٢٤]

٣ - في الاقتصاد الوطني

نحن، في هذه الدار وفي التي قبلها، لا نستغلّ المال حباً فيه؛ فاننا لسنا من عباده أو ممن يتعلقون بنواصيه؛ إنما نحن نعرف أن المال قوة في هذا العالم؛

وأنه كما يكون قوة للشر في أيدي الأشرار ، يكون قوة للخير في أيدي الأخيار

[من خطابه في حفلة افتتاح دار بنك مصر
الحديثة يوم ٥ يونيه سنة ١٩٢٧]

نقص إيراد البلاد بمثل هذا المقدار من شأنه أن يؤدي حتماً إلى حرمان المزارعين من المال اللازم لتمكينهم بسهولة من دفع ما عليهم من ديون وضرائب ، ومن القيام بنفقات الزراعة وتكاليف الحياة العائلية ، كما يؤدي إلى ضعف عام في قوة المعاملات ، وتقليل من مجموع حركاتها في مختلف وجوه الحياة الاقتصادية . وبعبارة أخرى ، إلى ضعف قوة الشراء في البلاد ، خصوصاً وأن أربعة أخماس السكان من المزارعين ، أي المصايين مباشرة بأضرار الهبوط في أسعار القطن ؛ وهم كغيرهم إذا نقصت مواردهم ، قلت بمقدار نقصها قدرتهم على الشراء . ومتى قلت قوة الشراء من جانب هذا المجموع الهائل من السكان ، زادت التجارة المحلية تأثراً بالكساد الذي تتعثر في أذياله منذ شهور ، وقل استيراد البضائع ، ونقصت إيرادات الجمارك تبعاً لقلّة الاستيراد ، ونقصت بالتالي لهذا ولغيره من أسباب الكساد العام موارد الخزانة العامة . لهذا كان الهبوط في أسعار القطن وما يهتمل أن يترتب عليه من نتائج خطيرة ، مسألة عامة مهمة — لا تعنى المزارعين وحدهم ، بل تعنى طبقات الأمة كلها ، وتعنى الحكومة على السواء

[من خطابه في أسبوط لمناسبة افتتاح فرع
بنك مصر بها في ٦ أكتوبر سنة ١٩٣٠]

الكألى من المصروف هو أول أنواع النفقات التى يتحتم على كل فرد منا أن يحاربه حرباً عنيفة . ولنتشدد غاية التشدد فى تقدير ما هو كألى ، وما هو ضرورى ؛ فقد تساهلنا كثيراً فى هذا ، واعتبرنا كثيراً من

الكفايات ضروريات . ولنتشدد في نفس الضروريات ، فنقدم الأهم منها على
المهم تبعاً لقدرة الفرد

[من نفس الخطاب السابق]

إحساس المنفعة الذاتية إحساس طبيعي آخر ، لا يمكن نكرانه ، ولا
يصح إغفاله بأي حال من الأحوال . وهو يقضى على أرباب الصناعات
المصرية ألا يعتمدوا على إحساس الوطنية وحده ، حتى يستعيز المصريون
عن المصنوعات الأجنبية بمصنوعاتهم ، ويقللوا ما استطاعوا من تكاليفها ،
حتى يستطيعوا أن يصنعوا مثل ما يرد من الخارج أو أحسن منه بسعر
مماثل له أو أقل منه

[من حديث له بجريدة المساء في ٧ مارس
سنة ١٩٣١]

إذا قدرت قيمة الأراضي المصرية الزراعية بـ ٦٠٠.٠٠٠.٠٠٠ جنيه
مصرى (حسب تقدير عام ١٩٢٨) ، فإن مقدار ما كان عليها من الرهون في
سنة ١٩٣٠ (بما في ذلك القروض على المنازل) قد بلغ ٣٢.٠٠٠.٠٠٠ جنيه
مصرى ، ومبلغ ١٦.٠٠٠.٠٠٠ جنيه مصرى من الرهنيات المتجمعة التي سدت
منذ الحرب . ويبلغ ديننا اليوم على الأراضي والمنازل نحو ٣٠.٠٠٠.٠٠٠ جنيه؛
وهو دين لا يعد كبيراً إذا راعينا ارتفاع مجموع قيمة أراضينا

[من مقال عن الحالة المالية في مصر بجريدة
الفينانشيال تيمز في ٧ نوفمبر سنة ١٩٣١]

٤ - إلى الشباب

أيها الشباب ، شباب مصر الناهض :

إن صدقي^(١) مثل للرجولة جدير أن تحذوه . وما الرجولة إلا بالاعتماد

(١) الطيار محمد صدق

على النفس ، ومغالبة الصعاب ، واقتحام الأخطار ، والفوز بالغايات النبيلة
وأشرف الغايات وأنبلها قصداً ما بنيت على الايثار ، ونكران الذات ،
وتقديم النفع العام على النفع الخاص ، والتذرع بالكفاية وحسن التدبير
والصبر الجميل فى تشييد العوامل الفعالة فى ترقية المجموع ورفع الوطن

[من كلمة له بحفلة تكريم الطيار صدق
٣٠ يناير سنة ١٩٣٠]

نعم إنه يكون من الشاق على الطالب الأجنبي فى هذه المدينة الهائجة
المملوءة بدواعى اللهو والمسرات أن يضغط على شبابه ، ويقاوم فى هذا الوسط
الجذاب أسباب الخلاعة المحيطة به . وإنى لا أستطيع أن أقسو على الشباب
فأتجاهل طبيعته ، أو أنكر حقه فى اللهو وانسراح النفس والحبور : ولكن
هناك هو - كما يقول أهل هذه البلاد - وهو . هناك هو مصحوب باحترام
النفس ، والقدرة على ضبطها ، والحذر من ابتذال الكرامة ، والحرص من
الوقوع فى أى سبب من أسباب المكروه الأدبية أو الخلقية أو الصحية ؛
وهناك هو آخر ينحدر به الانسان إلى بخس النفس قدرها ، بالضعف عن
كبح جماحها ؛ وإلى تضييع الكرامة والتخبط فى ظلمات مكروه . وبين هـذا
اللهو وذاك فرق شاسع . على أن للهو البرىء ساعة ، وللجد فى تحصيل العلوم
ساعات . والعامل الفائز من عرف كيف يعتدل فى حياته : فلا تفريط فى
الجد ، ولا إفراط فى اللهو »

[من خطابه بباريس فى حفلة الطلبة المصريين
لتكريمه فى ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٣٥]

نريد إذن عقلية مصرية متشابهة فى سموها مع أسمى الأمم ثقافة ؛
ونريدها عقلية مصرية مستقلة ، عقلية هى وليدة ماضينا الذى لا مفر عن
الخروج من تأثيره فينا ، ووليدة حاضرنا الذى نسعى إلى أن نربطه بماضينا ، كما

نسعى أن نقوده ونسيره إلى مستقبل حسن . والمستقبل وإن يكن بيد الله ، إلا أنه إلى درجة ما بيد القوم ؛ « ولا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

[من نفس الخطاب السابق]

إنه من الخير ، بل هو الخير كله ، لو يستطيع الشباب أن يتغلب —
ما وسعه الجهد — على غلوّ الشباب وزهو الشباب ؛ فإن أكبر أسباب
الفشل راجع إلى الغلوّ والزهو ، وإلى ظن الشباب وزعمه أنه قادر على كل
عمل ، وإلى الاغارة على اختصاص غيره ، وتجاهل قدره . كما يرجع كذلك
إلى استنكافه وخجله وترفعه عن — مزاولة الصغير أو الحقير من الأعمال ،
وإن كان شريفاً

[من خطابه في العراق في أبريل سنة ١٩٣٦]

إن الشباب وحده ليس مسؤولاً عن وديعة الأوطان ، ولكن الكحول
والشيوخ مسؤولون عن التوجيه الصحيح ، والقذوة الحسنة ، والخطة السليمة ،
والمثل العليا التي يستوحىها الشباب من تجارب الذين سبقوه والذين فتحوا له
باب الحياة

[من نفس خطبته في العراق ، في أبريل سنة ١٩٣٦]

كلمات مأثورة

من طلعت حرب

الحديث إلى الشباب يحفز الهمم ، ويجدد العزائم ، ويجب
الحياة إلى أهل الحياة

الحرية التي تقتل العصمة شر من الحجاب

لتكن لنا قوة من العلم وقوة من المال ✓

الاحسان المنظم أعظم مفخرة يمكن أن يصل إليها مجتمع
بشرى . وخير الاحسان المنظم ما قام به المجموع كواجب عام ،
مع بقاء الباب مفتوحاً لمجهود الجماعات والأفراد ✓

كيف ينال السعادة من خص نفسه بالمحبة ، ولم يجعل
لأخيه قدر حبه ؟ !

الحظ في الرياضة ، وفي الأعمال ، وفي الحياة ، عامل مهم
من عوامل النجاح

من حسب كسب ✓

رأى التلاميذ في أستاذهم

ذات مرة ، قررت إدارة الجامعة المصرية أن تنتظم دراسة الطلبة في يوم معين ، سنسميه يوم الخميس ؛ وقررت جموع الطلبة الشائرة ألا تنتظم دراستهم إلا في يوم معين آخر ، سنسميه يوم السبت . وسامل أحد الأساتذة عميد إحدى الكليات : « متى تبدأ الدراسة فعلاً ، فأجاب من فوره : « يوم السبت طبعاً ! »

التلاميذ في المدارس هم أخطر العناصر ؛ ويبدو خطرهم واضحاً في الجامعات الأوربية الحرة ، حيث لا تستطيع الجامعة أن تنصب في كرسى الأستاذية أستاذاً يعلم الطلبة ، وهم غير راضين عنه تماماً . وفي كل مدرسة ، وفي كل زمان ومكان ، يوجد الأساتذة الذين يعجب بهم التلاميذ ، فيتأثرون بآثارهم ؛ والأساتذة الذين لا يعجب التلاميذ بهم ، فلا يكون لهم أثر في نفوسهم ، بل لا يعتبر الطلبة أنفسهم تلاميذ لأولئك الأساتذة !

فاذا نقلنا هذه الأوضاع النفسية الاجتماعية من المدارس التعليمية النظامية إلى المدارس الفكرية الإيحائية ، لوجدنا أن صاحب المدرسة الطلعية هو أحد الزعماء القلائل الذين تسلم كل منهم زمام ركن من أركان نفسية الشباب المصرى . ويزيد في تقدير التلاميذ لطلعت الأستاذ ، أنه ما شغلهم بنفسه وشخصيته عن عمله وإنتاجه ؛ فهو دائماً يتكلم باسم العمل ، وباسم شركائه في العمل : لا يبحث من أحد شيئاً ، ولا يبحث في شيء أحداً ؛ بل لقد استطاع أن يضبط أهواء نفسه ، وأن يظهر — حتى بعد هذا كله الذى أدركه وحصله — مظهر الزاهد في صفات الزعامة والإدارة كلها . وهو الذى قال وكرر في حفلة افتتاح بنك مصر سنة ١٩٢٠ ، وفي حفلة عيدهِ الأ كبر سنة ١٩٣٥

«... إننا على استعداد دائماً للتخلي عن العضوية والادارة لكل مصرى كفاء يتقدم لحمل الأمانة ، مع حسن النية فى كل عمل يأتية»
هذا كله ، وما إلى هذا كله ، هو الذى ارتفع بنسبة تقدير تلاميذ طلعت
لأستاذهم... ومن هم تلاميذ طلعت ؟... هم قادة الشباب فى كل ميدان من
ميادين الانتاج ، بل هم أساتذة الأجيال الناشئة فى ساحة التربية الاستقلالية
الحقة... وما هذا الكتاب إلا هدية وهدى للجيل الجديد ، وآية تقدير من
ثلاثة تلاميذ فى المدرسة الطلعتية لأستاذهم
لقد أخرجنا هذا الكتاب فى شهر ، لكن الفكرة التقديرية التى
دفعتنا إليه كانت تتولد وتختمر فى خواطرنا منذ سنين ، لهذا فقد جعلنا خاتمة
كتابنا ثلاث مقالات لثلاثتنا :

الأولى : محمد طلعت حرب لحافظ محمود

الثانية : محمد طلعت حرب الفنان لمصطفى كامل الفلكى

الثالثة : فى أثر طلعت حرب لمحمود فتحى عمر

فهذه المقالات الثلاث — التى نشرت أولها فى منتصف سنة ١٩٣١ ،
ونشرت ثانیتها فى أوائل سنة ١٩٣٦ ، وقيلت ثالثها فى أوائل سنة ١٩٣٤ —
هى النماذج المحبوبة من رأى التلاميذ فى أستاذهم

محمد طلعت حرب

بقلم الأستاذ حافظ محمود^(١)

ليس ضرورياً أن تقابل طلعت حرب باشا لتشبع نفسك من مطالعة وجه هذا العقل الجبار الذى استطاع أن يحتفظ لوجه الكرامة المصرية بالحياة . فأنت تستطيع أن تقف فى شارع عماد الدين ، أمام هذا البناء الشامخ الذى يعرفه المصريون جميعاً ، قدشهد فى تقاسيمه الفسيحة وجه طلعت حرب . وأنت تستطيع أن تدخل ساحة هذا البنك الذى يعرفه المصريون جميعاً ، وترى الحركة العظيمة القائمة ، فتحس هناك بنشاط قلب طلعت حرب . ثم أنت تستطيع أن تراجع أى حساب فى أية شركة من الشركات التى خلقها بنك مصر ، وحين تأخذك فيه الدقة المخلصة ، تدرك من تلقاء نفسك شيئاً من تفكير طلعت حرب

لست أعرف الألفاظ التى يعدها الناس عادة على أمثال المنقذ الاقتصادى الكبير ، لكننى أعرف جيداً من معانى هذه الألفاظ ما ليس أقل من أنتى الآن أتحدث عن رجل لا شبيه له فى التاريخ الحديث لنصف العالم الشرقى . ولست أعرف الأدوار التى تقلب فيها بالذات ، فكنت أستطيع أن أترجم له ترجمة تاريخية وافية ؛ لكننى أعرف جيداً أنه نشأ رجلاً ، وعاش ، وسيعيش طول حياته يحمل فى تاريخ هذه الحياة نموذجاً من الرجولة الممتازة التى هى فى حياة الأمم نبع سعادة ورخاء

بدأ حياته العامة أديباً ، أو كأنه كان أديباً ؛ وفى هذه المقدمة عزاء لأدباء مصر أن يكونوا فى مستقبل حياتهم هكذا منتجين . على أنه كان هذا الأديب

(١) المجلة الجديدة ، عدد يونيو سنة ١٩٣١ ص (٩١٥—٩١٩)

الذى يتمثل له مثلاً عالياً ينشده ويسعى إليه بقلبه وقلبه وجهوده جميعاً . وأنت حين تذكر أن المثل العليا للعقول العظيمة كانت كلها مثلاً غايتها سعادة الانسانية فى أى شكل من أشكال السعادة ، ورخاء المجتمع فى أية صورة من صور الرخاء — تستطيع أن تعرف من غير تمهيد ، ومن غير مقدمات مسبقة ، كيف اتجه طلعت حرب فى حياة مصر هذا المتجه الذهبى الخالد

كان يعالج بقلبه فى المجتمع المصرى علله التى لا يزال الكتاب صارفين حياتهم وجهودهم فى علاجها ، لكنه كان يعالج العلل الاجتماعية فى أسلوبه الأدبى على طريقة العالم المنقب ، حتى هداه التنقيب إلى الاكتشاف العظيم ، وهذا الاكتشاف — أو المكتشف كما يقولون — هو حاجة الأمة إلى بنك وطنى خالص ، يغذى حاجة المجتمع المصرى من ألوان الحياة الاقتصادية . وكأن هذا الاكتشاف كان عند المنقذ الاقتصادى الكبير وحيأ يحسه ولا يكاد يدرك كنهه تماماً . فبدأ يدعو إلى إنقاذ الفلاح المصرى من إرهاب البنوك الأجنبية وعسفها ، ثم أخذ ينادى باجماع كلمة المصريين ، ذوى الأموال منهم ، على أى مشروع ينهض برغبة هذا الفلاح المسكين من غير عسف ولا إرهاب . حتى إذا ما كان المؤتمر المصرى الذى عقد سنة ١٩١١ ، ورأى طلعت حرب أن الأفكار تهيأت لقبول مقترح جديد ، نادى بإنشاء « بنك المصريين » . وكانت هى الصيحة الأولى فى تاريخ « بنك مصر » العظيم ، وما لبث أن ردد هذه الصيحة العظيمة فى رسالته الخالدة التى وضعها تحت عنوان « علاج مصر الاقتصادية وإنشاء بنك للمصريين »

« إن مطالبنا متواضعة ، فنحن نريد أن نعيش مع الآخرين كما يعيش الآخرون » . — هذه الكلمة من كلمات طلعت حرب قالها منذ ثمانى عشرة سنة تقريباً . وهى كلمة تحمل فى تضاعيفها الغاية التى تمثلها هذا الرجل من زمن غير قريب ، وتعطينا صورة من هذه النفسية التى تشور فى هدوء رائع . ومع

أن هذه الكلمة البسيطة قد لا تصلح عنواناً لمبدأ من المبادئ المحدودة؛ ومع أنها قد تكون من أكثر الكلمات تسرباً إلى معان كثيرة مختلفة، إلا أنها تدل دلالة قوية على أن « طلعت حرب » قبل أن يكون عمدة بنك مصر ومدير بنك مصر — قبل أن يكون لهذا البنك قوام في الوجود — كان ذا قلب اتسع لآمال أمة؛ وأخذ هذا القلب الكبير يصور هذه الآمال صوراً متشاكلة؛ وهو مازال بهذه الصور يتعمدها منطقته بعالي التهذيب يوماً بعد يوم، وسنة بعد سنة، حتى خرجت منها هذه الصورة الحية التي نستطيع أن نشهدها كل يوم في البنك المصرى الخالد الذى يمثل الناحية الذهبية في حياة الوطن

« بنك مصر » و « طلعت حرب » اسمان أصبح كل منهما يدل على الثانى دلالة قوية واضحة. ومع ما فى هذه الدلالة من مجد وفخار لطلعت حرب، فأنا أعتقد أن فيها شيئاً من الغبن أكثر من قليل. ذلك أن طلعت حرب شيء أكبر من أن يكون عمدة أو مدير بنك مصر فحسب. ولو أن بنك مصر لم يبعث فى الحياة المصرية فى هذا العهد كماثرة خالدة من مآثر الجيل الحاضر، لما عاش هذا الرجل مغموراً فى يوم من الأيام. وما طلعت حرب إلا قوة فى الذخائر المعنوية للوطن، من هذه القوى التى يوجهها القدر أى اتجاه يشاء، لكنها فى أى متجه تكون لا بد أن تثمر، وأن تملأ الدنيا فيما حولها من الوجود خيراً وبركات

إننى أكتب هذا الذى أقول فى لهجة غير اللهجة التى اعتاد أن يصوغها الذين يكتبون حول كل من عظم اسمه واشتهر. فأنا إنما أكتب هذا الذى أقوله لأننى أعتقد أنه الحق المحدود الذى لا نقص فيه ولا زيادة أيضاً

فطلعت حرب رجل من الرجال الذين تهمهم الحياة بجلائل الهموم: رجل لا تتحرك نفسه بآمال فرد، ولا يفكر إلا بخواطر عدة أفراد — إنما يهتم الاهتمام كله بحاجات أمة كاملة. وسواء هيأته المقادير لأن يخطو بهذه الرغبات خطوات التحقيق عن طريق بنك أو شركة ما، تجارية أو صناعية؛

فهو ، قبل هذا كله ، وبعد هذا كله ، الرجل الذى تتسرب حياته الخاصة فى نواحي الحياة العامة كلها ، لتكون ينبوع ثروة معنوية حيناً ، وثروة مادية حيناً . وأنت تستطيع أن تتبين هذه الناحية من طلعت حرب حين تقرأ له هذه الكلمات التى قالها فى حفلة تكريم سعد زغلول :

« لئن كنا غير أكفاء لحكومة بلادنا ، فإن المهيمين على أمورنا وشؤوننا أظهروا بتصرفاتهم أنهم أقل منا بكثير ، لأنهم لم ينجحوا فى أن يذهبوا عنا تهمة عدم الكفاءة التى هم أول من رمونا بها ... أمامكم أمم العالم ؛ فهل رأيتم أمة من بينها تترك للصدقة حبلها على غاربها فى شؤونها الاقتصادية ، لا رأى لها فى الذب عن مصالحها ؛ وتترك طعمة للآكلين ، ومضغة لكل ماضغ ؟ أين الغرف التجارية التى أسسوها أو ساعدوها ؟ أين النقابات الزراعية والصناعية التى نظموها ؟ أين البنوك والشركات المصرية التى عملوا على إيجادها ؟ أين التشريع الذى يبقى للمصريين ويحمى مصنوعاتهم ومحاصيلهم ؟ .. تركوا المصريين عزلاً من كل سلاح بين منافسين ومزاحمين مدججين بأحسن طراز من الأسلحة الحديثة ؛ وبعد ذلك يعتبروننا لا نصلح لشيء لأننا لم نعمل شيئاً ! وهم هم الذين لم يؤهلونا للعمل ؛ بل أفسدت السياسة ما كان صالحاً لدينا ؛ فلم يشجعوا شيئاً من الصناعة الوطنية ؛ بل لعلمهم وقفوا فى طريقها وقفه المدافع عن مصنوعات الخارج ،

منطق فى السياسة التى أذلت المعنوية بمصر فيما حوالى الحرب الكبرى الماضية ، وفيما تلا هذه الحرب من عهد الحكم الأجنبي الغشوم ، لا يتوافر إلا لعقل زعيم مهموم بشئون أمة . ويزيد فى قيمة هذا المنطق — حين تعرف أن هذه الكلمات إنما قيلت فى أوائل سنة ١٩٢١ — أنه مفصل تفصيلاً دقيقاً حسب الرغائب القومية التى كانت الحياة المصرية مهيئة الحاجة إليها : إلى بثها فى النفس المصرية كارادة ، ثم إلى استحالة هذه الإرادة إلى قوة تنفيذية تنقذ الوطن من شر ما حشدته السياسة المغرضة فى طريق التقدم المصرى من عراقيل

هل تحقق الأيام غاية طلعت حرب ، فنتبوا مكاناً تحت الشمس ،
ونعيش مع الآخرين ، كما يعيش الآخرون ؟ . . . لكن ما لطلعت حرب
والأيام ينتظرها أو يترقب ظروفها ؟ ! إنه هو الذى يخلق هذه الظروف ،
فيسابق الأيام إلى تحقيق الغاية القومية التى ينشدها . فى الوقت الذى اطمأن
فيه كثير من الممولين إلى البنوك الأجنبية ، يودعون فيها أموالهم ويحرصون
الحرض كله على أن تبقى ثرواتهم محترنة عند هذه البنوك — هب طلعت حرب
فى فئة قليلة من أولئك الممولين بمشروع البنك الذى أنشأه فكرة ، ورعاه
خاطراً — عذباً يسرى من رأسه إلى نفوس الآخرين من المخلصين لبلادهم ،
يستوحهم معنى الاقدام . حتى خرج المشروع إلى ظاهر الحياة ، وأصبح أثراً
مادياً يزداد ضخامة فى كل يوم عن سابق الأيام . وها هو ذا البنك الناشئ
يملاً الحياة الاقتصادية فى مصر عنفواناً وعزة ، وها هو ذا يتطور كل يوم
نحو كمال الغاية التى نشدها طلعت حرب ، فيتحول من بنك عادى للعمليات
إلى معهد عظيم يتلقى فيه المصريون دروس الاستقلال الاقتصادى دروساً
عملية ذات أثر سريع مباشر

فى كل سنة شركة جديدة ، وفى كل سنة فرع جديد ، وفى كل سنة مشروع
يتصل بصميم الحياة المصرية يخرج رأس المنقذ الاقتصادى الكبير . وهكذا
يحيا طلعت حرب فى مشاريعه حياة قائد عظيم من قادة السلم ، يرسم الخطط
ويقىس الأحوال بمقاييس المنفعة القومية التى تنفع أمة بأكملها . وأنت تستطيع
أن تكشف عن هذه القيادة السلمية النبيلة حين تقرأ طلعت حرب يخاطب
المحليين فى حفلة افتتاح فرع بنك مصر بالمحلة الكبرى سنة ١٩٢٤ يقول :

« أنتج التوازن فى مدينتكم زيادة الشوق إلى العرفان ، والاقبال على
التعليم ، بدليل أن الملمين بالقراءة والكتابة فى المحلة الكبرى يبلغون ٨٤
فى الألف ، فى حين أنهم لا يزيدون فى مجموع بلاد القطر عن ٦٨ فى الألف ،
وهم فى بقية جهات مركز المحلة الكبرى التى جمدت على الزراعة وحدها يبلغون

٤١ في الألف ؛ وفي نفس مديرية الغربية في عموم متوسطها يبلغون ٦٠ في الألف : فمدينة المحلة الكبرى تسبق في هذا الباب المتوسط العام للقطر المصري ومديرية الغربية»

فأنت حين تقرأ هذه العبارات المعززة بالأرقام التي تدور حول الحركة التهديدية البحتة في حياة مدينة واحدة من المدن المصرية ، تشعر بناحية الاتجاه في نفس طلعت حرب اتجاهاً قومياً خالصاً يتعلق بالمصلحة العامة وحدها ، وليس المال في هذا الاتجاه إلا وسيلة تتوسل بها مشروعات المنقذ الاقتصادي الكبير إلى الغاية التي تمثلتها نفسه في قوله : « إننا نريد أن نعيش مع الآخرين كما يعيش الآخرون » ولعل أبلغ ما يقال من المعاني في عظمة طلعت حرب أنه تقمص روح الاقتصاد في مصر تقمصاً عبقرياً نادر الوجود ، حيث أصبحت خواجه نفسه كلها متأثرة بهذه الروح ، وحيث استولد من وحي قلبه شيئاً أستطيع أن أسميه « حاسة الاقتصاد » . فهو يكاد لا يلبس ولا ينظر ولا يحس الأشياء إلا بهذه الحاسة الفذة التي هي الدليل المادي الحى القائم على عظمة طلعت حرب . فأنت تراه ، بعد أن يحدث سكان المحلة الكبرى عن أثر التوازن الاقتصادي في حياة مدينتهم ، يعود فيقول لهم عن « المحلة » متأثر العاطفة بهذه الحاسة الدقيقة :

« إنكم تحبونها كوطن صغير لكم ، وأنا أحبها كبيتة من أحسن البيئات استعداداً لصناعات الغزل والنساجة الكبرى » . وليس في تاريخ المجد ولا في تاريخ النجاح إحساس يفوق هذا الإحساس الذي يوحد عواطف طلعت حرب ويلخصها في شعور واحد ، هو الشعور بحاجات بلاده الاقتصادية ، بحيث يصدق حبه على كل بيئة تسد فراغاً في هذه الحاجات وإن هذه الفقرات كلها لها صورة تقرينية تجب إلينا طلعت حرب حباً يتعدى الفائدة التي تستفيد منها أشخاصنا من بنك مصر ، ومشروعات بنك مصر ، إلى أعماق أسباب التقدير الذي يستحقه رجل عظيم ، ليس لشيء إلا أنه يعيش في أمته عظيماً

ما فظ محمود

محمد طلعت حرب الفنان

بقلم مصطفى كامل الفلكي^(١)

في مقالة سابقة بجريدة البلاغ كشفنا عن ناحية ناصعة من نواحي طلعت حرب ، ألا وهي « الأديب المصلح » . وهانحن أولاء نكتب اليوم عن صفحة جديدة مشرقة من حياة طلعت حرب الخالدة ، وعن ناحية أخرى من نواحي عبقريته الفذة ، ألا وهي شخصيته الفنانة . فقد ملك عنان الفن ، كما دانت له من قبل مملكة المال

الفن في حياته الخاصة :

إذا أتاحت لك الفرصة الذهبية أن تزور غرفة ذلك الرجل العظيم في بناء بنك مصر الشامخ ، فستجد عجباً ! ستجد حجرة مزينة على الطراز العربي البديع ، فرشت أرضها ببساط من زهر زاه يسر الناظرين . فإذا أنت أدرت ناظريك إلى أعلى ، راعك نقش عربي . فإذا أنت تقدمت في الغرفة قليلاً ، وجدت رجلاً مستقراً على مكتبه في سكون الفنان ، وروح صافية تنسجم مع ذلك الجمال الشرقي البديع هذا فنه يحيط به في عمله ..

أما بيته فهو بيت الفنان : يطالعك الفن الرائع في كل ناحية من نواحيه . فهذه حجرة كل ما فيها جميل ، وهذه ردهة قد أثنت بالرياش الثمين . فإذا أنت وقفت بناظريك هنا وهناك ، وجدت تنسيقاً بديعاً ، ورسوماً جميلة ، تشهد لذلك الرجل العظيم بالذوق الفني الرفيع

(١) نشرت بجريدة البلاغ في عددي ١٢ و ١٣ مايو سنة ١٩٣٦

الفن في حياته العملية :

من أهم أركان الفن التناسق والانسجام ، فاذا نظرنا إلى منشآت بنك مصر وشركاته ، وجدنا أثر هذا التناسق بينا : فهي تؤلف وحدة فنية لاشذوذ فيها ، بل فيها توافق وارتباط

هذه شركة لحليج القطن ، توازرها شركة لنقله في النيل ، إلى شركة ثالثة لغزله ونسجه ، إلى شركة رابعة لتصديره إلى الخارج — كلها سلسلة واحدة في ناحية واحدة من نواحي الإنتاج الصناعي

وهذه شركة نسج القطن ، ترسل إنتاجها إلى شركة يبيع المصنوعات المصرية ، وهذه الأخرى تستغل في مطبوعاتها إنتاج شركة أخرى ، هي شركة مطبعة مصر . وهذه شركة مصر للتمثيل والسينما تتم هذا التناسق ، فتعلن مجهودات العاملين

وليس من الممكن تصوير هذا التناسق بمقدار ما صوره هذا الرجل الفنان في خطبته الخالدة يوم الاحتفال بمرور خمسة عشر عاماً على تأسيس بنك مصر . قال :

« أيها السادة : لعلكم لاحظتم ونحن نسرّد لكم شركات مصر أن هذه الشركات تكون حلقات متصلاً بعضها ببعض ، دون أن يكون تأسيسها اعتباراً . فالمطبعة ، والمكتبة ، والشركة المساهمة المصرية لصناعة الورق — حلقة » وللقطن حلقة تتمثل في الحليج والنقل والتصدير والتأمين والغزل والنسيج . ويتصل بحلقة القطن أيضاً ، حلقات الحرير والكتان

« ومن النقل تكونت حلقة بين النقل في النهر والنقل في البحر والنقل في الجو ، كما اتصل بهذه الحلقة مسألة السياحة ، ومن اتصالنا بالبحر نشأت حلقة أخرى هي حلقة السمك وما خرج منها من صناعة أزرار الصدف

ثم الحلقة التي تربط جميع الحلقات ، وتذيع عنها كل ماتهم إذاعته ،
ونعني بها حلقة السينما والدعاية لها »

وليس هذا فحسب ، بل إن هذا الانسجام ليتضح جلياً في العقد
الانشائي لبنك مصر حين اشترط في مالكي أسهمه أن يكونوا من بيئة
تفكيرية واحدة ، هي المصرية الصميمة حتى تتم على البنك نعمة الانسجام
والتناسق ، والسعى الموحد ، للغاية السامية ، والفكرة العالية ، ألا وهي
استقلال مصر استقلالاً اقتصادياً تاماً

ولقد كان طلعت حرب صريحاً في طلبه الانسجام والتوافق ، في خطبته
التي ألقاها في ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٢٥ ، في حفلة التكريم التي أقامتها الجمعية
المصرية في باريس له ، حين قال :

« نريد إذن عقلية مصرية متشابهة في سموها مع أسمى الأمم ثقافة ،
ونريدها عقلية مصرية مستقلة ، عقلية هي وليدة ماضينا الذي لا مفر من
الخروج من تأثيره فينا ، ووليدة حاضرنا ، نسعى إلى ربطه بماضينا كما نسعى
أن نقوده ونسيره إلى مستقبل حسن . والمستقبل وإن يكن بيد الله إلا أنه
إلى درجة ما بيد القوم . ولا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

روح الفن الثائرة :

وليس التناسق والانسجام هو الصفة الوحيدة في نفس طلعت حرب
الفنان ، بل هناك الناحية الكبرى التي تمتلك نفس كل فنان ، ألا وهي شعلة
الفن الثائرة في روح الفنان المجيد

ثار طلعت لأمتها ، وثار حميته لوطنه ، حتى إذا كانت الثورة الوطنية
العظمى ، وقامت مصر شبيهاً وشباناً يعملون لمجد الوطن ، فاذا بذلك الرجل
العظيم يتقدم في الميدان ، بمقدرة مالية يتوجها حزم أكيد ، فيبني مؤسسة
بسيطة ، يخفق لها قلب مصر ، ويدعو لها المصريون جميعاً بالنجاح والازدهار

قالوا : سيفشل بنك مصر ... فردت عليهم روح طلعت الفنان الثائر ..

بل سينجح بنك مصر

قالوا : إن اللغة العربية لا تصلح لإدارة الأعمال المالية ... فرد عليهم

في ثورة الفنان : بل ستصلح رغم أنف الحاسدين

وهكذا نجح بنك مصر بفضل مقدرة طلعت المالية وروحه الفنية

الفنانه والمفاجآت :

من طبيعة الفنان أن يفاجئ الجمهور بين حين وآخر بشيء رائع يستره حيناً عنه ، حتى إذا ما أزاح الستار ، استخف الطرب المشاهدين فراحوا يلهجون عليه بالثناء ، وعلى صاحبه بالمدح الجميل

وهكذا خبا حسن القدر لمصر ، طلعت حرب ، فناناً ، يفاجئها بين الفينة والفينة بأموار جلائل ، فاذا مصر كلها أبصار تنو إلى ما أبدع ، ثم طالع به الناس الله يعلم وحده كم خفق فؤاد مصر ، وكم عمها السرور ، حين رأت بنك مصر يترك داره الأولى التي كانت رغم صغرها لا يملكها بل يستأجرها ... إلى داره الجديدة ، وإنها لصرح عظيم ، زينه الفن وزخرفه وخلع عليه من الرواء ثوباً عجيباً . أما مجد البناء الأشم ، فذلك وحي من عظمة طلعت حرب ؛ وأما روعة الزخرف وسحر التناسق ، فتلك نفحات من مزاج طلعت الفنان — « وإني مهيء لكم مفاجأة عما قريب ... »

ذلك ما قاله طلعت للصحفيين منذ شهر وقليل ، وجاء اليوم الموعد ، وخف ممثلوا الصحافة ليروا ... « ما تلك مفاجأتك يا طلعت ... !! » قيل : « توسطوا الردهة ... وما خطوا ليتوسطوا الردهة حتى بهرهم إعجاب شديد ، وهزهم سحر المفاجأة !! »

أهي العصا السحرية في يد طلعت ؟ أم هو فيض فنه يجعل الردهة الزاهية تتضاعف في لمحة واحدة ؟ ؟

والبريق والعظمة اللذان كانا يكسوان الردهة حينما كانت ظلًا هما بل
زادا بعد ما انبسطت الردهة

وكان افتتاح ستوديو مصر مفاجأة. فهناك وسط شارع الهرم، بين
قاهرة العرب الميمونة، وأهرام الفراعنة المجيدة، تقوم آية من آيات طلعت
وما ظنك بصناعة السينما وهي لم تزل ناشئة في مصر، وبشركة مصر
للتمثيل والسينما وهي لا تزال وليدة — ثم..... إذا بالستار يزاح، وإذا
بالاستديو الجديد لا يشبهه في الشرق ثان، وتحسده في هوليوود استوديوهات
هي قياصرة السينما حتى هذا الزمان
قال طلعت باشا في خطبة له :

« فطنت الشركة لذلك، فأنشأت لها ستديو مزوداً بأحدث الآلات
والأجهزة، وسيكون الأول من نوعه في بلاد الشرق من حيث العظمة
والفخامة وجلال الفن »

وما أبدع تناسب الفن في هذا الاستديو، إذ يقوم بين الرمال وعلى
مقربة من الأهرام رمز الخلود، وتحت شمس مصر، وشمس مصر عبدها
القدماء، ولا يبعد عن النيل

هذه صورة الاستديو، فيه يخلق الفن، وقد أنشئ بين أربع لوحات
من غرر لوحات الطبيعة

توالت مفاجآت طلعت المباركة السعيدة لمصر، ففي كل عام لمصر وقفة
المدهوش أمام أثر جليل مما يجلوه لها طلعت حرب

إنه من مميزات الفنان أنه لا يصنع شيئاً إلا وكانت عليه مسحة الفن
وجماله، كذلك كل منشآت بنك مصر: فداره آية الفن؛ وشركة الطباعة التي
تتبعه لا تخرج سفيراً ولا مجلداً ولا شيئاً مما تصنعه المطابع إلا بد ما يصنعه
الآخرون، وهذه بواخر شركة مصر للملاحة، يتجلى فيها الذوق السليم،
حتى في أسماء البواخر تلمح جمال الفن وسلسيل الابداع

لله ما أحلى هذه الأسماء « النيل » ... « كوثر » ... « زمزم » ...

تسجيعة الفن والفنانين :

إن الفنان الحق لا يقصر اهتمامه على ما تبدعه يده بل يعشق الفن أياً كان ، فيشجعه ويمده من روحه . كذلك طلعت حرب ، فما أخذ بيد فن التمثيل غيره ، وما بنى دار مسرح الأزبكية ، وهو آية مسارح مصر ، وصرف عليه من جيبه الخاص ما ينوف على الثلاثين ألفاً من الجنيهات إلا طلعت ، وما أخذ بيد فن السينما وهو ناشئ إلا طلعت

روى الرواة أن رجلاً اسمه « العالم البقرى » كان آية من آيات الفن العربى فى النجارة ؛ وكان يعطف عليه عظيمان مصريان هما المرحوم عمر سلطان باشا ، والأمير محمد على ؛ فلما مات الأول وخرج الثانى من الديار أثناء الحرب الكبرى ، لم يجد هذا الفنان المتواضع إلا رجلاً مصرياً كريماً عطف على الفن فأكرمه ، وأدخله تحت عنايته وعطفه منذ ذلك الحين ، هذا الرجل هو طلعت حرب

وليس هذا هو المثل الوحيد الذى عطف فيه طلعت حرب باشا على الفنانين بتشجيعه لهم ؛ فعطفه على المرحومين احمد فهم ، وسيد درويش ، وعلى الأساتذة عباس علام ، وكامل الخلقى ، وداود حسنى ، وغيرهم من فحول الأدب والفن والغناء والتمثيل — لا يمكن أن ينسى

أكبر مكتبة اقتصادية فنية :

قليل من الناس هم الذين يعرفون أن ذلك الرجل الكبير يملك أكبر مكتبة اقتصادية فى الديار المصرية . وقليل من الناس أيضاً هم الذين يعلمون أن لديه فى هذه المكتبة مجموعة كبيرة من الكتب والرسوم والصور الفنية ، وخصوصاً فى أعمال البعثة الفرنسية التى رافقت نابليون إلى مصر ،

وهذه المجموعة الفريدة التي يحتفظ بها طلعت حرب هي أصدق دليل على
نفسية ذلك المجاهد الفنية وروحه المتعالية في سماء الفن والجمال

خاتمة :

وبعد ، فقد رعى طلعت مصر ونهض بها ، فأخذ بيدها إلى الثراء ،
وهداها إلى الاستقلال الاقتصادي
كذلك جعل روح الفن يخفق على مصر في كل النواحي ، فيخلع عليها من
الجمال ثياباً . وما غاية الوصف فيه إلا أنه « فنان » ومصر « لوحته »
فهو يبدع فيها ، ويخلع عليها ظلالاً وسحراً حتى تصير عروس الدنيا ، كما
كانت في فجر التاريخ . . ولعل من عجائب القدر أن يكون حرب حرباً على
سوء الحظ الذي لازم مصر من قديم الأزمان ، وأن يكون بعث عظمة مصر
على يد طلعت حرب

حتى إذا سطر المؤرخون يوماً من الأيام تاريخ مصر وتاريخ طلعت
قالوا :

وعلي صحرائها مرت يداه فجرت ماء وظلالا وجنى
مصطفى كامل الفلكي

في أثر طلعت حرب

من محاضرة لمحمود فتحي عمر^(١)

لقد ثرنا على كل شيء في التفكير والسياسة والتقاليد ، وشبعنا من هذه الضججات كلها . « فأنما نريد ثورة جديدة يعقد فيها دخان المصانع المصرية تحية النصر للشباب المصري ... » وذلك يتيسر لنا ، أولاً وقبل كل شيء ، بتأليف رؤوس الأموال المشتركة التي تجعل الجماعات ذات مصلحة واحدة في عمل واحد . وتلك هي المدرسة الاقتصادية الجديدة التي افتتحها ونشر لواءها زعيم مصر الاقتصادي طلعت حرب باشا ...

أجل هذا الرجل الذي امتلأت روحه حماسة وفاضت نفسه إيماناً ، فعمل بعزم الشباب لمصر الفتية ، وحقق لها من أمنياتها جزءاً عظيماً لا تقولوا : وكيف سبيلنا ، فانه لا مال لنا ... وإنا فقراء ؟ ... كلا ... بل إننا أغنياء ، وأغنياء جداً

تريدون أرقاماً ؟ إذن هاكم اقرأوا تقرير صندوق التوفير بمصلحة البريد المصرية . إنه يقول :

« بلغ مجموع الأموال المودعة في صناديق التوفير بمصلحة البريد في نهاية شهر سبتمبر من عام ١٩٣٣ مبلغ ٣٢٦٣٣٩٥٣ ر. ٤٥ ر. ٨٠ في مثل هذا الشهر من السنة الماضية . والأموال المودعة في صناديق التوفير بالبنوك ٢٣٨٢٩٣٤ مقابل ٢٠٥٨٩٣٨ ر. جنياً . وبلغ مجموع هذه الأموال ٦٣٢٦٠٢٦٠ ر. جنياً مقابل ٩٧٣٨٦٧ ر. ٤٨ جنياً مصرياً »

(١) عنوانها « سبيلنا إلى الاستقلال الاقتصادي » ، وقد أقيمت في ٨ فبراير سنة ١٩٣٤ بنادى نقابة موظفي الحكومة المصرية

وهذه الملايين كلها ، والتي تودع بين الخزائن الحديدية محبوسة حبساً احتياطياً لا ينتهى أبداً ، لو أنها أخرجت من سجنها ، ولو أعطيناها لزعيم الاقتصاد طلعت ، لاستطاع أن يصنع لنا عجباً :

لا استطاع أن يؤسس ستين مصنعاً تجمع شتات العاطلين ، وتفتح طريق الآمال أمام العاملين ، وتجعل لنا باباً من الربح والثروة لا يغلق ساعة واحدة وها هو ذا بنك مصر العظيم ، الذى يرج أنحاء البلاد رجاً ، وترتعد له فرائص الأجانب ارتعاداً ، ليس له من الجنيهات إلا مليون واحد ، فما بالكم بستة ملايين !!! أو تزيد !!!

لا تقولوا إننا فقراء فى المادة . إنما قولوا إننا ما زلنا فقراء فى الإرادة الطلعتية التى تحرك هذه المادة تحريكاً صالحاً

ونحن فى الواقع إنما وهبنا جهودنا وشبابنا لهذه الدعوة — إلى تحقيق الإرادة المصرية العظيمة . فليشعر كل منكم أنه طلعت حرب ، وأن له إرادة وطنية تسخر بكل صعب فى الحياة . إننا نريد مصر ، مصر وحدها فى كل شيء تقع عليه أبصارنا وتسمعه آذاننا وتلمسه أيدينا ؛ وإننا أخيراً قد وهبنا لتحقيق هذه الإرادة جهودنا ، واعتزمنا عزم الصادقين أن نسير فى أثر طلعت حرب ، وألا نتخلى أو نتحول عن جهادنا حتى تتحقق لمصر أمانها

فهرس الموضوعات

صفحة

معهد الاستقلال الاقتصادي	٨٣
شركات تحقق الغايات	٨٨
الوطنية الاقتصادية تنتصر	١٠١
تحت لواء الزعيم	١٠٥

طالعت العالمی

١٠٨	القوى الامين
١١٣	طلعت في الشرق
١٢٠	طلعت في الحجاز
١٢٤	الى العالمية

طاعت العظيم

١٢٨	• • • • •	العناصر النفسية
١٣٥	• • • • •	صاحب السعادة
١٣٨	• • • • •	في نهضة الفن
١٤٣	• • • • •	سياسي
١٤٧	• • • • •	داعية
١٥٢	• • • • •	شخصية المدير
١٥٨	• • • • •	الخطيب

مررت طاعت مرید

١٦٢	• • • • •	الأستاذ
١٦٨	• • • • •	أربع حصص في المدرسة
١٧٥	• • • • •	كلمات مأثورة من طالعت حرب
١٧٦	• • • • •	رأى التلاميذ في أستاذهم
١٧٨	• • • • •	١ - كلمة المؤلف الأول
١٨٣	• • • • •	٢ - كلمة المؤلف الثاني
١٩١	• • • • •	٣ - كلمة المؤلف الثالث

الافتتاحية ٣
تقدمة : بقلم أحد المؤلفين ٦

بطل الاصل مع الاجتماع

٨	في صبح الحياة
١١	يقظة الجهاد
١٥	الدفاع عن التقاليد
٢١	زعم المعتدلين في قضية المرأة
٢٦	رأيه في ثقافة النساء
٣٠	وحى الايمان

المجاهد الوطني

الحساب في حياة طلعت حرب ٣٣
ساهر على مصالح مصر ٣٦
تحقيق تاريخي في مشروع قناة السويس . ٣٩
تحقيق سياسي في إنشاء القناة ٤٤
تحقيق اقتصادي في شركة القناة ٤٦
الدفاع عن حق الوطن ٥٢
١ — مناقشة مذكرة المستشار المالي . . ٥٢
٢ — تعليق المؤلفين ٥٥
٣ — مضار هذا العرض بالنسبة لمصر . ٥٧

زعیم الاستقلال الاقتصادی

٦٠		فترة التفكير والانتقال
٦٥		شبح الاستثمار الاقتصادي
٧٠		مقدمات النزال
٧٤		الوثبة الأولى

فهرس الأعلام

صفحة

صفحة

(د. ر. ز)

داركور « الدوق » ١٥ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤	٤٠
دارنبرج « البرنس » ٥٤	١٤١
داود حسنى ١٨٩	١١٥
دى بلنير ٦٦	١٤١
راشد رستم ١٠٢	١٠٢
روداناكى ٧١	١٢٣
ريكادوس ٣٢	١٢
رينان ١٣	١١٩
زرفوداكي ٧٠	١٢٩

(س. ص)

سعد زغول باشا ٨٣ و ١٤٤ و ١٤٥	١٢٦
١٨١ و ١٥٩ و ١٤٧	٦٥ و ٤٥ و ٤٤
سعيد باشا الاول ٤٣ و ٤٢ و ٤١ و ٤٠	١١٥
سلامه حجازى « الشيخ » ١٣٨	١٠٤
سلامه موسى ١٠٢	٦٨
سيجفرد ٨٥	١٢٩
سيد درويش « الشيخ » ١٨٩	١٠٢
صادق حنين باشا ١١٩	٤٠
صلاح الدين الايوبى ٣٢ و ٣١	

(ع)

عائشة التيمورية ٢١	
عائشة أم المؤمنين ٢٦	
عباس باشا الاول ٤٠	
عباس حليم « النبيل » ١٠٢	
عباس علام ١٨٩ و ١٤١	
عبد الحميد البنان « السيد » ١٠٧ و ١٠٦ و ١٠٢	
عبد القادر الكيلانى بك ١٥١	
عبد اللطيف حسنين بك ١٦١ و ١٦٠	
عبد الله أباطة ١٥٥ و ١٣٤ و ١٠٦	

(ا)

ابراهيم باشا ٤٠	
جلال ١٤١	
حليمي العمر ١١٥	
رمزى ١٤١	
محمد المحامى ١٠٢	
ابن سعود « الملك » ١٢٣	
اتىلا ١٢	
احمد سالم ١١٩	
احمد عبد الوهاب باشا ١٢٩	
احمد فهم ١٨٩	
ادواود كوك ١٢٦	
اسماعيل باشا « الخديو » ٦٥ و ٤٥ و ٤٤	
بركات بك ١١٥	
صدق باشا ١٠٤	
ألون بالمر ٦٨	
أم كلثوم ١٢٩	
أمين الخولي ١٠٢	
أنفانتين ٤٠	

(ب. ت)

برش باشا ٩	
بهي الدين بركات بك ١٢٩	
تيمير ٧١	

(ج. ح)

جون سيمون ١٧	
حافظ محمود ١٠٨ و ١٠٢ و ٢٨ و ٧ و ٦	
١٨٣ و ١٧٨ و ١٧٧	
حسن حسنى عبد الوهاب « أمير اللوا » ١١٩	
حمد الباسل باشا ١٠٢	
خير الدين العمرى بك ١١٥	

صفحة

محمد بدر « السيد »	١١٩
« حسين هيكل بك »	١٣٧ و ١٣٥
« شفيق « السيد »	١١٩
« صديق « الطيار »	١٧٣ و ١٧٢ و ١٥
« عبد الصمد »	١٠٧ و ١٠٦ و ١٠٢
« عبده « الامام »	٣٠
« علي « الأمير »	١٨٩
« « باشا »	٤٠
« « علوبة باشا »	١٥١
« فريد بك »	٩
« فكري أباطه »	١٤١
« كرد علي بك »	١١٨
« محمود بسيوني بك »	١٤٨
« فتحي عمر »	١٩١ و ١٧٧ و ٧ و ٦
« فهمي النقراشي باشا »	١٠٢
« مدحت يكن باشا »	١٦٧ و ١٦٦ و ١٥١
« مصطفى النحاس باشا »	١٠٧ و ٢٠
« كامل الفلبي »	١٩٠ و ١٨٤ و ١٧٧ و ٧
« ملك حفي ناصف « السيدة »	٢٦

(ن . ه . ي)

« نابليون الثالث « الامبراطور »	٤٤
« بونابرت »	١٥٩ و ٣٩ و ٩ و ٨
« هانوتو »	٣١ و ٣٠
« هدى شعراوي « هانم »	٢٨
« يوسف أصلان قطاوى باشا »	٧٤

صفحة

عبد الله السليمان الحمداني « الشيخ »	١٢٢
عبد الله عوفى بك	١١٥
عبد الزيات	١١٥
عثمان كامل بك	١١٢
عمر بن الخطاب	١٥٩ و ١٣ و ١٢
« سلطان باشا »	١٨٩ و ٧٢ و ١٠
« عارف بك »	١٤١
« لطفى باشا »	٧٢
« نظمي بك »	١١٥
« عيسوى زايد باشا »	١١٥

(ف . ق . ك . ل)

« فردينان دلسبس »	٤٢ و ٤١ و ٤٠
« فولتى »	١٣
« فؤاد الاول « الملك »	١٣٧ و ٩٥
« فؤاد سلطان بك »	١٦٧ و ١٦٦ و ١٣١ و ١٠
« قاسم أمين بك »	١٨ و ١٧ و ١٦ و ١٥
	٢٣ و ٢٢ و ٢١ و ١٩
	٢٨ و ٢٦ و ٢٥ و ٢٤
« كامل الخلعى »	١٨٩
« كرومر « اللورد »	٦٨ و ٦٦
« لويس الرابع عشر « الملك »	٣٩
« لينين »	٣٩

(م)

« مترنيخ « البرنس »	٤٢
« محمد « صلعم »	١٣٧ و ١٣٥ و ١٢٨ و ١٩ و ١٢
« محمد أبو طائلة « الدكتور »	١٠١

فهرس البنوك والشركات والهيئات

صفحة

بنك مصر ٨٥ و ٨٦ و ٨٧ و ٨٨ و ٩٢
 و ١١٠ و ١١٦ و ١٢٣ و ١٢٤
 و ١٣١ و ١٣٦ و ١٤٤ و ١٤٧
 و ١٥٠ و ١٥٣ و ١٦٠ و ١٦٥
 و ١٦٦ و ١٧٠ و ١٧١ و ١٧٦
 و ١٧٩ و ١٨٠ و ١٨٢ و ١٨٣
 و ١٨٤ و ١٨٥ و ١٨٦ و ١٨٧
 و ١٨٨ و ١٩٢
 بنك مصر سوريا لبنان ١١٠ و ١١٦
 و ١١٧ و ١٦٦
 بنك مصر فرنسا ١٢٦

(ج. ح. د. س)

جمعية الاستقلال الاقتصادى ١٠٧
 » المؤاساة ١٣٦
 » المصرى للمصرى ١٠٢ و ١٠٦ و ١٠٧
 حكومة النمسا ٢٢
 دائرة سلطان باشا ١٠
 سينما حديقة الأزبكية ١٠٩

(ش)

شركة التعاون المسالى ٦٣
 » بيع المصنوعات المصرية ١٠٥ و ١٠٦
 و ١٠٧ و ١٨٥
 شركة ترامواى مصر ٧٤ و ٧٥ و ٧٦ و ٧٧
 و ٧٨ و ٧٩ و ٨٠ و ٨١
 شركة ترقية التمثيل العربى ١٣٩
 » قناة السويس ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ و ٤١ و ٤٢
 » كوكس وكننج ٩٩
 » كوم أمبو ٩ و ٣٣ و ١٢٦
 شركة مصر لخليج الاقطان ٩٠
 » » لعموم التأمينات ٩٩ و ١٢٦

صفحة

(١)

الاتحاد المصرى للصناعات ١٢٦
 البرلمان الانجليزى ٤٥
 » المصرى ٨٦
 البعثة الاقتصادية التونسية ١١٩
 » » المصرية ٨٧
 البنك الاهلى ٦٨ و ٦٩
 » العقارى الفرنسى ٤٦
 الجامعة المصرية ١٦٥ و ١٧٦
 الجمعية التشريعية ٣٦
 » الخيرية الاسلامية ١٣٥ و ١٣٧
 » الزراعة الملكية ١٥٠
 الحكومة السعودية ١٢٢ و ١٢٣
 » العراقية ١١٤
 » المصرية ٤٤ و ١٢٣
 الدائرة السنية ٩ و ٥٧ و ٦٠ و ٦١
 الدولة الانجليزية ٤١
 » العثمانية ٤١
 السان سيمونيون ٣٩ و ٤٠
 الشركة العقارية المصرية ٩ و ١٢٦
 الغرفة التجارية ١٥٩ و ١٦٩
 المؤتمر المصرى ٦٣ و ٧٢
 المجمع العلمى العربى بدمشق ١١١
 المعرض الزراعى الصناعى ١٥٠
 النادى السعدى ١٠٢
 الوفد المصرى ١٠٢ و ١٠٧

(ب)

بنك أوف إيجبت ٦٥ و ٦٩ و ٧١
 » روتشلد ٤٥
 بنك مصر ٢٩ و ٣٤ و ٦٥ و ٨٣ و ٨٤

صفحة	صفحة
٩٤ لجنة التجارة والصناعة	شركة مصر لغزل ونسج القطن ٩٢ و ٩٥ و ٩٧
٤٦ مؤتمر الاستانة	١٤٨ و ١٣٧
١٥ و ١٢ » المستشرقين بباريس	شركة مصر للتمثيل والسينما ٩١ و ١٨٥
٤٦ » بباريس	» » للسياحة ٩٩ و ١٢٦
٣٦ مجلس النظار	» » للطيران ٩٩ و ١٢٦ و ١٥٠ و ١٥١
٨ مدرسة الحقوق	» » للسكتان ٩٧
٢٣ » بمونبليه	» » للبلاحة البحرية ٩٩ و ١٢٠ و ١٢١
١٦٥ مراقبة التعليم الاهلى	١٨٨ و
١٠٦ مشروع القرش	شركة مصر للنقل والملاحة ٩٠
١٩١ مصلحة البريد	» » لمصايد الاسماك ٩٧
١٩١ نقابة موظفى الحكومة المصرية	» » لنسج الحرير ٩٢
٤ وزارة التجارة والصناعة	» مطبعة مصر ٨٨ و ٩٠ و ١٨٥
١٦٥ » المعارف	(ص . ل . م . ن . و)
	صندوق التوفير ٦٥

کتب :

الرد على الدوق داركور	لقاسم أمين
المرأة الجديدة	" "
إنجيل اليسوعيين — العهد القديم	" "
تاريخ المسألة المصرية	ليودور روتشتين
تحرير المرأة	لقاسم أمين
تذكار الاحتفال بالعيد الخامس عشر لبنك مصر	" "
تربية المرأة والحجاب	محمد طلعت حرب
تقارير اللورد كرومر	" "
حياة محمد	محمد حسين هيكل
خطب طلعت حرب باشا	الجزء الأول
" " " " " " " " " " " "	الجزء الثاني
علاج مصر الاقتصادية وإنشاء بنك للبصريين	محمد طلعت حرب
فصل الخطاب في المرأة والحجاب	" " "
قناة السويس	" " "
كلمة حق عن الاسلام والدولة العثمانية	" " "

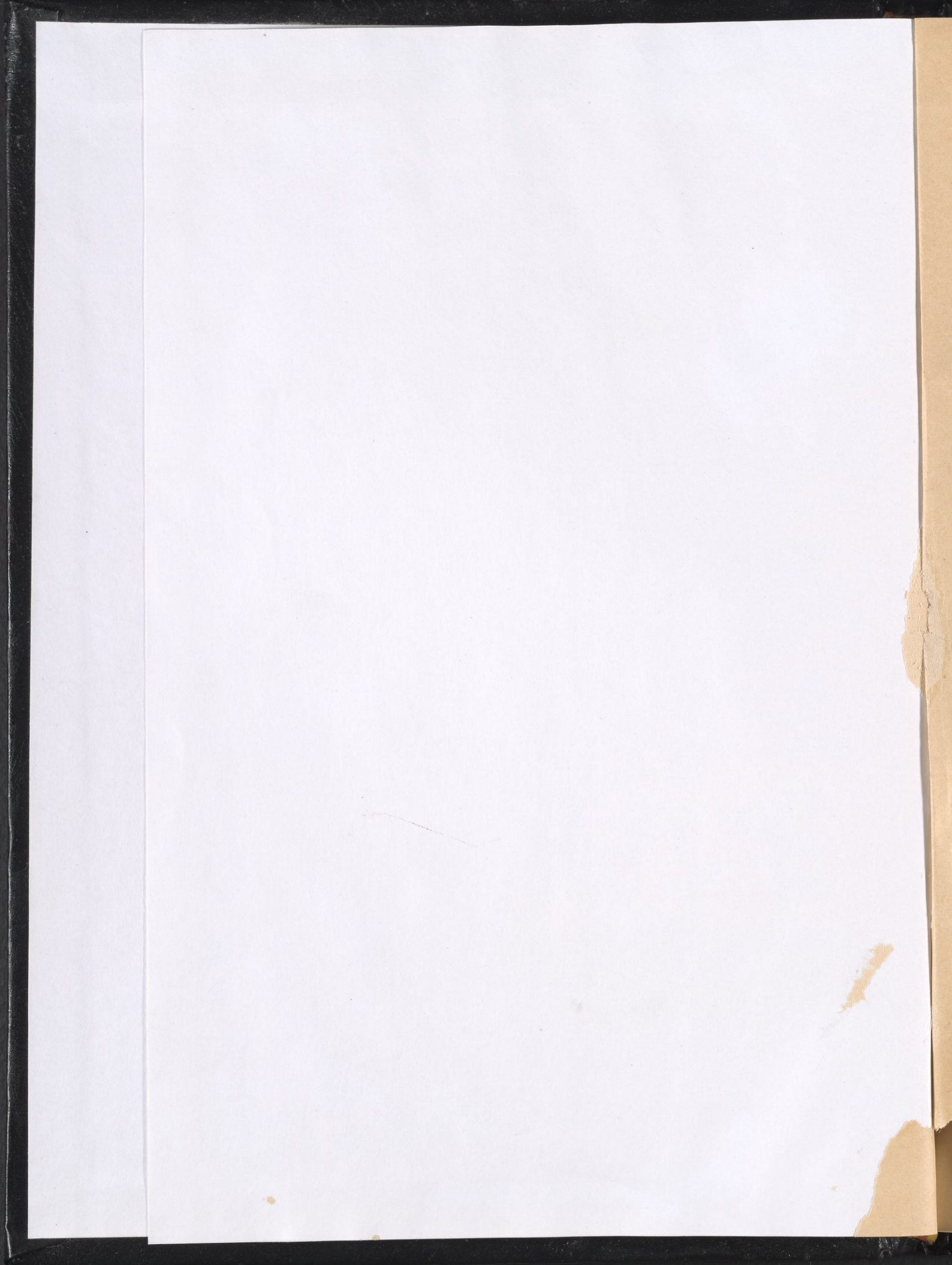
جرائد و مجلات :

الأهرام — البلاغ — الرابطة العربية — الضياء — الفيننشال تيمز —
المؤيد — المجلة الجديدة — المساء — المصور — المقطم — روزاليوسف
كوكب الشرق — مجلة العلماء

٢٠٠٠/٢٦/٤٢٤٢

AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO
LIBRARY

-SEP 1984-



13 DEC 2009

AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO
LIBRARY



